

مرفضية سيدنا طلحة بن عبيد الله

- ١٣٤ -

الحمد لله الذي يخص من يشاء برحمته، ويلبس من سبقت له منه الحسنى أثواب
عنايته، ويفضل بعض الخلق بما منحهم به من طرائف نعمته ولطائف منته.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مصرف الأحكام في العبيد فمن
شقي وسعيد ومقرب وطريد لا يسأل عما يفعل ولا رادّ لمقتضى إرادته، وأشهد أن
سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله المنتخل من خلاصة المجد الأثيل، ونبيُّه المنتخب من أعلى
سنام الفخر الأصيل وذروته، مَنْ حبه في ضميري وضمير أمته:

في ضميري دائماً صوت النبي أمراً: جاهد وكابد واتعب

صائحاً: غالب وطالب وادأب صارخاً: كن أبداً حراً أبي

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحمّداً وعلى آله وصحبه أجمعين.

تذكرون (أيها الإخوة) أننا وقفنا عند سلسلة الأفضلية بين الصحب الأكرمين،
ووصلنا إلى قول صاحب منظومة العقيدة:

وصحبه خير القرون فاستمع فتابعي فتابع لمن تبع

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة

يليهم قوم كرام برره عدتهم ست تمام العشرة

فهؤلاء الستة يلون الخلفاء الراشدين الأربعة في الأفضلية من غير تفاضل بينهم
فكلهم في مرتبة واحدة، وهم: سيدنا طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد
الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك المشهور بسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد،
وأبي عبيدة بن الجراح.

أولئك أصحاب النبي وجنّده كرام المساعي سادة في المحافل

أياديهم البيضاء في السلم سمحةً وفي لجج الهيجا مدى للمقاتل

ومن اكتشف ما حوى التاريخ لهؤلاء الصفوة من أصحاب رسول خير أمة أخرجت للناس يشهد باستحقاقهم لهذه الشهادة الفخمة، فما كان تبشير رسول الله ﷺ لهم بالجنة إلا بصلاحهم لها وأهليتهم لرحمة الله التي يتغمدهم بها فيدخلهم دار كرامته مجازاة لهم على ما كان منهم من صالحات وصدق في مصاحبتهم ﷺ وجهاد في سبيل الله والقرآن والإسلام بأنفسهم وأموالهم، ولقد عرفهم الليل رهباناً لله قانتين كما عرفهم النهار فرساناً لنصرة الحق مخلصين.

ونحن اليوم مع رجل من هؤلاء مع سيد كريم نال أجر بدر وشهد أحداً والحديبية والمشاهد كلها مع رسول الله، هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة الذين جعل سيدنا عمر فيهم الشورى لاختيار الخليفة بعده، وهو أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وهو أحد الذين مات عنهم رسول الله وهو عنهم راض.

إننا مع رجل من أشرف الأمة سَمَّاه رسول الله بالناصر لدين الله، فقد نظر إليه مع الزبير يوماً وقال: «أنتما حواراي كحواري عيسى بن مريم» /النبوي في معجم/. وفي مرة نظر إليه وقال له: «أبشر أبا محمد إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأثبت اسمك في ديوان المقربين /ف/ أنت في حفظ الله ونظره إلى أن تلحق به».

إننا باختصار مع سيدنا طلحة بن عبيد الله من بني تيم بن مرة، ومع الحلقة الرابعة والثلاثين بعد المئة الأولى من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

قبل أن أستعرض لحضراتكم الصفحات المشرقة لهذا الصحابي الجليل. اسمحوا لي أن أنقل لكم أولى الومضات الإيمانية التي نالها هذا الصحابي الذي حدثنا عن نفسه فقال: حضرت بسوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم: أفيهم أحد من الحرم. قال طلحة: نعم أنا، فقل الراهب هل ظهر أحمد بعد. قال: ومن أحمد. قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل (يثرب) وحره وسباخ، فأياك أن تسبق إليه، قال طلحة: فوق في قلبي ما قال، فخرجت حتى دخلت على أبي بكر فقلت: اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، وأخبره طلحة بما قال الراهب فسرَّ رسول الله ﷺ بذلك، فلما أسلم سيدنا أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد، وشدَّهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، فلذلك سمي الصديق وطلحة القرينين (الفضائي - وصاحب فضائل أبي بكر).

وتتالت الأحداث في حياة هذا الصحابي، فنراه في المدينة يغيب عن غزوة بدر في مهمة جهادية، فيعطيه رسول الله ﷺ سهماً من الغنائم وأجر من غزاها.

وأما في غزوة أحد فكان هذا اليوم يوم طلحة، فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى أطراف المدينة المنورة إلى جوار جبل أحد، وتذكروا أن عدد المسلمين بلغ ٧٠٠ صحابي فقط ضد ٣٠٠٠ مقاتل قرشي، ورغم أن الجولة الأولى كان النصر فيها لراية الإسلام إلا أن ابن الوليد حوّل هزيمة قريش إلى نصر ساحق حين دار حول جبل الرماة وجمع فلول القرشيين الفارين من أرض المعركة، ثم أعمل السيف في ظهور المسلمين فتشت الصف المسلم وبدأت الضربات تنهال من كل جانب حتى وصلت السهام والضربات إلى رسول الله، لكن سيدنا طلحة كان كالترس لسيدنا رسول الله، كان يتلقى ضربات السيوف عن رسول الله وأعطى ظهره

لطعنات الرماح ورميات السهام حرصاً على الخير للأمة بحياة رسول الله وسلامته حتى إن يد طلحة شلت حين دفع سهماً عن سيدنا محمد ﷺ وحين كسرت رابعة النبي وشج وجهه جعل طلحة يحمله ويرجع القهقري، وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى وصل إلى صخرة. أراد رسول الله أن يصعد عليها فانحى طلحة فصعد رسول الله على ظهره ليحتمي بالصخرة، عندها رسول الله ﷺ قال: «أوجب طلحة» /أحمد-ت/. ثُمَّ التفت إلى طلحة وقال: «هذا جبريل يا طلحة يخبرني أنه لا يراك يوم القيامة من هول إلا أنقذك منه» /الفضائي/. ونزف طلحة من دمه فأتى وأبو عبيدة إلى النبي فقال: «عليكما به». فأتيا إلى طلحة فإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه، فقدم رسول الله فمسح بيده الشريفة الطاهرة الشافية على جسد سيدنا طلحة وراح يدعو: «اللهم اشفه وقوه»، فإذا بطلحة يقوم صحيحاً كأنه لم يمس بسوء بإذن الله تعالى.

وحين انتهت الغزوة ورأى رسول الله ﷺ ما حدث لصحابته وقد استشهد منهم سبعون حتى قال: «إن الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة» وتنزل الآيات الكريمات تؤيد كلام النبي ﷺ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

وما أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ قام إليه رجل فقال: من هؤلاء يا رسول الله؟ فإذا بطلحة مقبلاً وعليه ثوبان أخضران فقال: «أيها السائل هذا منهم». وقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحبه فليتنظر إلى وجه طلحة بن عبيد الله ومن سرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله».

أيها الإخوة الكرام:

نال هذا الصحابي أرفع الأوسمة بصحبته لرسول الله ﷺ، لكن أعظم ألقابه وأوسمته ثلاثة لاقبه بها رسول الله ﷺ: طلحة الخير، طلحة الفياض، طلحة الجود، وكل هذه الأوسمة تدل على أنها كانت لجوده وكرمه وسعة عطائه.

دخل مرة على امرأته سعدى بنت عوف مغموماً مكروباً. قالت له: ما شأنك. قال: المال الذي عندي قد كثر وأكثرتني. فقالت له: وما عليك اقسمة، فقسمة على الفقراء حتى ما بقي منه درهم، وكان قد بلغ أربعمئة ألف. ومرة باع أرضاً له بسبعمئة ألف فرقه على الفقراء خلال يوم وليلة. بل إليكم هذا الخبر الذي نقله عنه الفضائي فقال: كان طلحة يغل بالعراق ما بين أربعمئة ألف إلى خمسمئة ألف، ويغل بالشرة عشرة آلاف دينار، وكان لا يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلا كفي مؤنة عياله، ويزوج أيامهم ويخدم عائلهم ويقضي دين غارمهم، وكان يرسل إلى السيدة عائشة إذا جاءت غلته كل سنة عشرة آلاف، ولقد قضى عن رجل ثلاثين ألف درهم. فكيف تحققت نبوة رسول الله ﷺ في شهادة سيدنا طلحة؟

إن سيدنا طلحة اجتهد رأيه في يوم الجمل وقاتل إلى جوار أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فما أن التقت الصفوف حتى كان أول قتيل، والمشهور أن مروان بن الحكم هو الذي قتله، رماه بسهم في فخذه، وحين ذكر لابن عباس هذا الصحابي وذكر معه سيدنا الزبير قال: رحمة الله عليهما، كان والله مسلمين مؤمنين بارين تقيين خيرين، فاضلين طاهرين زلالين، والله غافر لهما للصحبة القديمة والعشرة الكريمة والأفعال الجميلة فأعقب الله من يبغضهما بسوء الغفلة إلى يوم الحشر.

أيها السادة:

وقبل أن أسدل الستار على هذا الصحابي الجليل. أرى ابنته السيدة عائشة بنت طلحة تأتي زائرة لأبيها بعد أكثر من ثلاثين سنة على مقتله، إذ برجل يأتيها فيقول لها: أنت عائشة بنت طلحة؟ قالت نعم. قال: إني رأيت طلحة في المنام. فقال: قل لعائشة حتى تحولني من هذا المكان (الذي دفن فيه على الشط) فإن البرد قد آذاني. قال: فركبت في مواليتها وحشمها، فلما شقوا قبره رأوه كما هو وكأنه دفن الآن لم يتغير إلا شعرات في أحد شقي لحيته، فحملوه ودفنوه في بيت داخل البلدة.

فعليك رضا الرحمن يا طلحة الندى ولا زلت بين الأكرمين إماماً
هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

* * *

أفطية الزبير بن العوام

الحمد لله الذي نشر للصحابة أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل طبقة الصحابة أعلى مقام، وفضلهم بصحبة النبي الكريم ومعرفة الأحكام، واختار منهم صفوفهم فهم أهل المحاضرة والإلهام والإكرام، ووقفهم لخدمة الشريعة فهجروا لذيق المنام، وأذاق المحبين لذة قربه وأنسبه فشغلهم عن جميع الأنام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المليك العلام.
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام كل إمام.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فنحن اليوم مع مَنْ؟ مع أي عظيم من عظماء الدنيا؟ مع أي شهيد من شهداء الأمة؟ مع أي ركن من أركان الإسلام؟

نحن اليوم مع سيد من سادات الرعيل الأول. هو رابع أو خامس من أسلم بعد الصديق أبي بكر. هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والحديبية والمشاهد كلها مع رسول الله ولم يتخلف عن غزوة غزاها. إنه أول رجل سلَّ سيفاً في سبيل الله تعالى، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الشورى الذين قال فيهم سيدنا عمر: (إن رسول الله توفي وهو عنهم راض).

إننا مع التقى النقي السمع الكريم ابن عمه رسول الله صفية بنت عبد المطلب، إننا مع سيدنا أبي عبد الله الزبير ابن العوام القرشي الأسدي رضي الله عنهم.

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل
له من رسول الله قرى قريبة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير سيفه عن المصطفى والله يعطي ويجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب هشها بأبيض سباق إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل
إننا مع الحلقة الخامسة والثلاثين بعد المئة الأولى من سلسلة القضايا
الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً
ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان والدين:

ما أنه أعلن سيدنا الزبير بن العوام إسلامه وكان ابن اثنتي عشرة سنة
حتى أخذه عمه فعلقه في حصير وراح يدخن عليه في النار ويقول له: ارجع
إلى الكفر، فكان الفتى الزبير يقول: لا أكفر أبداً.
فلما شب عمل في التجارة وكان من التجار المحظوظين الموفقين، فتح
الله عليه ببركة الإسلام وحببه لنبينا عليه الصلاة والسلام، فكان من أغنياء
الصحابة، نمت ثروته وكثرت من المال الحلال، وهو حين جمعها لم يحبسها في
خزائنه ولكنه كان ينفقها في سبيل الله تعالى. سئل مرة: بم أدركت ما أدركت
في التجارة؟ فقال (اسمعوا قواعد التجارة الرابعة): لأنني لم أشتري معيماً ولم أردد
ربحاً، والله يبارك لمن يشاء. ولقد بارك الله تعالى له وعليه ببركة تصدقه
وسماحته وكرمه وجوده، وصدق الله العظيم: ﴿وما تنفقوا في شيء فهو
يخلفه﴾، باع مرة داراً له بستمئة ألف، فقيل له يا أبا عبد الله غبنت. قال:

(كلا والله لتعلمن أي لم أغبن: هي في سبيل الله تعالى) /صفوة الصفوة/، وكان له ألف مملوك يجمعون أموال تجارته وخراجه، فما كان يدخل بيته منها درهم واحد، كان يتصدق بذلك كله.

ورغم ملازمته لرسول الله ﷺ فكان شديد الورع يخاف إذا حدث عنه حديثاً أن يغير لفظةً منه، لهذا كان قليل الحديث، سأله ولده سيدنا عبد الله ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث عنه أصحابه فقال: أما والله لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعته يقول: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» /خ/.

أيها الإخوة المؤمنون:

نحن اليوم مع رجل عظيم من رجالات سيدنا محمد ﷺ ، ولأعرض عليكم عظمة هذا الصحابي اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتكريماً ومهابة وقد انتشر خبر مفاده أن رسول الله ﷺ أخذ وقتل، ووصل الخبر إلى سيدنا الزبير فخرج من بيته شبه عار وقد سل سيفه. خرج يشق الناس بسيفه، والنبى الكريم بأعلى مكة حتى رأى سيدنا محمد ﷺ وقد تلقاه مستفسراً، فسأله الحبيب الأعظم: **مالك يا زبير؟** فقال: **أخبرت أنك أخذت.** قال: **فما كنت صانعاً؟** قال: أردت أن أستعرض أهل مكة وأجري دماءهم كالنهر، لا أترك أحداً إلا قتلته (ثأراً لك يا رسول الله)، وهنا ضحك الحبيب الأعظم وخلع رداءه وألبسه الزبير، وباركت السماء حركة الزبير القتالية، وبارك الله تعالى أول سيف سل في الإسلام: فنزل أمين وحي السماء على أمين أهل الأرض وقال: (يا رسول الله إن الله يُقرئك السلام ويقول لك أقرئ مني على الزبير السلام وبشره أن

الله أعطاه ثواب كل من سل سيفاً في سبيل الله منذ بعثت إلى أن تقوم الساعة)، /الملا - صفوة الصفوة/.

هكذا كان الزبير شجاعاً صداعاً للحق فدائياً من الدرجة الأولى، ولتوضيح هذه القضية أدعوكم لحضور أول صلب حدث في تعذيب المسلمين من قبل المشركين، وهذه القضية انقلها لكم لتستدلوا على مدى ثبات الرعيل الأول على الإسلام، فقد أخرج المشركون سيدنا خبيباً ليقتلوه فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين، فتركوه فلما صلاهما، قال: لولا أن يقولوا جزع لزدت وأنشأ يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصري
فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس حوالي أحد يبلغ رسولك
مقامي فأبلغه سلامي، ثم رموه بسهم وطعنوه برمح، فكان الذي بلغ سيدنا
مُحَمَّدٌ سيدنا جبريل فقال: «أيكم يحتمل خبيباً من خشبته وله الجنة؟» فقال
الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يسيران الليل والنهار من المدينة حتى وافيا
المكان، فإذا حول الخشبة أربعين رجلاً نياماً، وإذا هو رطب لم يتغير فيه
شيء بعد أربعين يوماً فحمله الزبير على فرسه وسار، فلحقه سبعون منهم
فوارس فقذف خبيباً فابتلعتة الأرض ولم ير له أثر، وهنا انعطف الزبير إليهم
وقال: ما أجراًكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا
الزبير ابن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود.
أسدان رابضان إن شئتم ناضلتم وإن شئتم نازلتم وإن شئتم انصرفتم،
فانصرفوا. فقدم الزبير مع صاحبه على رسول الله وعنده سيدنا جبريل فقال:
يا مُحَمَّدُ إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك، ونزل قوله تعالى: ﴿ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

وهكذا كان في الغزوات أسداً هصوراً وسيفاً بتاراً، وكان يتلقى الضربات بصبر جميل محتسباً لله تعالى ولقد ضرب يوم بدر على عاتقه ضربة أثرت في كتفيه وتلقى مثلها في يوم اليرموك، يقول ولده عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير،/خ/.

معشر السادة:

كانت آثار المعارك الجهادية بادية ظاهرةً على جسده حتى إنه /ت- حسن/ ما من عضو فيه إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ بل كان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي /الصفوة-والفضائي/. وحين كان يوم الخندق ندب رسول الله الناس ليأتوا بخبر كفار مكة، فانتدب الزبير (أي قام لتنفيذ أمره) ثم ندبهم ثانية فانتدب الزبير، وهنا علق رسول الله وسام الشجاعة والنصر على صدر الزبير أبد الدهر فقال: «لكل نبي حوارى (ناصر) وحواري الزبير» /ق-ت/. وقام الزبير على فرسه وراح يأتي بالأخبار إلى النبي مرتين أو ثلاثة، وهنا قال له رسول الله: «فذاك أبي وأمي» /ت-حسن/.

فكان سيدنا عمر حين يذكر الزبير يقول: الزبير ركن من أركان الإسلام /ابن السري/.

وحق له أن يفتديه رسول الله بأبيه وأمه، لأنه كان يخاف على النبي ويحرسه. جلس مرة بجواره فنام رسول الله، نامت عينا النبوة وبقي سيدنا الزبير يذب عن وجه رسول الله حتى استيقظ قال: «يا أبا عبد الله لم تنزل»، قال: لم أزل أنت بأبي وأمي. فقال «هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شر جهنم» /الحافظ

الدمشقي في الأربعين/. وأعلن لمن حوله فقال: «طلحة والزبير جاراي في الجنة».

معشر السادة الكرام:

كان لسيدنا الزبير بن العوام مكانةً علياً عند الله ورسوله عرف هذا المهاجرون والأنصار.

هاهو رجل يخاصم الزبير في قضية سقي النخل فقد منع الأنصاري الماء أن تصل إلى أرض الزبير، فاحتكما لرسول الله فقال النبي الكريم للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك»، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابن عمك؟! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «يا زبير اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر». فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾.

أيها الأحبة:

عاش هذا الصحابي سبعاً وستين سنة، فلما كانت سنة ست وثلاثين من الهجرة وقف إلى جوار السيدة عائشة في موقعة الجمل فقاتل فيها ساعة ثم ناداه سيدنا علي وانفرد به وذكره حديثاً جرى بينه وبين رسول الله حين وجدهما يتضاحكان فقال له: يا زبير أتحب علياً؟ قال الزبير: ألا أحب ابن خالي وعلى ديني فقال: يا زبير لتقاتلنه وأنت له ظالم.

وهنا تذكر الزبير ذلك بعد أن كان نسيه، فرجع عن أرض المعركة وقال لسيدنا علي: والله لا أقاتلك، ورجع منصرفاً إلى المدينة. لكن رجلاً فمن غضب الله عليه يدعى عمير بن جرموز لحق به فغافله فطعنه غيلة من الخلف، وجاء برأسه إلى سيدنا علي يستأذنه فلم يأذن له وقال للآذن: بشر قاتل ابن صفية بالنار.

أيها الأخوة:

رغم الشراء الكبير الذي أصاب سيدنا الزبير فقد توفي وعليه ديون كثيرة، ترك قطعة أو قطعتين من الأرض باعهما ولده عبد الله وفي بها دينه، (وللزبير عشرون ولداً) وكان عبد الله هذا أول مولود ولد في الإسلام، وكان يحيي الدهر ليلة قائماً حتى يصبح وليلة راکعاً وليلة ساجداً حتى يصبح، وهو الخليفة السادس في الإسلام. وهو الفارس المصلوب الذي صلبه الحجاج بعد أن هاجم مكة ورمها بالمنجنيق، فدافع عنها عبد الله بن الزبير حتى قتل شهيداً على ثراها وابنه عروة من أكابر فقهاء المدينة، علينا أن نفهم (يا إخوتي) أن سيدنا الزبير بطل من أبطال الإسلام، ولقد عاش حميداً ومات شهيداً وبشره رسول الله بالجنة، فمن أن يكون معه هناك فليترض عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

* * *

أخلاقية عبد الرحمن بن عوف

- ١٣٦ -

الحمد لله الذي أكرم أمة حبيبه المصطفى بجزيل النعم، وفضلهم وشرفهم
باتباعهم لسيد العرب والعجم، تجلى على قلوب أحبائه بالأنس والرضوان،
وأسبغ عليهم نعمه الوافرة بمحض الفضل والإحسان فسبحانه من إله
متفضل محسن منان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جلّ عن الشبيه والنظير،
وتعالى عن الشريك والظهير، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته، وصفوته من
خليقته، وأمينه على وحيه أعرف الخلق بالله تعالى وأعلاهم عنده منزلة،
وأوسعهم عنده شفاعَةً، بعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة داعياً، وفي مرضاته
ساعياً، فبلغ رسالة ربه وصدع بأمره، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام
حتى بلغ رضاه، واختار له أمةً مسلمة قانتة له، وصفهم مولانا عز وجل

بقوله: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم عندك في مقعد صدق يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجّل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

نحن اليوم نشهد عظمة سيد الأنبياء، نشهد كيف خرّج هذا النبي تلامذته، فأولى بنا اليوم أن نقرأ التاريخ، أولى بالمسلمين اليوم أن يقرؤوا التاريخ، فقراءة التاريخ أستاذ، ومدرسة التاريخ أساتذتها سادة الأمة، علينا أن نصغي إلى التاريخ لنرى كيف ساد الصحابة زمن التاريخ فأنشئوا دولة إسلامية صارت كل دول الدنيا ورثت عليها رايات التوحيد، ونكّست رايات الكفر والإلحاد.

إننا من هذا المنطلق الراسخ نتناول حياة أعلى طبقة في التاريخ الإسلامي، وفي هذه الطبقة سادة وقادة وخلفاءهم خواص الصحب الكرام، ونحن اليوم ننزل ضيوفاً على سيد من ساداتنا، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله، وهو ممن ثبت معه في أحد، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وأحد المفتين الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ وبعثته رسول الله إلى دومة الجندل وألبسه عمامة بيده وسدل عزبتها بين كتفيه وقال: سر باسم الله، وبشره بالجنة، وكان من الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فقد وقف ﷺ عقب حجة الوداع وقبل

وفاته بقليل بعدد مناقب صحابته فقال: «أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك. أيها الناس إني راض عن عمر وعلي وعثمان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين فاعرفوا لهم ذلك».

إننا مع واحد من هؤلاء العشرة، واحد سمّاه نبينا بالصادق البار (قط) وصلى خلفه مقتدياً به في غزوة تبوك /صفوة/، وهو من أوائل الذين دخلوا في دين الإسلام قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وأمه الشفاء بنت عوف المرأة التي تلقت رسول الله بين يديها يوم أن ولد ﷺ وقد أسلمت وهاجرت، وأسلم إخوته الثلاثة.

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على الغني الشاكر سيدنا عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري.

ومع الحلقة السادسة والثلاثين بعد المئة الأولى من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

إن سيدنا عبد الرحمن بن عوف أعطى من خلفه من المؤمنين درساً لا ينسى، لقد أعطانا درساً في الفداء والتضحية، درساً أنه لا قيمة للأموال ولا العقارات إذا كان الدين مهدداً ومحارباً. إن سيدنا عبد الرحمن ترك كل أمواله في مكة مهاجراً في سبيل الله، وما أن وطئت قدماه أرض المدينة حتى آخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع، فماذا قال سعد، وماذا أجاب سيدنا عبد الرحمن؟

إن التاريخ قد سجل للأنصار تطبيق الإخوة الإيمانية تطبيقاً عملياً
فشاركوا المهاجرين في بيوتهم وأثاثهم وأموالهم وأراضهم، فإن سيدنا سعداً وهو
واحد منهم قال لسيدنا عبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك
نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت فأنزل لك عنها فإذا حلت تزوجها.
الله أكبر ما أعظم هذا الإيثار (قولوا ﷺ) موقف عظيم، لكن موقف
ابن عوف كان أعظم. إن سيدنا عبد الرحمن قال له: بارك الله لك في أهلك
ومالك ودلني على السوق.

يقول الراوي يا سادة يا كرام:

ففدا ابن عوف فأتى بأقط وسمن إلى سوق بني قينقاع فباع واشترى ثم
تابع الفدو فما لبث أن قدم على رسول الله ﷺ فإذا عليه أثر صفرة. فقال له
النبي الكريم: تزوجت يا عبد الرحمن؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: ومن؟
قال: امرأة من الأنصار. قال: فكم سَقَّتْ؟ (المهر). فقال ابن عوف: زنة
نواة من ذهب. فقال ﷺ: أولم ولو بشاة؟ (خ) ٢٠٤٨/.

نعم (أيها الأخوة):

بدأ ابن عوف من جديد، بدأ يعمل بأسباب التجارة وكان مع عمله
هذا يشرف على بيت النبوة ويعتني بآل البيت، يقول سيدنا عمر: رأيت
النبي ﷺ في منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعاً ويتضوران. فقال
النبي: من يصلنا بشيء؟ فطلع سيدنا عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها
حيس ورغيفان بينهما إهالة، فقال النبي ﷺ له: كفاك الله أمر دنياك وأما
آخرتك فأنا لها ضامن. /أبو القاسم في الأربعين/، ويتابع ابن عوف
الإنفاق من ماله هنا وهناك، فكان رسول الله ﷺ كلما سمع عنه إنفاقاً دعا له،

دعا له مرة فقال: بارك الله في مالك وخفف عليك حسابك يوم القيامة،
/الملاء/

وهكذا معشر الإخوة بارك الله لابن عوف بركة عظيمة، فكان يعد من
أثرياء الصحابة، ولكنه كان كلما نمت ثروته ازداد إنفاقاً في سبيل الله حتى
قال الزهري: تصدق ابن عوف على عهد النبي ﷺ بأربعة آلاف ثم بأربعين
ألف، ثم حمل على خمسمئة فرس ثم على خمسمئة راحلة، وأوصى لنساء
النبي ﷺ بمديقة قومت بأربعمئة ألف (ت-حسن).

بل إليكم هذا النبأ الذي نقله ابنه طلحة، فقد قدمت قافلة له من تجارة
الشام فحملها إلى رسول الله ﷺ لنفقها في سبيل الله، فدعا له رسول الله.
يقول طلحة (ولده): كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف: ثلث
يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم بماله، وثلث يصلهم (فقولوا ﷺ). كانت
هذه العطايا من ابن عوف مدعاة لأن يدعو له رسول الله قائلاً: «سقى الله
ابن عوف من سلسبيل الجنة (قط-أحمد ١٠٤٦) ثم قال له: يا عبد
الرحمن أنت وليي في الدنيا والآخرة. (أنت حبيبي)» (الملاء في سيرته).
ونزل سيدنا جبريل ليبارك هذه الإنفاقات من سيدنا عبد الرحمن نزل بسلام
وآية: أما السلام فقال سيدنا محمد «إن الله يقرئك السلام ويقول: أقرىء
عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة» وأما الآية فثناء على المنفقين: ﴿الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ /البقرة ٢٦٢/.

فماذا فعل ابن عوف لقاء هذه الدعوات ولقاء هذه البشارة الإلهية

والنبوية؟

إن ابن عوف أعتق ثلاثين ألف عبد جعلهم عتقاء لوجه الله تعالى فرحاً
بما أنزل الله عز وجل.

معشر السادة الكرام:

واسمحوا لي أن أنقل لكم حدثاً هاماً في حياة هذا الصحابي الجليل
لأستدل معكم على مدى العقل الوافر الذي أوتيته ومدى عزة النفس
وعفتها عنده، أنقل بحضراتكم إلى هناك إلى عصر صدر الإسلام إلى وقفة
حرجة وقع فيها الصحب الكرام، فقد ترك سيدنا عمر الحكم بعده شورى
بين الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض ليختار المسلمون واحداً
منهم وهم سيدنا عثمان بن عفان وجدي سيدنا علي وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وجعل سيدنا
عبد الله بن عمر مرجحاً لكفة الاختلاف إن وجد.

فكيف بدت حكمة هذا الصحابي الجليل، إن سيدنا عبد الرحمن تنازل
عن حقه في مجلس الشورى وقال للخمسة الباقين: هل لكم أن أختار لكم
خليفة وأنفصل عنها. قال سيدنا علي: نعم أنا أول من رضي فيني سمعت
رسول الله يقول: «إنك أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض». وتنازل
الزبير عن حقه لسيدنا علي، وتنازل سعد بن أبي وقاص لسيدنا
عثمان وكان طلحة غائباً، وانحصر الاختيار بين صحابين جليلين وسيدتين
كريمين، وراح ابن عوف يسأل أهل الحل والعقد يستشيرهم سرّاً وجهراً حتى
سأل الركبان الوافدين على المدينة المنورة.

أيها الإخوة:

إننا في خضم هذا الحدث الهام الذي سيقدر مصير الخلافة، فبعد ثلاثة
أيام من البحث والسؤال دعا ابن عوف السידین الجلیلین سیدنا عثمان

وسيدنا علي فقدما عليه فأخذ منهما موثقاً وعهداً لئن ولي واحداً منهما ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن. وخرج بهما إلى المسجد وقد لبس سيدنا عبد الرحمن العمامة التي عممه بها رسول الله، وبعث إلى وجوه الناس فقدموا عليه فضاقت بهم المسجد فوقف فيهم خطيباً وقال: أيها الناس إني سألتكم سرّاً وجهراً فلم أجداكم تعدلون بعلي وعثمان أحداً. ثم التفت إلى سيدنا علي وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر، قال سيدنا علي: على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي. ثم قال لسيدنا عثمان: قم إلي يا عثمان، فقام إليه فأخذه بيده وقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر فقال عثمان: اللهم نعم.

فرفع سيدنا عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت في رقبتك من ذلك في رقبة عثمان.

وازدحم الناس يبايعون سيدنا عثمان وكانت من أوائل الأيدي التي بايعت يد سيدنا علي بن أبي طالب.

أيها الإخوة المؤمنون:

إن صفحة التاريخ في حياة هذا الصحابي صفحة خالدة جلييلة. خمس وسبعون سنة قضاها هذا الصحابي لم ير وجه بائس أو فقير إلا وأكرمه ونعمه وطيب خاطره حتى مرض هذا الصحابي سنة واحدة وثلاثين هجرية، مرض فأوصى بثلاث ماله فشفاه الله تعالى فتصدق بذلك بيد نفسه ثم قال: يا أصحاب رسول الله ﷺ كل من كان من أهل بدر له علي أربعمئة دينار (ليرة ذهبية) فتصدق عليهم في ذلك اليوم بمئة وخمسين ألف دينار.

ثُمَّ مَرَضَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ فِي وَجْعِهِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ فَاضَتْ نَفْسُهُ، فَقَامُوا عَنْهُ وَجَلَّلُوهُ، فَإِذَا بِهِ يَفِيقُ وَيَكْبُرُ وَيَكْبُرُ مَعَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: غَشِيَ عَلَيَّ آنَفًا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: صَدَقْتُمْ أَنْطَلِقُ بِي فِي غَشِيَّتِي رَجُلَانِ أَجِدُ فِيهِمَا شِدَّةَ وَفَظَاظَةَ فَقَالَا: أَنْطَلِقْ نَحَاكُمُكَ إِلَى الْعَزِيزِ الْأَمِينِ. فَانْطَلَقَا بِي حَتَّى لَقِيا رَجُلًا، قَالَ: أَيْنَ تَذْهَبَانِ بِهَذَا؟ قَالَا: نَحَاكُمُكَ إِلَى الْعَزِيزِ الْأَمِينِ، فَقَالَ لهُمَا: إِرْجِعَا فَإِنَّهُ مِنْهُ الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهِمْ، وَإِنَّهُ سَيَمْتَعُ بِهِ بَنُوهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا. (صحيح ابن سعد ٩٥/١/٣).

معشر السادة:

انتقل هذا الصحابي الجليل إلى ربه عز وجل بعد أن ترك ثمانية وعشرين ذكراً وثمان بنات وكان فيما خلفه ذهب، وأي ذهب، وأي ذهب، قطع بالفؤوس حتى حجلت أيدي الرجال منه ببركة دعاء رسول الله ﷺ، وترك أربع نسوة فأصاحب كل امرأة ثمانون ألف (صفوة) وترك مالا كثيراً وخلف ألف بغير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس ترعى بالبقيع. فمن كان يريد أن يفعل الله به فعل ابن عوف فلينفق مما آتاه الله، ومن أراد أن يلحق به هناك في أعلى الجنان فليترضى عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

سعد بن مالك القرشي

- ١٣٧ -

الحمد لله الذي قدّم من شاء بفضله وأخر من شاء بعدله، لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن فعله، أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على حَزَن الأمر وسهله.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل العقابة للمتقين بفضله.

وأشهد أن سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله. أشرف من وطىء الحصا بنعله وخاتم أنبيائه وسيد رسله.

نقف اليوم بإجلال أمام شخصية عظيمة من شخصيات الإسلام، تلميذ طاهر من تلاميذ سيدنا رسول الله ﷺ، رجل من الرعيل الأول، من أولئك الذين دخلوا الدين الحنيف، سابع سبعة دخلوا فيه، هو أحد العشرة سادات الصحابة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر سيدنا عمر أن رسول الله مات وهو عنهم راض.

نحن اليوم أمام صحابي شهد بداراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً، هو أول من أراق دماً في سبيل الله وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وقف مع رسول الله ﷺ على جبل حراء

فتحرّكت بهم الصخرة من تحتهم فقال ﷺ: «اثبت حراء فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد».

هو أحد الفرسان الشجعان أمراء رسول الله قال عنه رسول الله إنه يعد بألف فارس ولقبه بناصر الدين، وكان يحرس النبي الكريم في مغازيه، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار، وكذلك في أيام عمر وهو الذي كوّف الكوفة (أي بناها) ونفى الأعاجم وتولى قتال فارس وفتح المدائن، وكان على يديه فتح القادسية وغيرها، فلما صارت فتنة استشهاد الخليفة عثمان لزم بيته وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام.

إننا باختصار مع خال سيدنا رسول الله سيدنا سعد بن مالك القرشي الزهري. ومع الحلقة السابعة والثلاثين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يُحَدِّثُنَا سَيِّدُنَا سَعْدٌ عَنْ إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ أَنْ أَسْلَمَ بِثَلَاثِ كَأَنِّي فِي ظُلْمَةٍ لَا أَبْصُرُ شَيْئاً إِذْ أَضَاءَ لِي قَمَرٌ فَاتَّبَعْتُهُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ سَبْقِنِي إِلَى ذَلِكَ الْقَمَرِ فَأَنْظُرُ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَإِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ وَكَأَنِّي أَسْأَلُهُمْ: مَتَى أَنْتَهَيْتُمْ إِلَى هَهْنَا) وَمَا أَنْ اسْتَيْقِظَ حَتَّى ذَهَبَ إِلَى الصَّدِيقِ لِيَقُودَهُ إِلَى الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ مُسْتَخْفِياً، يَقُولُ سَعْدٌ: تَلَقَّيْتُهُ فِي شَعْبِ أَجْيَادٍ وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ فَقُلْتُ لَهُ: إِلَامُ تَدْعُو؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وكانت أول من تقف في طريق إسلامه أمه أم سعد . حلفت لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، وقالت له: زعمت أن الله أوصاك بالديك فأنا أمك وأنا أمرك بهذا، لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بي، فقال: لا تفعلي يا أم فإني لا أدع ديني. قال: فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عماره فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فقال لها: والله لو كانت لكن ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا الشيء، فإذا بأمين وحي السماء يطوي السبع الطباق ويمتاز الآفاق وينزل على حبيب الله بآية عظيمة: ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾

أيها الأخوة:

كان عمر سيدنا سعد حين أسلم سبع عشرة سنة. أسلم قبل أن تفرض الصلاة، فلما فرضت كانوا يصلون مستخفين في الشعاب، فبينما سيدنا سعد في نفر من الصحابة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فاقتتلوا، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلخي جمل (رأس جمل) فشجه، فكان أول دم أهرق في سبيل الإسلام.

فلما هاجر إلى المدينة كان حريضاً على ملازمة رسول الله، وحضور المغازي فشهد بدماءً وأحداء، وفي أحد جمع رسول الله أباه وأمه لسيدنا سعد فقال: «ارم سعد فداك أي وأمي، ارم أيها الغلام الحرور (الفتى)» فكان

يرمي السهام حتى رمى يوم أحد ألف سهم. فكانت ابنته عائشة تفخر على بنات الحبي وتقول: أنا بنت المهاجر الذي فداه رسول الله بالأبوين. قال لسيدنا رسول الله يوماً: ادع الله أن يستجيب دعائي. قال: «يا سعد إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يطيب طعمته». قال يا رسول الله ادع الله أن يطيب طعمتي فإنني لا أقوى إلا بدعائك. قال: «اللهم أطب طعمة سعد».

يقول الراوي يا سادة يا كرام:

فكان سعد يرى السنبلة من القمح في حشيش دوابه فيقول: ردوها من حيث حصدموها، وأصبح سيدنا سعد مستجاب الدعوة لا يدعو شيئاً إلا استجاب الله له.

وكان رسول الله ﷺ يفخر به بين صحابته ويقول إذا أقبل سيدنا سعد: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله» /ت/. ذلك لأن أم النبي من بني زهرة وكان سعد من بني زهرة. فهم أحواله.

فماذا حدث لسيدنا سعد في حجة الوداع بمكة؟

اسمحو لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى البقعة الطاهرة إلى مكة المكرمة بيت الله، وبعد حجة الوداع مع سيدنا رسول الله. أرى سيدنا سعداً مريضاً فعاده رسول الله فقال سعد: يا رسول الله قد خفت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها، وقد بلغ بي الوجع ما ترى ولا يرثي إلا ابنة أفأصدق بكل مالي؟ قال: لا. قلت بالشرط يا رسول الله قال: لا. قال: في الثلث. فقال رسول الله: «الثلث والثلث كثير. أنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» /ق-وأحمد/، ثم وضع رسول الله ﷺ يده على جبهته فمسح بها وجهه وصدره وبطنه وقال: «اللهم اشف سعداً

وأتم له هجرته»، يقول سيدنا سعد: فما زلت يخيّل إليّ أني أجِدُ برد(دعاء رسول الله ويده) على كبدي حتى الساعة.

معشر الأحبة والصحب:

ويعافي الله تعالى سيدنا سعداً بركة دعاء رسول الله ويخرج إلى الحبيب الأعظم وهو مع صحبه فيقول رسول الله لمن حوله: «أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة»، فدخل سعد بن أبي وقاص /أحمد/. وفي اليوم التالي يكرر رسول مقالته فيقول: «يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع، حتى إذا كان الغد قال رسول الله: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة» فاطلع سعد بن أبي وقاص.

وهنا قال سيدنا عبد الله بن عمرو لسيدنا سعد: إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تنحلّ يميني، فقلت. قال أنس: فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر، فإذا صلى المكتوبة أسبع الوضوء وأتم ثم يصبح مفطراً. قال عبد الله بن عمرو: فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك غير أني لا أسمعُه يقول إلا خيراً، فقلت: إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله قال ذلك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» فاطلعت أنت فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدي بك لأنال ما نلت فلم أرك تعمل كثير عمل، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله، فقال: ما هو إلا الذي رأيت

غير أنني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ولا انوي له شراً ولا أقوله. قال قلت: هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطيع.

أيها المؤمنون:

لم يزل سيدنا سعد ملازماً رسول الله إلى أن توفي وهو عنه راض، فكان يستوصي بالأنصار خيراً لنصرتهم لرسول الله، فسأله ولده: يا أبة إني أراك تصنع بهذا الحي من الأنصار شيئاً ما تصنعه بغيرهم فقال: أي بني هل تجد في نفسك من ذلك شيئاً؟ قال: لا، ولكن أعجب من صنيعةك، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق».

وحين تولى الفاروق عمر ولاة العراق (الكوفة) فشكاه أهلها حتى قالوا فيه: إنه لا يحسن الصلاة. فقال سيدنا سعد: أما أنا فكنيت أصلي بهم صلاة رسول الله أركد في الأوليين وأخفف في الآخرتين، فقال عمر: ذلك الظن بك يا أبا اسحق. وأرسل سيدنا عمر رجالاً يسألون عنه في مساجد الكوفة فكان الناس يثنون عليه خيراً حتى قدموا على رجل قال فيه: إنه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية. فقال سعد: أما والله لأدعوه بثلاث: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن /خ/.

يقول جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، ويقول إذا سئل: شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد.

أيها الإخوة:

ورغم أن سيدنا عمر عزله لكونه جعله قبل وفاته من الستة أصحاب الشورى وأوصى الخليفة بعده أن يستعمله فولاه سيدنا عثمان الكوفة، فلما

قتل سيدنا عثمان اعتزل الفتنة ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة بل
لزم بيته، وجاءه ولده عمر وهو معتزل في إبله فقال (م) الناس يتنازعون
الإمارة وأنت ههنا فقال: يا بني إني سمعت رسول الله يقول: «إن الله يحب
العبد الغني الخفي النقي».

لكن سيدنا سعداً وقد بلغ أولاده أربعاً وثلاثين ولداً ق خشي عليهم أن
يموت عنهم صغاراً فقال: يا رب إن لي بنين صغاراً فأخّر عني الموت حتى
يبلغوا، فأخّر عنه مولانا الموت بعد هذه الدعوة عشرين سنة، فلما بلغ
الثمانين سنة خمس وخمسين احتضر ورأسه في حجر ولده مصعب، فبكى
ولده، فقال: ما يبكيك يا بني! والله إن الله لا يعذبني أبداً وإني من أهل
الجنة.

وهكذا معشر الإخوة الكرام كنا مع رجل من أهل الجنة، توفي خارج
المدينة بعشرة أميال، فحمله أصحابه وأهله وبنوه على الأعناق حتى دفن في
المدينة بالبقيع، وأن بلغوا به المسجد حتى أوقفت أمهات المؤمنين النعش
ليصلوا على صاحب رسول الله المجاهد الفارس، فصلوا عليه في مسجد
رسول الله ﷺ (م).

فمن أراد أن يكون معه هناك في أعلى الجنان، فليترض عنه هنا، وما
أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رفعتية ابن زيد وابن الجراح

الحمد لله المنزه عن أن يكون له نظراء وأشباه، المقدس فلا تقرب
الحوادث حماه، الذي اختار الإسلام ديناً وارتضاه. أحمد سبحانه وتعالى
وأشكره على نعمه وكرمه والجاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله شهادة توجب لنا رضاه. جعل له
أصحاباً فاختار كلاً منهم لصحبته واجتباها، وجعلهم كالنجوم بأيهم اقتدى
الإنسان واهتدى إلى الحق واقتفاه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى
أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

نحن اليوم في خاتمة الحديث عن العشرة المبشرين بالجنة، وكما سمعنا
وعلمنا فضائلهم ومكارمهم وحرصهم على السؤدد وذرائع الشرف ووسائل
ال عمران وبناء المجد والسعي بلا هوادة أو تراخ إلى إقامة دعائم الإسلام وبناء
الدولة الإسلامية.

أولئك أنصار الفضيلة والهدى أئمة دين الحق والخير والندى
بكل امرئ منهم علا دين أحمد وكل امرئ في المسلمين قد اقتدى
لقد كانوا ﷺ عناوين مجموعة من الفضائل والمكارم وغوالي النعوت
والصفات، وإن فعلهم وأخلاقهم وسجاياهم لتصل العبد بربه وتحسن علاقته
بسواه، وتجعله مذكوراً بالخير في القلوب وبالهيبه والإجلال في التاريخ.

لقد ابتلاهم الله تعالى واختبرهم لحمل راية الإسلام والجهاد في سبيله،
فقاموا بها خير قيام كما ابتلى الله تعالى بها خليله سيدنا إبراهيم بكلمات
فأتمهن.

نحن اليوم مع بقية العشرة أوائل الذين أسلموا ووقف إلى جوار النبي ﷺ
في المشاهد كلها جنباً إلى جنب، ومات رسول الله وهو عنهم راض، فهم
اتصفوا بالصفات نفسها لذلك نرى هذه الطبقة لا تفاضل بينهم فهم في
مرتبة واحدة تلي مرتبة الخلفاء الأربعة.

إننا أمام رجلين مباركين بطلين قائدين أميرين زاهدين ورعني مهاجرين
مجاهدين. هما سيدنا سعيد ابن زيد، وسيدنا عامر أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
ومع الحلقة الثامنة والثلاثين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.
إخوة الإيمان:

أما سيدنا سعيد بن زيد، فوالده سيدنا زيد بن عمرو بن نفيل قضى
حياته يطلب الدين الصحيح مع ورقة بن نوفل، فأما ورقة فتنصر، وأما
سيدنا زيد فأبى أن يدخل النصرانية وراح ينتظر خروج النبي الأمي الذي
سيظهر في مكة المكرمة، فراح يعود إلى مكة أدراجه وهو يردد نشيداً إيمانياً.
راح يقول: لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً.

كان طاهراً مطهراً على دين سيدنا إبراهيم الخليل. كان يسند ظهره إلى
الكعبة ويقول /خ/: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري.
وكان يحبي الموودة. يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها وأنا
أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك
وإن شئت كفيتك مؤنتها (خ).

ولذلك كان أهل التفسير يقولون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ كانوا يقولون: نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يوحدون الله تعالى زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو ذر، وسلمان: أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي.

فولده سعيد من الذين أسلموا قديماً هو وزوجته أم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر التي كانت السبب في إسلام عمر بعد ذلك.

معشر الإخوة الكرام:

قضى هذا الصحابي حياته في الجهاد في سبيل الله، وكان من ضمن الذين فتحوا بلاد الشام، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لثلاثي مجابي بسبب قرابته من عمر فيولّي، فتركه لذلك.

لكن سيدنا أبا عبيدة قائد الجند في فتح الشام. ولاه دمشق أي جعله أميراً عليها، لكنه اعتذر إليه لم يرضَ الإمارة أتدرون لماذا؟ لأنه أحب أن يكون مجاهداً في سبيل الله تعالى. لكن شاءت القدرة الإلهية أن يموت بأرضه بالعقيق في المدينة المنورة بعد أن ترك واحداً وثلاثين ولداً، فحمل إلى المدينة سنة خمسين في أيام معاوية وهو ابن بضع وسبعين سنة قضاها مجاهداً في سبيل الله تعالى فقولوا لِلَّهِ الشُّكْرُ.

أيها الإخوة المؤمنون:

وأما آخر العشرة فهو أمين هذه الأمة الأشرم لقب بالأشرم لأنه انتزع سهمين أو حلقتي الدرع من جبهة رسول الله يوم أحد، فسقطت ثنيته من أسنانه، وهو من حسنات الصديق أبي بكر فقد أسلم على يديه وهاجر الهجرتين.

إنه سيدنا أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الملقب بأمير
الأمرء بالشام، والذي قال فيه سيدنا مُحَمَّد ﷺ : «لكل أمة أميناً وإن أميننا
(أيتها الأمة) أبو عبيدة بن الجراح» (ق).

بعثه رسول الله إلى أهل نجران ليحكم بينهم بالحق، ويعلمهم السنة
والإسلام قال لهم لما طلبوا معلماً: «لأبعثن معكم أميناً حق أمين» (ق)،
هو رجل لا تأخذه في الله لومة لائم، كان سيفاً بتاراً على الكفر والكافرين
أتدرون لماذا؟ لأنه لقي أباه يوم بدر كافراً فقتله، فأنزل الله تعالى مدحاً يتلى
إلى يوم القيامة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ..﴾.

إنه أحد المؤهلين للخلافة وهو أحد المرشحين لها منذ وفاة سيدنا رسول
الله، حين اجتمع الصحب الكرام بسقيفة بني ساعدة، وقف الصديق ليختار
خليفة لرسول الله فتوجه بحديثه للمهاجرين والأنصار، فقال: وقد رضيت
لكم أحد الرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح.

فلما تولى الصديق سدة الخلافة كانت أحياء العرب تأتية من الآفاق
إليه إمداداً للمسلمين فيستعمل عليهم الرجل منهم ويخبرهم أن يمحضوا إلى أي
أمرائه أحبوا، فإذا قالوا: اختر لنا يا خليفة رسول الله أميراً نقاتل تحت رايته،
فكان يقول لهم: عليكم بالهين الدين الذي إذا ظلم لم يظلم وإذا أسىء إليه
غفر، وإذا قُطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين. عليكم بأبي
عبيدة.

فكانوا إذا قدموا إليه رأوه يسير في العسكر ويقول لهم: ألا ربّ مبيّضٍ
لثيابه ومدنس لدينه، ألا ربّ مكرم لنفسه وهو مهين لها بادروا بالسيئات

القديمات بالحسنات الحاداثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثمَّ عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها.

أيها الأحبة والصحب:

كلنا يعلم أن سيدنا خالد بن الوليد كان أميراً على الأبحار الذين فتحوا بلاد الشام زمن الصديق ﷺ لكنه ما أن تولى سيدنا عمر حتى كتب إلى سيدنا أبي عبيدة أن يكون أمير الجند بالشام وعزل خالدًا، عزله وولى أبا عبيدة ليجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد، فماذا فعل أمين الأمة حينما وصل قرار تعيينه أميراً لأمرء الجند؟

أيها الإخوة:

لقد سجل لنا التاريخ هذه المكرومة لسيدنا أبي عبيدة إذ كانت الحرب دائرة في الشام ، وكان المسلمون يتفائلون بقيادة سيدنا خالد، فكنتم أبو عبيدة الكتاب عن خالد وغيره، حتى انقضت الحرب وكتب خالد الأمان لأهل دمشق وأبو عبيدة الأمير وهم لا يدرون حتى مضى عشرون ليلة، إذ بخالد يدخل عليه ويقول: يغفر الله لك جاءك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟

اسمعوا جواب أمين الأمة (قولوا ﷺ) قال: يغفر الله لك ما كنت لأعلمك حتى تعلم من غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، وما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل، وإن ما نرى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان وقوام بأمر الله تعالى، وما يضر الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه.

فكم هي الأموال والعقارات التي جمعها أمير أمرء الجند في بلاد الشام، كيف كانت إمارته وقصره؟

اسمحو لي معشر الإخوة أن أنتقل بكم إلى هناك إلى أطراف الأردن حيث مقر القيادة الإسلامية وقد جاء إليه سيدنا عمر بن الخطاب في جولة تفتيشية فتلقيه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة قالوا: يأتيك الآن فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم طلب منه أن يدخل بيته فقال: وما تصنع؟ لكن عمر أصرّ، فدخل سيدنا عمر غرفةً وراح في العتمة يتحسس فلم ير شيئاً، قال: أين متاعك؟ ما أرى إلا لبدّاً وصحفةً وشناً وأنت أمير. هل عندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات من الخبز، فبكى سيدنا عمر وقال: غرتنا الدنيا كلُّنا غيرك يا أبا عبيدة.

وخرج سيدنا عمر وتابع جولاته التفتيشية لكنه جمع أصحابه فقال: تمنوا. فقال رجل: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله عز وجل. فقال: تمنوا. فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهرًا أنفقه في سبيل الله عز وجل وأتصدق به. ثم قال: تمنوا. قالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين. قال عمر: لكني أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح.

أيها الإخوة:

وقضى سيدنا أبو عبيدة إلى جوار ربه شهيداً بالطاعون الذي أصاب الشام سنة ثمان عشرة فحصل خمسة وعشرين ألف مطعون. نعاه سيدنا معاذ بن جبل حين وفاته فقال:

أيها المسلمون:

قد فجعتكم برجل ما أعلم أني رأيت عبداً أبرَّ صدراً ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حباً للعامة ولا أنصح منه، فترحموا عليه واحضروا الصلاة عليه.

وهكذا معشر الإخوة قضينا مع المرتبة السادسة من مراتب أفضلية
الصحابة.

أولها أولاد سيدنا مُحَمَّد ﷺ، ثُمَّ الصديق، ثُمَّ الفاروق، ثُمَّ ذو النورين، ثُمَّ
ذو الفقار حيدر سيدنا علي، ثُمَّ الستة تمام العشرة.

فما هي المرتبة السابعة في الأفضلية؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عليه في الجمعة القادمة إن شاء الله، وأعود
بكم من هناك إلى هنا، وما أدراكم ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس
فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

نخائل أهل بدر

- ١٣٩ -

الحمد لله الذي تعاضم ملكوته فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعزّ
من شاء ونصر ورفع أقواماً بحكمته وخفض أقواماً آخر.

نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل وقطرات المطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله ومجتباؤه من البشر، نبي شق عن صدره وشق له القمر، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والسور.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

كنت قد علقت معكم سؤالاً عن أبيات العقيدة حول مراتب الأفضلية للصحب الكرام وعن سبب هذه الأفضلية يقول ناظم الجوهرة:

وصحبه خير القرون فاستمع فتابعي فتابع لمن تبع

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة

يليهم قوم كرام بررة عدتهم ست تمام العشرة

فأهل بدر العظيم الشأن (أي فأهل غزوة بدر)

فنحن اليوم مع صحابة بنينا الذين شهدوا بدرًا فرتبتهم تلي مرتبة الستة تمام العشرة، لا فرق بين من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلاً ستة منهم من المهاجرين وبين من لم يستشهد فيها.

وكانت بدر أولى المحاولات الناجحة لبسط نفوذ المسلمين حول المدينة، وكان الهدف المباشر منها الاستيلاء على قافلة القرشيين التي يقودها أبو سفيان بن حرب زعيم معسكر الشرك في مكة، لكن مولانا أبي لعباده إلا أن تكون غنيمته أكبر ونصراً أعظم وعملاً أشرف ومجداً أبلغ فأبدلهم بالصبر نفيراً ونصراً وجهاداً بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، هذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين تتجلى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى

الطائفتين أنهما لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴿١٤٥﴾.

أيها الإخوة الكرام:

كانت هذه الغزوة في رمضان سنة اثنتين من الهجرة وسميت بغزوة بدر الكبرى على اسم الوادي الذي جرت فيه أو لبئر فيه بناها رجل في الجاهلية يقال له بدر وتقع على بعد ١٤٥ كم من الجنوب الغربي للمدينة المنورة والتي سمّاها رب العزة بيوم الفرقان يوم التقى الجمعان جمع المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين بلغ عددهم ٣١٤ رجلاً وجمع قريش الذين بلغوا ألفاً أو يزيد /د.م.أحمد/.

إنني وأنا أتكلّم عن فضائل أهل بدر لأرفع الرأس عالياً افتخاراً بهؤلاء الصحب الكرام فلئن مرّ معنا عشرة من المبشرين فإننا نحن اليوم مع ثلاثمائة وأربعة عشر صحابياً هم من أهل الجنة، فما أكثر أهل الجنة ممن لقي النبي سيدنا مُحَمَّدًا وآمن به، هذا كله إكراماً وشرفاً لسيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ.

إننا مع الحلقة التاسعة والثلاثين بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

خير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ /آل عمران/، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ /الأنفال: ٧٤/.

إخوة الإيمان:

أكرم الله الذين شهدوا بدرًا بإكرامات عظيمة تجعلهم في المرتبة السابعة من مراتب أفضلية الصحابة الكرام.

فهم أولًا كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر كما حدثنا به الصحابي الجليل البراء بن عازب /خ/ الذي يقول: حدثني أصحاب (سيدنا) مُحَمَّدٌ ﷺ ورضي عنهم ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ثُمَّ قال البراء (اسمعوا الشهادة العظيمة): لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

وتتجلى الفضيلة الثانية (السيرة الشامية) بعناية الله تعالى بهم حين سبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه ولم يصل إليه المسلمون فعطشوا وأصبح غالبهم جنبًا، فوسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبن وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكمون فيكم كيف شاؤوا، فوقع الخوف في قلوب بعضهم فمنعهم من النوم فأرسل الله لهم نعمتين عظيمتين، إذا بقدرة الواحد الأحد يرسل عليهم السماء مدرارًا مطرًا سال منه وادي بدر فاغتسلوا وشربوا وشربت دوابهم وملؤوا الأسقية وثبتت المطر رمل الأرض.

وألقى الله عليهم النوم ليرتاحوا مستعدين لمعركة غد، وأنزل رب العزة والجلال يذكرهم بهاتين النعمتين: ﴿إِذْ يَغْشِيَكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

فكيف قضى رسول الله ليلته؟ كيف قضى القائد الأعلى للأمة ليلة المعركة؟ إن سيدنا رسول الله قام يصلي تحت شجرة طول الليل حتى أصبح، هكذا فلتكن القادة متوجهة إلى الله بكليتها، قام مبتهلاً داعياً حتى قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض، اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن ظهوروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقول لك دين، وركع ركعتين وكان كثيراً ما يقول في سجوده إذ ذاك: يا حي يا قيوم، يكررها وهو ساجد حتى سقط رداؤه من كثرة ما ابتهل فألقاه عليه أبو بكر وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل رب العزة على نبيه ومصطفاه: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

ومشى رسول الله ﷺ في موضع المعركة وجعل يشير بيده ويقول: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، هنا مصرع أبي جهل، وهنا مصرع أمية بن خلف، وهنا مصرع عقبة بن ربيعة إن شاء الله، يقول الراوي: فما تعدى أحد منهم موضع إشارته.

وراح رسول الله يحرض المسلمين على القتال، فنقل كل امرئ ما أصاب من المقاتلين من سلاحه وفرسه وغيره.

وإليكُم الفضيلة الثالثة التي صرح بها سيدنا رسول الله فإنه قال لهم: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»

فما أدبر أحد من أصحاب بدر عن المعركة فقولوا ﷺ. فأين كان رسول الله ﷺ، في أي خندق، أحت الأرض أم فوقها، أبعد عن العدو أم قريب؟ لتسمع الدنيا الإذاعة الإيمانية التي نقلها لنا جدي سيدنا علي

(أحمد): يقول: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقرب من العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.

هذا فعل سيدنا رسول الله ﷺ فكيف كان فعل الواحد القهار؟ اسمعوا إلى الفضيحة الرابعة إذ أن القوم لما اصطفوا للقتال وكانوا ألفاً أو يزيدون ومعهم الفرسان والعتاد، إذا برز العزة يقللهم في أعين المسلمين حتى كان الصحابي يقول لأخيه: أترأهم سبعين أو أقل؟! وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذْ يَرْكُضُهُمْ إِذْ تُنْقِصُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

لكن رب العزة لم يتخلَّ عن المسلمين في المعركة، لقد أرسل ملائكته الكرام، نزلوا من السموات ليشاركوا بالقتال فعلياً في المعركة، يقول جدي سيدنا ابن عباس: لم تقاتل الملائكة إلا بيوم بدر، ولكنها تحضر في كل قتال من قتال الكفار إلى يوم القيامة لتكثير سواد المسلمين.

إن إبليس جاء بذريته في صورة رجال من بني مدج وجاء الشيطان في صورة سراقبة بن مالك وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما رأى سيدنا جبريل ومعه فرسه ضيروم ولى مدبراً وجعل يقول إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب /هق/.

احفظوا هذه القضية الإيمانية اليوم، إن الملائكة شاركت في غزوة بدر وقف جبريل في الميمنة مع رسول الله ﷺ وقال له خذ قبضة من التراب وارم بها في وجوههم، فرمى رسول الله ﷺ بالتراب وقال: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»، قال الراوي فما أحد من المشركين إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه من تلك القبضة فولوا مدبرين، وأنزل رب العزة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ /الأنفال: ١٧/.

وتروي لنا كتب الصحاح (م) أن رجلاً من المسلمين كان يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم ضيروم، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرّ مستلقياً فنظر فإذا هو خطمه رشق وجهه بضربة السوط، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة».

وعن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

فما الحكمة في قتال الملائكة وحضورهم مع المسلمين؟ مع أن الملك الواحد كسيدنا جبريل يقدر على رفع الكفار، بل على اقتلاع الأرض كما فعل سيدنا جبريل الذي أمره تعالى فاقتلع مدائن لوط وكنّ سبعاً منهم من الأمم والدواب وما لا يعلم إلا الله فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التي سومت لهم. ما الحكمة في حضور الملائكة المعركة مع أن الله قادر على فعل ذلك؟ لحكمتين:

الأولى: أن تكون الملائكة عدداً ومدداً لجيش المسلمين على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التي أجراها الله بين عباده.

الحكمة الثانية: أنه علم ﷺ أنه سيبقى منهم كثيرون يسلمون بعد ذلك.

نعم كان القتلى سبعين من أهل الكفر، ولكن هؤلاء الذين قتلوا كانوا لا خير منهم بالكلية، ثم إن مولانا حين شرع الجهاد بين حكمه في ذلك فقال: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا فشدا الوثاق

فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض.

وقال: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ /التوبة: ١٣-١٤.

أخبروني بالله عليكم (أيها الإخوة) أي الموقفين يشف غيظ المسلمين في قتل أبي جهل يوم بدر، أن يكون قتله على يدي شاب من الأنصار ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود يمسك بلحيته ويصعد على صدره حتى يقول له أبو جهل: لقد رقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم، ثم بعد هذا يحز رأسه ويحتمله حتى يضعه بين يدي رسول الله فيشفي الله به قلوب المؤمنين، ليس هذا خيراً وأبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه؟! لهذا لم نودي في جيش المسلمين إن الله قتل فرعون هذه الأمة أبا جهل، خر بعض الصحابة ساجداً لله تعالى.

أيها الإخوة:

الذين شاركوا من المؤمنين في غزوة بدر هم خيار الخلق وكذلك الملائكة الذين شاركوا فيها فقد جاء سيدنا جبريل إلى سيدنا رسول الله فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم قال ﷺ: من أفضل المسلمين فقال جبريل وكذلك من شهد بدرًا.

قصائد أصحاب بدر

- ١٤٠ -

الحمد لله الذي فضل البدرين بكرمه، الكريم الذي ستر العصاة بجلمه،
الحكيم الذي قهر العتاة بحكمه، العليم بكل شيء فلا شيء في الأرض ولا
في السماء إلا بعلمه. الرحيم الذي هو أرحم بعبده المؤمن من أبيه وأمه.
فسبحانه من حكيم يخلق ما يشاء ويختار، سبحانه من كريم جاد برزقه
على الأبرار والفجار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبار، أطلع من
أفلاك الجمال من بروج الكمال شمساً وقمرًا منيراً، وأخرج من خلال أشجار
الفتوة بيتاً لم يجعل له في العالمين نظيراً، رفع الرايات الأبدية لظهور الدولة
المحمدية.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله نبي حوى شرفاً وفضلاً كثيراً، وأخذ الله العهود على سائر مخلوقات الوجود تعظيماً له وتوقيراً، وأشرق بمحاسن أوصافه توراة وإنجيلاً وفرقاناً وزبوراً، وناداه العلي الأعلى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وسلِّم تسليماً.

أما بعد:

كانت غزوة بدر أول لقاء انتصف فيه الإيمان من الشرك، قضى الله عز وجل فيها على رؤوس الكفر الذين أعلنوا عداوتهم للإسلام طيلة العهد المكي للرسالة، وأكرم الله تعالى الصحابة الذين هاجروا من دار الكفر إلى دار السلام إكراماً لمن تكن لمن بعدهم، فقد شاركت في هذه الغزوة الإنس والجن والملائكة، وأمد الله الذين شهدوا بداراً قوةً وممدداً عظيمين جعلت الواحد منهم يقتل عشرة من كفار مكّة، هذه الحقيقة سطرها الآيات القرآنية على الموجات العاملة من سورة الأنفال، فقال عز وجل: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

يا أيها الأخوة:

إننا مع فضائل أصحاب بدر، ومع الدرس الأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

أَلْتَقَطْ لَكُمْ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْكَرَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لِلصَّحْبِ الْكَرَامِ، وَلَكِي تَشْهَدُوا ذَلِكَ بِأَمْ أَعَيْنَكُمْ، أَنْتَقِلَ بِحَضْرَاتِكُمْ إِلَى هُنَاكَ، إِلَى بَدْرٍ، فَالْمَعْرَكَةُ عَلَى أَشَدِّهَا، وَالسِّيُوفُ تَتَكَسَّرُ عَلَى السِّيُوفِ، وَأَرَى بَعِينَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينَ سَيِّدَنَا عَكَاشَةَ بْنَ مَحْصَنٍ الْأَسَدِيَّ يُقَاتِلُ قِتَالَ الصَّنَادِيدِ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْكَسَرَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ وَانْقَطَعَ، فَأَتَى إِلَى الْقَائِدِ الْأَعْلَى لِلْأُمَّةِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَأَعْطَاهُ جَذَلًا مِنْ حَطَبٍ (قَضِيْبًا-عُودًا) وَقَالَ لَهُ: قَاتِلْ بِهَذَا يَا عَكَاشَةُ، وَأَخَذَ عَكَاشَةُ الْقَضِيْبَ بِكُلِّ إِيْمَانٍ وَيَقِيْنٍ، فَهَزَّهُ بِيَدِهِ بِعِزَّةٍ إِيْمَانِيَّةٍ وَتَصْدِيقٍ فَرِيدٍ وَإِذَا بِهِ تَحْدُثُ الْمَعْجِزَةُ، إِذَا بِالْعُودِ يَنْقَلِبُ فِي يَدِهِ سَيْفًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، سَيْفًا طَوِيلَ الْقَامَةِ، شَدِيدَ الْمُتَنِ، أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبَقِيَ السَّيْفُ الْمَعْجِزَةُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى لَقِبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرِ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ، وَإِلَيْكُمْ هَذِهِ الْبَشَارَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَنْقُلُهَا لَنَا سَيِّدُنَا عَكَاشَةُ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ سَمِعَهُ يَقُولُ: «إِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ عَكَاشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعِلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ».

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ:

وَمَا أَنْتَهَى هَذَا الْمَشْهَدُ الْإِيْمَانِي حَتَّى تَبْعَهُ مَشْهَدٌ بَدِيعٌ عَظِيمٌ، فَقَدْ أَصَابَتْ عَيْنَ الصَّحَابِيِّ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَسَالَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا، فَسَأَلُوا طَبِيبَ الْقُلُوبِ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَا، فَدَعَاهُ فَعَمَزَ حَدَقَتَهُ بِرَاحَتِهِ، وَأَعَادَهَا إِلَى مَكَانِهَا وَمَسَحَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، فَعَادَ بَصَرُهُ إِلَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ قَتَادَةُ: فِيهِ أَحْسَنُ عَيْنِي، وَكَانَ حَفِيدَهُ يَنْشُدُ:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكفّ المصطفى أيما ردّ
يا سعد من صلى عليه.

معشر السادة:

وتتجلى الفضيلة الثامنة أن الله تعالى قد غفر لجميع من شهد بدرًا من الصحابة، هذه الفضيلة صرحت به الأحاديث النبوية الشريفة: إذ أن رجلاً من البدرين حاول أن يخون الله ورسوله، يدعى حاطب بن أبي بلتعة، (خ) حاول أن يبعث رسالة لأهل مكة عام الفتح يخبرهم فيها بقدم سيدنا رسول الله إليهم، لكن رب العزة ﷻ أخبر حبيبه ومصطفاه بذلك، فأحضر رسول الله الرسالة وصاحبته بمعجزة تعد من أعلام نبوته ﷺ فقال سيدنا عمر: ائذن لي يا رسول الله أن أضرب عنق حاطب فإنه خان الله ورسوله والمؤمنين، فماذا كان جواب سيدنا محمد ﷺ قال: (يا عمر): إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (فدمعت عينا سيدنا عمر وقال: الله ورسوله أعلم).

بل إن رسول الله أكد هذه الفضيلة الراسخة حين جاء عبد حاطب إلى رسول الله يشكو حاطباً ويقول: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرًا والحديبية.

لذلك عدّ العلماء أهل بدر من أهل الجنة بل في أعالي الجنان، وهذه الفضيلة التاسعة.

فعن سيدنا أنس رضي الله عنه (خ) أن سيدنا حارثة بن سراقة أصيب بسهم في حنجرته أثناء شربه من الحوض يوم بدر فمات على أثره، فجاءت أمه إلى سيدنا رسول الله فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع، فقال: «ويحك

أَوْهَيْبْتُ؟ أَوْجَنَةً وَاحِدَةً هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ ابْنُكَ أَصَابَ
الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى».

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ وَالصَّحَبُ:

فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيهُ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِ أَهْلِ بَدْرِ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي لَمْ يَكُنْ
فِي وَسْطِ الْقِتَالِ وَلَا فِي حُقُوقِ الْوَعْيِ، بَلْ كَانَ مِنَ النَّظَارَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَإِنَّمَا
أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبْتُ وَهُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ وَمَعَ هَذَا أَصَابَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ
الْفَرْدُوسَ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْجَنَانِ أَوْ أَوْسَطَ الْجَنَانِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الَّتِي
أَمَرَ الشَّارِعَ أَمَتَهُ إِذَا سَأَلُوا اللَّهَ الْجَنَّةَ أَنْ يَسْأَلُوهُ إِيَّاهَا.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ هَذَا الصَّحَابِيِّ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ كَانَ وَاقِفًا فِي نَحْرِ
الْعَدُوِّ، وَعَدَّوْهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْعَافٍ عَدَدًا وَعُدْدًا.

أَيُّهَا الْأَخَوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

انْتَهَتْ غَزْوَةُ بَدْرِ عَقِبَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقَدَّمَ سَيِّدُنَا جَبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ
أَنْثَى مَعْقُودِ النَّاصِيَةِ وَقَدْ عَصَمَ ثَنِييَهُ الْغَبَارُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ
بَعَثَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَلَّا أَفَارِقَكَ حَتَّى تَرْضَى هَلْ رَضِيتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
نَعَمْ.

أَيُّهَا الْأَخَوَةُ:

كَنتَ أَوْدُ أَنْ أَكْفَ الْبَيَانَ وَأَغْمَدَ الْبَنَانَ عَنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرِ، إِلَّا أَنِّي
رَأَيْتُ مَشْهَدًا كَانَ سَبَبَهُ أَهْلُ بَدْرِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَعُدَّهُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ هُوَ مَشْهَدُ
يَدْلِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالشَّرْكِ نَهَائِيَّةً، مَشْهَدُ يَدْلِ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ إِنْ لَمْ
يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغَيْرِهِ، مَشْهَدُ يَدْلِ عَلَى سُوءِ نَهَائِيَّةِ كُلِّ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ
وَمُلْحَدٍ، فَقَدْ أَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى مَكَّةَ لِيُخْبِرَ الْقُرَشِيِّينَ بِهَزِيمَةِ
صَنَادِيدِ الْكُفْرِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى الصَّدْمَةَ أَبُو لَهَبٍ، الَّذِي مَاتَ غَمًّا

وكمداً وهماً حين سمع النبأ، أبو هلب سأل بلهفة، أخبرني عن قريش في بدر، فقال الحارث: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس: لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء.

يقول أبو رافع مولى رسول الله وكان يكتنم إسلامه هو وأم الفضل زوجة العباس قال: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو هلب يده (من شدة غيظه) فضربه على وجهه ضربة شديدة، ثم احتمله وضرب به الأرض ضربة شجت رأسه شجة منكورة، ثم ولّى ظهره ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال (وهو يكظم غيظه ويحترق لنصر المسلمين وخذلان الشرك والمشركين) حتى رماه الله بمرض يدعى العدسة فقتلته، فماذا فعل الله به؟ ليسمع هذا الكلام من يتحدى الإسلام، إن أبا هلب تبّت يده تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن وخرجت رائحته، وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما يتقى الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكمما ألا تستحيان، إن أباكمما قد أنتن في بيته لا تدفناناه، فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه. فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم دحرجوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة.

هذه هي نهاية كل جبار يعادي الإسلام سيقتلون شر قتلة، سيصيبهم السرطانات والأمراض، وسوف ينتقم الله منهم في حياتهم وبعد مماتهم. وأما أولئك الذين حضروا بدرًا فهم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فمن أراد أن يكون معهم هناك، فليترض عنهم هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

مخاتل أهل الحرم

-١٤١-

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطول والمنن الجسام، الذي هدانا للإسلام،
وأوسع علينا جزيل نعمه وألطافه العظام، وأفاض علينا من خزائن ملكه أنواعاً من الإنعام، وكَرَّم
الآدميين وفضَّلهم على غيرهم من الأنام، وجعل فيهم سادة وقادة وصحابة برة يدعون بأمره إلى
دار السلام.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأسأله التوفيق لمداومة مراقبته ولزوم
طاعته على مدى السنين والأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي رفع منار التوحيد
والإيمان بما أقامه في الأرض من شعائر الإسلام.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله ماحي عبادة الأصنام و * آثار
الكفر ومعالم الأنصاب والأزلام.

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ وبارك وعظِّمْ وأنعم على هذا الرسول الكريم، والسيد
السند العظيم، سيدنا ومولانا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات
المؤمنين، وسلِّم تسليمًا.

أما بعد:

فقد كثرت النوائح في مكة على قتلها في يوم بدر، ولكن أبا سفيان وغيره من زعماء الشرك آنذاك أمرهن بكنتم حزنهن حتى يثأروا لقتلهم، فكاد كتمان حزنهم وبكائهم أن يقطع أكبادهم وقلوبهم واتفقت كلمة زعماء معسكر الشرك أن تجمع أرباح القافلة سبب غزوة بدر ليجهز بها جيش طويل عريض بلغ ثلاثة آلاف مقاتل. خرج بحده وحديده وأجاييشه ومن تابعه من القبائل، وأخرجت قريش معها نساءها حتى لا يفر الرجال من أرض المعركة، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُقْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، ووصل الخبر إلى المدينة المنورة إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ، فاستشار الصحابة في الخروج أو المكوث في المدينة فأثروا الصحب الكرام مواجهة مواجهة معسكر الشرك خارج المدينة، فاستنفر رسول الله الكتاب ثم خرجوا جميعاً إلى ظاهر المدينة بمسافة ٣ كم، كانوا ألفاً من المقاتلين ولكن حقير المنافقين انخزل قبل المعركة مع المنافقين وأنزل الله في المنخذين قوله تعالى: ﴿هُم لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ وعزى المؤمنين ببطاقة تعزية فقال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، قال مجاهد رحمه الله: ميّزهم يوم أحد المنافق من المؤمن. وهكذا معشر الأخوة بقي عدد المؤمنين سبعمئة فقط يقاتلون ثلاثة آلاف قرشي كلهم موتور من يوم بدر وكلهم على تأره حريض.

وثبت الله قلوب الصادقين بعد أن انخزل ابن أبي وعصمهم من أن تثبط همهم على الجهاد، وكشف الله نفسية المقاتلين المؤمنين في كتابه فقال: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾، وأمام جبل أحد قام القائد

الأعلى سيدنا رسول الله بتوزيع مواقع الجيش وجعل الرماة على جبل هناك
أمرهم برمي النبل لصدّ خيل كفار قريش.
معشر الأخوة الكرام:

إننا مع فضائل أهل أخذ من الصحب الكرام الذين يلون أصحاب بدر في الفضيلة ومع

الحلقة الواحدة والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الأيمانية من جامع الدرويشية. ومع بداية

هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا سفار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أولى هذه الفضائل ما حدث لسيدنا رسول الله مع خلّص أصحابه
حين وقف على جبل أحد، أحد الجبل الجماد، لم تسعه الفرحة لوقوف
الحبيب الأعظم عليه فراح يهتز طرباً وفرحاً وحباً بالحبيب الأعظم وهذه
شهد لها رسول الله ﷺ فقال: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، وهكذا اهتز الجبل
حباً بالنبي ﷺ فقال رسول الله: اثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً
وشهيداً، فالنبي هو سيدنا محمد ﷺ، والصديق هو سيدنا أبو بكر،
والشهيدان سيدنا عمر وعثمان رضي الله عنهما. إن غزوة أحد أنزل فيها مولانا عز
وجل ستين آية من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّى الْمُؤْمِنِينَ
مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾، الأرض التي وقف عليها الحبيب الأعظم وقد اجتمع الجمعان
فرفع سيفاً في يده ونادى: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام رجل اسمه أبو

دجانة سمالك بن خرشة وقال: وما حقه يا رسول الله، قال: حقه أن تضرب به في سبيل الله حتى ينحني فقال أبو دجانة: أنا لها يا رسول الله، وكان رجلاً شجاعاً يَحْتال عند الحرب فأمسك بالسيف وأخرج عصابته الحمراء عصابة الموت التي يعلم الناس أنه إذا عصبتها فإنه سيقاتل حتى الموت، جعل يتبختر بين الصفين وأهل الشرك ينظرون إليه من بعيد ونظر رسول الله فقال: إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموطن. إنه افتخار المسلم بالإسلام ضد الشرك أو هي معنى من معاني الحرب النفسية التي ينبغي ألا يفوت المسلمين أهميتها، وقدم عمرو بن الجراح للقتال وكان أعرج فقال له رسول الله إن الله قد أعذكرك فقال: * الإخوة، وأعطى القائد الأعلى الإذن بالمبارزة، وتحيج الناس للقتال بعد مقتل الفوارس المبارزين، ونادى سيدنا حمزة صيحة القتال: يا منصور أمت أمت والتحم الجيش والتقت السيوف ولمعت بوارقها وانطلق سيدنا علي في أرض المعركة بسيفه ذي الفقار يقطع رؤوس الكفار بسيفه البتار حتى قتل تسعة قواد، كلما رأى جماعة من الكفرة انقض عليهم وفرق جمعهم وشملمهم حتى أبدى سيدنا جبريل وكان على يمين رسول الله يقاتل حق أشد القتال مع سيدنا ميكائيل، أعجب به بما إعجاب فقال له رسول الله ﷺ: أتعجب من علي، إن علياً مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما. فسمعوا صوتاً في أرض المعركة يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وسطرّ فريق الإيمان فضائل عديدةً ونصرًا ساحقاً على فريق الكفر ورأوا الجنة خلف ظلال السيوف التي راحت تلمع بالدماء، وتراجع أئمة الكفر من قريش وانكشفوا منهزمين لا يلبسون على شيء وألقت النساء الدفوف وقصدن الجبل هاربات ودوى صوت الإيمان الصادق وارتفعت كلمة الحق على أرض المعركة لم ترهبها قوة قريش ولم تضعع من عزماها

قوة الباطل، وإذا بالقيادة المحمدية تفخر بالقيادة العسكرية وانتهت الجولة الأولى بالنصر الساحق للمؤمنين وفيها يقول رب العزة: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ﴾ أي تستأصلوهم عن آخرهم استئصالاً.

وابتدأت الجولة الثانية للمعركة حين ترك الرماة الجبيل ونزلوا يجمعون الغنائم. ورأى القائد الفذ خالد بن الوليد قائد ميمنة المشركين كيف ترك الرماة الجبل مع ثلة من فرسانه وجاء من ظهور المسلمين وهم يجمعون الغنائم، وانتبه المسلمون في آخر لحظة واستلوا سيوفهم من أعمادها، ولكن هيهات هيهات، فراحوا يقاتلون بقوة مبعثرة وكتائب متفرقة، وثبت الخلل من الصحب الكرام منهم الصديق والفاروق وعلي ومصعب بن عمير وكلمة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن الربيع وحنظلة بن أبي عامر وغيرهم، وكان سيدنا مصعب حامل لواء المهاجرين راح يقاتل بجواره وهو يلبس درعه ولأمته، وكان يشبه رسول الله حتى يلبسها، وهو يقاتل بقوة يحمل لواء رسول الله بيد والسيف باليد الأخرى. وتشتد صدقه قريش على المسلمين فينكشفون بسبب مخالفتهم أمر القائد العظيم ويتفرقون عن اللواء ولكن مصعباً أثبت قدمه في الأرض محتفظاً بلواء سيدنا رسول الله جهد الاستطاعة، ويقبل عليه فارس من قريش فيضرب يده بالسيف فيقطعها ويسقط اللواء فيسرع مصعب ويتناول اللواء بيده الأخرى ويرفعه عالياً، ولكن فرسان قريش تتكاثر عليه ويضربه أحدهم على يده الأخرى فيقطعها وتبقى قدمه ثابتة لا يزول ولا يميل، وما زال اللواء مرفوعاً يضم عليه عضديه ويغيظ ذلك فرسان قريش فيكرون على مصعب وينفذون رماحهم في صدره فيسقط ويسقط معه اللواء فيتلقى اللواء أخوه أبو الروم.

ونادى منادٍ: ألا إن مُجَدَّاً قد قتل ووهنت العزائم وازدادت الفوضى وعظمت البلوى واندفع كفار قريش فاستماتت طائفة وتراجعت طائفة، وكان سيدنا حمزة يقاتل كأنه الجمل الأورق يهدُّ الناس بسيفه هدّاً ما يقف في وجهه شيء وكانت عين خفية من وراء الجند ترقب أسد الله حمزة تريد أن تنال منه طعنة برمح هي عين وحشي بن حرب أرسل خصيصاً للثأر من سيدنا حمزة، وراح يتهيأ له ويستتر منه ويهز حريته حتى إذا ارتضاها دفعها عليه فوقعت في أسفل بطنه وخرجت من بين رجله، فخر شهيداً على الأرض، ونادى منادٍ قتل حمزة واهتزت الأرض بالندائين، وخارقت القوى وتراجع المسلمون نحو الجبل، وفي هؤلاء قال مولانا عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، لكن أبا دجانة ثبت في ساحة الوغى، وكان سيفه لا يدع أحداً يمر تحت حدّه إلا أطاح به، وأسرع الناس نحو جبل أحد يصعدونه فرأهم سيدنا أنس بن النضر فقال لهم: أين تتراجعوا؟ فقالوا: إن رسول الله قد قتل، فقال: وماذا تفعلون بالحياة بعد مُجَدَّ، هلموا فقاتلوا على ما قاتل عليه، فلما رأى إعراضهم قال اللهم إني أبرأ إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء هؤلاء ثُمَّ شَدَّ بسيفه فقاتل قتالاً منقطع النظير حتى استشهد ولم يعرفه أحد من كثرة الطعنات والضربات في جسده حتى عرفته أخته من أصبعه ﷺ.

ونظر ثابت بن الدحاح تعهر المسلمين فناداهم يا معشر الأنصار إن كان مُجَدَّ قد قتل فإن الله لم يقتل فقاتلوا على دينكم ثُمَّ قاتل حتى استشهد. وأنا أسأل لم هذه التضحية، ولم هذا الإقدام، ولم هذه البسالة؟ أليس هو الإيمان الراسخ، أليست هي الفضائل العظيمة؟ أليست هي العقيدة التي

جعلت لقاء الله أحب إليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم؟ بلى، ثمَّ بلى ورحم الله
القائل:

**وإذا العقيدة لامست قلب امرئ كانت له في التضحيات
روائع**

فعودةً إلى الإيمان، عودة لعقيدة التوحيد قادةً وجنوداً وحماة الثغور،
عودة إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن
يوحد الله.

لا إله إلا الله

* * *

مرفعية الأحديين

الحمد لله الذي اصطفى لنبه خلاصة الأمة الأعلام، وجعلهم كواكب
يهتدي بهم كل ضال في حلك الظلام، دحض بهم الشرك والمشركين بجوار
بيته الحرام، وجعلهم هداة دينه دين الإسلام.

أحمدته سبحانه وأشكره وأستزيده من ذي الطول والإنعام.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الناصر العالَم.
وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المفضل على جميع الأنام الشفيع
يوم الزحام، سيد الأنبياء والرسل الكرام. سيدي أبا القاسم يا رسول الله:
رسول الله ضاقت أرسل الفرجا فإنني لك قد أضمرت ألف رجا
أنت الرسول إلينا والشفيع بنا يوم القيامة من أن نصطلي الدهجا
أنت الحبيب الذي في القلب منزله ومن محبته تستملك المهجا
صلى وسلم مولانا عليك بلا نهاية ما أتى صبح وزال دجا
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى
أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقبل أن أتابع مع حضراتكم ذكر فضائل أهل أحد أريد أن أبين حقيقة
هامية، أو أريد أن أردَّ على دعوى نفاقية تقول: إن يوم أحد كان هزيمة، هذه
الدعوى النفاقية التي تخالف الأعراف العسكرية لأن الهزيمة في عرف
المقاتلين لها أحد أسباب ثلاثة:

١- إما اغتصاب الأرض والاستيلاء عليها.

٢- وإما تغيير عقيدة الجيش.

٣- وإما القضاء عليه.

هذه هي أركان الهزيمة، فإذا طبقنا هذه الأركان على يوم أحد بان لنا أن غزوة أحد لم تكن هزيمة بل كانت نصراً، إذ أن المعركة كانت خارج المدينة بثلاثة أميال، ولم تمس المدينة بأي سوء، أي لم تغتصب الأرض. والمسلمون لما دخلوا المعركة دخلوا موحدين وبقوا موحدين بعد المعركة وما زالوا يقولون لا إله إلا الله ولم يقض على الجيش، إذ أن الشهداء بلغ عددهم سبعين، سبعون من سبعمئة، هذه ليست هزيمة، لم يقض على الجيش، ولم تغتصب الأرض، ولم يغير المبدأ والعقيدة، وبهذا ظهر لنا جلياً أن أحداً ليست هزيمة، إن الهزائم لا تنزل على المؤمنين الصادقين، لأن رب العزة يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. إن الهزائم تنزل على المنافقين والملحدين.

أيقال عن جيش يقوده سيدنا مُحَمَّد إنه قد هزم ألم يكن النبي مؤمناً؟ أليس قد قال رب العزة إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا، أليس قد قال مولانا: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّا أَنَا وَرُسُلِي﴾. هكذا قضى مولانا في كتابه، إن أحداً لم تكن هزيمة بل كانت نصراً، إن أحداً مرت بثلاث جولات، الجولة الأولى كان النصر فيها للمسلمين، والجولة الثانية انتهت بالثبات الأكيد ولم يُسمَّها القرآن هزيمة، إنما قال فيها: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ﴾ (أي النصر) منكم من يريد الدنيا (أي الغنائم) ومنكم من يريد الآخرة (وهم الذين أطاعوا رسول الله وثبتوا مكانهم) ثُمَّ حَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَقَدِ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ انتهت الجولة الثانية بالثبات الأكيد وصمد أكثر أبطال المسلمين.

إننا مع الجولة الثالثة من فضائل أهل أحد، ومع الدرس الثاني والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إخوة الإيمان:

تظهر لنا فضائل الأخديين بشكل واضح وجلي في الجولة الثالثة للغزوة فقد اشتد البلاء العظيم وانتشرت القتلَى، واشتدت وطأة الكفار على المسلمين وتفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة، وحجب الله الشهادة للأبطال، وهون عليهم الحياة وزادهم إيماناً وتسليماً، وخاصة حينما أصاب العدو منهم سبعين بالشهادة حتى خُلص إلى سيدنا رسول الله ﷺ وأصيب بحجارة المشركين فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وجرحته شفته، ودخلت حلقتا المفغر في وجنتيه ﷺ فجعل أبو عبيدة ينزعهما بأسنانه فسقطت اثنتان منهما، ومصَّ مالك بن سنان الدم من وجه رسول الله ﷺ ثمَّ ازدرده فقال ﷺ: «من مسَّ دمه دمي لم تمسَّه النار». ثمَّ قال: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل رب العزة والجلال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ونادى رسول الله ﷺ الصحب الكرام على صخرة: «إني عباد الله، إني عباد الله» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً جعلوا يسرون بين يديه منهم طلحة وسهل بن حنيف. وراح سيدنا طلحة يرمي بين يدي النبي ﷺ والنبي خلفه تيرس به وكان رامياً، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه فينظر أين يقع السهم، ويرفع طلحة صدره ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، حتى كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة (خ) حتى أصابه سهم في يده

فتبيست يده (شلت) فقال: حس فقال له رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفقتك الملائكة»، وترس أبو دجانه بنفسه عن رسول الله ﷺ وقاتل قتالاً شديداً بسيف رسول الله ﷺ، واستلم سيدنا سعد الرماية عن سيدنا طلحة فراح يرمي بالنبال حتى انتهت السهام فأعطاه رسول الله سهم المعجزة يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: أعطاني رسول الله سهماً حين انتهت سهامي فكنت كلما رميت به قتل كافراً ثم عاد إلي السهم من جديد.

أيها الإخوة:

وفي خضمّ المعركة يلقي الله أماناً على من تعب من المقاتلين ما هو هذا الأمان؟ إنه النعاس، هذا الأمر العجيب الذي يحدثنا عنه سيدنا أنس عن أبي طلحة وهو يقول (خ) كنت ممن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط وأخذه. يشهد لهذه الفضيلة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

معشر السادة:

إن حصول النعاس في بدر وأحد حال التحام الحرب لأكبر دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأنيده وتمام توكلها على خالقها وبارئها، فالنعاس في الحرب من الإيمان والنعاس في الصلاة من النفاق (ابن مسعود).

أيها الإخوة المؤمنون:

وانتهت الجولة الثالثة ولم يسمّها القرآن هزيمة، نرى ذلك عندما تفقد رسول الله أصحابه فلم ير سعد بن الربيع فطلبه بعض الأنصار فوجدوه جريحاً فقيل له: إن رسول الله يسأل عنك، فقال: أبلغ رسول الله مني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن

أمته وأبلغ قومك مني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا غدر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ونظر رسول الله فرأى سيدنا مصعب بن عمير وهو مقطوع اليدين وفيه أثر ضربات السيوف وطعنات الرماح فتلا قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾، ثم قال: «إن الله عز وجل يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة».

وراح رسول الله ينظر إلى الملائكة وهي ترفع أرواح الشهداء فرأى روح عمرو بن الجموح الأعرج فقال لأصحابه: «إن عمرو بن الجموح يطأ الآن الجنة بعرجته».

ورأى الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر فقال لصحابته: «إن الملائكة تغسل حنظلة فاسألوا أهل بيته»، فسألوا فقالت زوجته: إنه خرج جنباً حين سمع نداء الجهاد، فقال ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»، فكان يدعى مغسل الملائكة.

أيها المسلمون:

وفي أثناء جولته التفقدية للقائد الأعلى للأمة على أرض المعركة تقع عينيه على عمه وأخيه في الرضاعة . سيدنا حمزة وقد مثل به وبأصحابه، رآه وقد قطعت أذناه وجدع أنفه وبقر بطنه. فقال: «لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا الموقف، والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الزمن لأمثلن بهم مثلةً لم يمثلها أحد من العرب».

فماذا كان ردّ ربك على ناشر الهدى وواسع الندى؟ لقد أرسل الأمين جبريل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء. أرسله ببرقية عزاء عاجلة في حمزة وأصحابه. اسمعوا نص البرقية كما نزل:

﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم هو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

ونزلت هذه البرقية على قلب سيدنا مُحَمَّد ﷺ برداً وسلاماً وقال: «بل أرضى وأصبر». ونهى عن المثلة في القتلى.

وتابع رسول الله جولاته التفتيشية فرأى سيدنا جابر بن عبد الله ووقف بجوار والده عبد الله رآه وهو كلما كشف الغطاء عن وجهه بكى، ورأى عمه جابر تبكي أخاها، فقال لهما: تبكيه أولاً تبكيه لم تنزل الملائكة تظلمه حتى رمغتموه. ثم التفت لسيدنا جابر فقال: «ألا أخبرك ما فعل الله بأبيك؟. إن الله لم يلق أحداً من العالمين إلا من وراء حجاب إلا أباك لقيه بلا حجاب» وقال له: «تمن علي يا عبد الله» فقال: يا رب أريدك أن تعيدني إلى الدنيا لأقاتل فيك ثانية. قال: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون، قال: فأخبر عني الناس. فأنزل رب العزة مبيناً فضائل أهل أحد والشهداء: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله. ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل أن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ / آل عمران ١٦٩-١٧١.

أيها الأوبة والصحب:

وجاءت أم سعد بن معاذ تسأل عن شهداء غزوة أحد ماذا أعدَّ الله لهم؟ فقال ﷺ: «أبشري وبشري أهل القتلى أنهم في الجنة جميعاً وأنهم قد شفَعوا في أهلهم يوم القيامة».

أمة الحبيب الأعظم:

كنت أود أن أسدل الستار على فضائل الأحديين، إلا أنني رأيت حدثاً عظيماً جرى في عهد سيدنا معاوية حين أجرى عين ماء لأهل أحد، فحفر الماء قبر صحابيين جليلين هما عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام وكانا في قبر واحد، فنظر الناس إليهما فإذا هما كأنهما دفنا الآن. نعم إن شهداء أحد لم تسلط عليهم الأرض فبقوا على هيئتهم ليعثوا يوم القيامة وهم لم يمسوا بأذى بل كان أحدهما قد جرح في صدره ووضع يده على جرحه لكي لا ينهر الدم، فلما نقل الصحابيَّان إلى قبر جديد. رفع رجل يد الصحابي من على صدره ليضعها بجواره، فإذا بالدم ينفر من صدر الصحابي ﷺ.

وهكذا حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والشهداء الصادقين.

ووقف رسول الله آخر الغزوة ليبين فضائل الأحديين. حين وقف أبو سفيان يقول: إن الحرب سجال يوم بيوم، فقال له رسول الله: «لا سواء قتالنا في الجنة وقتلاككم في النار»، فقال أبو سفيان: لنا القرى ولا غرى لكم، فقال النبي: «أجيبوه: الله مولانا ولا مولى لكم».

الله مولانا ولا مولى للكافرين مهما ضعفت الأمة، ومهما استكانت الأنفس، ومهما جرى في فلسطين والسودان وتونس وتركيا والعراق والشيشان، الله مولانا الله ناصرنا، وما علينا إلا الاستعداد للقاء العدو. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

هنا مدرة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

رَفْعُ خَلْقٍ مِنْ شَمْسٍ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

- ١٤٣ -

الحمد لله معز الإسلام بنصره. ومذلّ الشرك بقهره، ومصرف الأمور
بأمره، ومزيد النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره الذي قدّر الأيام دولاً
بعدله، وجعل العقابة للمتقين بفضله.

أحمده سبحانه وتعالى على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصره
أنصاره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جلّ عن الشبيه والنظير،
وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه أعرف الخلق به وأعلاهم عنده منزلة وأوسعهم عنده شفاعة.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وسلّم تسليمًا.

أما بعد:

فأقف اليوم بإجلال وإكبار أمام تلك الثلة المباركة التي صحبت سيدنا مُحَمَّدًا رسول الله ﷺ، فقد أصبح المسلمون في الجزيرة العربية وقد كثرت الغزوات والسرايا التي شهدها رسول الله والصحب الكرام، وأصبحوا في قوة وصاروا مصدر رعب المشركين وهزيمتهم.

وهاهم في أواخر العام السادس للهجرة يشتاقون إلى زيارة الكعبة المشرفة: البيت العتيق، بيت آبائهم وأجدادهم ومتعبّدهم وقبلتهم، هاهم وقد مضى ست سنين ولما يتشرفوا بزيارة هذا البيت يتطلعون بنفس مشوقة إليه، وأذكي هذا الشوق وقوى هذا الأمل في نفوسهم رؤيا رآها سيدنا رسول الله، رأى أنهم يدخلون المسجد الحرام مخلقين رؤوسهم ومقصرين.

ولكن كيف يكون ذلك، والمشركون حريصون على صدهم عن البيت العتيق، وأهون عليهم أن يموتوا جميعاً من أن يدخلها عليهم المسلمون عنوة؟! هنا ظهرت براعة رسول الله، إذ رأى بثاقب فكره أن يدعو العرب من حوله ليخرجوا معه معتمرين كي تعلم قريش أنه لا يريد حرباً وإنما يريد زيارة البيت العتيق.

فخرج رسول الله نحو مكة المكرمة في زهاء ألف وخمسمئة من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من الأعراب يسوق سبعين بدنه هدياً بالغ الكعبة، وأحرم بالعمرة مع أصحابه.

كان هذا هو موجز الأنباء في سبب فضائل أصحاب الحديبية الذين يلون أهل أحد في الفضل، وإليكم الفضائل بالتفصيل مع الدرس الثالث والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وخير ما نستهلّ به قضيتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (على فرض حدوثه) ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً. لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً. ﴿

ما أن علمت قريش بخروج سيدنا النبي ﷺ إلى مكة حتى جهزوا الفرسان وقالوا: والله لا يدخلها علينا عنوة. لكن رسول الله غير جهة طريقه حتى وصل إلى وادي الحديبية حيث بركت ناقته فقال الناس: خلأت (حزنت) فقال ﷺ: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة (الناقة العجماء حبست نفسها لا تريد أن تنتهك حرمة البيت الحرام) لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم

إياها»، ثُمَّ أمر الناس بالنزول. فقال الصحب الكرام: ليس بالوادي ماء يا رسول الله.

وهنا تتجلى الفضيلة الثانية التي أكرم الله بها أهل الحديبية، إذ أن الأولى امتثالهم أمر النبي بالخروج معه. ولكي أنقل لكم الفضائل تباعاً اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى عصر النبوة، إلى النبي الأكرم والرسول الأعظم إلى القدوة العليا في الدين، إلى الكمال المطلق في الرفعة والسؤدد، إلى سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ.

سلامي على خير الأنام وسيدي وحبيب رب العالمين محمد

بشير نذير هاشمي مكرم عطوف رؤوف من يسمى بأحمد
صلى عليك الله يا علم الهدى ما لاح بدر في السما بتوقد
إن رسول الله لما علم أن الوادي ليس فيه ماء أخرج سهماً من كنانته
فأعطاه رجلاً من أصحابه لينزل ببئر هناك فغرز في جوفه، يقول الراي يا
سادة يا كرام: فنظرنا في البئر فإذا بالماء ينبع وينبع ويزداد وترتفع حتى ملأ
البئر ببركة رسول الله وبإذن الواحد القهار.

أيها الأعبة والصحب:

وأقبلت رسل قريش تريد أن تثني رسول الله عن دخول مكة فكان ممن
جاءه عروة بن مسعود الثقفي، إنني اليوم أريد أن أسجل سطوراً من ذهب
وأخرى من نور موقف الصحب الكرام أهل الحديبية في الدفاع عن الإسلام،
وفي احترام وتبجيل سيدنا مُحَمَّد.

إن عروة قدم رسولاً عن قريش، وهاهو يجلس بين يدي رسول الإنسانية
ونبي السلام (صلوا عليه). قال له: يا مُحَمَّد! أجمعت أوشاب الناس
(أخلاقهم) ثُمَّ جئت إلى بيضيك (بلدك) لتفضها بهم، إنها قريش قد

خرجت ومعها العوذ المطافيل (جاءت بمن يمنعك دخول مكة) قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وأيم الله لكأني بهؤلاء (يعني الصحابة) قد انكشفوا (فروا) عنك غداً.

فنظر إليه صديق الأمة وكان خلف رسول الله وقال: أنحن ننكشف عنه (أيها المخادع)؟! فقال عروة: من هذا يا محمد؟ فقال ﷺ: «هذا ابن أبي قحافة». قال عروة: أما والله لولا يد كانت لك عندي (فضّلت علي في الماضي) لكافأتك بها (لرددتها عليك) ولكن هذه بهذه.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: وكان عروة وهو يكلمه يتناول لحية رسول الله، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله وهو مدجج في السلاح، فجعل يضرب يد عروة بنعل سيفه وهو يقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك. فيقول عروة: ويحك ما أفظك وأغلظك. هذه هي العزة الإسلامية بالدفاع عن المقدسات وتعظيمها، ومن هو أعظم من سيدنا رسول الله.

تعالوا بنا نرى عروة وهو يرمق أصحاب النبي ﷺ كيف يتصرفون في حضرة السيد الأعظم ﷺ: رآهم لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً بفمه الطاهر العذب إلا ابتدروه وجعلوا يتبركون به، وإذا أمرهم ابتدروا أمره (أيهم ينفذ أمره) وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه. فكيف رجع عروة إلى قومه؟ إن عروة رجع إلى قريش وهو يقول لهم: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد ﷺ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فسروا رأيكم.

أرأيتم (أيها الإخوة) فضائل أهل بيعة الرضوان؟ لقد اعترف العدو بفضلهم قبل الصديق، أرأيتم مدى ما وصلوا إليه من مستوى محبتهم لسيدنا رسول الله؟ إنها لتدل على أنه لا إيمان لمن لا محبة له ولأن أكبر دلائل المحبة التبرك بآثاره ﷺ، وحسب أهل الحديبية هذا الشرف والحب الذي استبد بقلوبهم لرسول الله.

معشر السادة:

ودعا رسول الله سيدنا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكّة فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له، فقال الفاروق: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعي وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعزّ بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله سيدنا عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه إنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة فلما دخل عثمان مكّة لقي أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ. لكن قريشاً رفضت رفضاً باتاً ما أراد رسول الله. ولكنها قالت له: أما صاحبك فلا يدخلنها، وأما أنت فإن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فماذا كان جواب ذي النورين؟ ليسمع هذا الكلام رسل السلام وسفراء الدول، كيف تكون السفارة: إن سيدنا عثمان قال: ما كنت لأطوف بالبيت حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل. فقال ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ونادى بالناس إلى البيعة التي كانت تحت شجرة في وادي الحديبية. بايعهم على الثأر لمقتل عثمان بايعهم على الموت على ألا يفروا من المعركة، فبايع الناس جميعاً، وبعد أن تمت البيعة ضرب رسول الله كفاً بكف (يداً بيد) وقال: «وهذه بيعة عثمان». فكانت

يد رسول الله لعثمان خيراً من يده لنفسه. وبارك الله هذه البيعة ورضي عن أصحابها جميعاً حتى سميت ببيعة الرضوان. فعلى موجات سورة الفتح: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم فأثابهم فتحاً قريباً﴾.

وأمام نشوة البيعة أصبح الأبرار على استعداد لمناجزة القوم وجعلوا يترقبون يوم الظفر ويوم الاستشهاد بنفس راضية وقلب مطمئن. وإنهم لفي هذه النشوة إذ ترامى إليهم أن سيدنا عثمان لم يقتل، ثم ما لبث أن جاء إليهم سالماً وبذلك كفى الله المؤمنين القتال وحقق رغبتهم في السلام (خ). وقدم الناس إلى رسول الله يشكون إليه قلة الماء، ويقولون: ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا ما في ركوتك. فوضع رسول الله يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون:

وأفضل المياه ماء قد نبع من بين أصابع النبي المتبع

قال: فشرب الصحابة وتوضؤوا. فقبل جابر راوي الحديث كم كنتم يومئذ فقال: لو كنا مئة ألف لكفانا (يا سعد من صلى عليه).

أيها الأحبة والصحب:

وأرسلت قريش سهيل بن عمرو وقالوا: ائت مُجَدِّاً وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عن عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً.

وما أن رآه رسول الله قادماً حتى قال: «لقد سهل لكم من أمركم».

أيها الإخوة:

نحن اليوم مع نموذج من نماذج مؤتمرات السلام، مؤتمر راعيه رسول السلام والإنسانية وقد تساهل رسول الله مع قريش فيه تساهلاً جعل

الصحابة في حيص بيص، فقد وافق رسول الله على أن يرجع هذا العام ليأتيها في العام المقبل وعلى وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، وأن من أتى رسول الله مسلماً من قريش رده رسول الله إليها، ومن أتى قريشاً مرتداً فلا يردونه، ومن أحب أن يدخل في عقد رسول الله دخل أو عقد قريش دخل.

لكن الأفضلية في هذه القضية تظهر حين أراد رسول الله أن يسطر هذا العقد بيد سيدنا علي إذ قال له: «اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فقال سهيل: لا أعرف هذا. ولكن اكتب باسمك اللهم. ثم قال رسول الله: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. وهنا تتجلى الأفضلية إذ أن سيدنا علياً أبى أن يمحو اسم سيدنا رسول الله وقال: لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله: أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها (م).

وهنا كان الفارق وجد في نفسه حرجاً في شرط رد المسلمين إلى قريش، فأراد أن يستبين وجه الحق فيه فأتاه فقال: ألسنت برسول الله؟ قال: بلى قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله: أنا عبد الله ورسوله، لن أخاف أمره ولن يضيعني. قال: أولم تخبرنا أنا سندخل البيت الحرام؟ فقال رسول الله: أفأخبرت أنك تأتيه هذا العام؟ قال: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

وهكذا (أيها الإخوة) اعترفت قريش بالمسلمين اعتراف الند بالند، وفي ذلك دعاية لا يستهان بها وفيه تمهيد لاتساع نفوذ الإسلام وسطوته. وضمنت هذه الهدنة للمسلمين الانصراف إلى تبليغ دعوة الإسلام في كافة

أنحاء الجزيرة وما يتاخمها من الدول والإمارات، وهذا ما كان فقد كاتب رسول الله الملوك والأمراء، وبذلك انتشر الإسلام أضعاف انتشاره من قبل، ولقد دخل في السنتين بعد الصلح مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، وليس أدل على هذا من أن المسلمين كانوا في الحديبية ألفاً وخمسمئة وكانوا في فتح مكة عشرة آلاف (ابن هشام ٢-٣٢٢).

ولهذا يقول الصديق: ما كان فتح في الإسلام اعظم من فتح الحديبية...

ولم يرتد من المسلمين أحد إلى المشركين، وبذلك تجلّى للصحابة أن احتمالهم لتلك الشروط كان عين النصر لهم، وإن المشركين ذلّوا من حيث تأملوا العزّ، وقهروا من حيث أظهروا القدرة والغلبة. وكان هذا الصلح توطئة لفتح مكة لنبيه، فتح مرحمة وسلم لا فتح ملحمة وقتال، فتحاً يتسارع الناس فيه إلى دين الله أفواجاً.

وأعطى رسول الله أصحابه وساماً رفيعاً علّقه على صدورهم فقال لهم: «أنتم خير أهل الأرض» (خ) وقال لهم: «لا يدخل أحد النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها».

فهذا هو وسام الأفضلية بعد الأحديين. فما هي الطبقة التي تليها؟

أعلق هذا السؤال إلى الجمعة القادمة إن شاء الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

مختار الأصفاء

- ١٤٤ -

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عبر عدداً، ويرفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قدداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولا يكون أبداً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. أكرم به عبداً سيداً وأعظم به حبيباً مؤيداً فما أزكاه أصلاً ومحتمداً، وأطهره مضجعاً ومولداً، وأكرمه أصحاباً كانوا نجوم الاهتداً وأئمة الاقتدا.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدقٍ عندك يا مليكنا المقتدر وسلّم تسليمًا.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

أقف بينكم اليوم في نهاية الحديث عن تلك الطبقة التي اجتمعت بنينا واكتحلت عيونهم بمراى خير البرية. تلك الطبقة التي سماها رسول الله بالصحابة. فالصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام،

فیدخل فيه من لقيه ﷺ طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولم يجالس، ومن يره لعارض كسيدنا ابن أم مكتوم فإنه كان فاقد البصر قوي البصيرة. ويدخل فيه (في تعريف الصحابي) كل مكلف من مؤمني الجن، وهل يدخل فيه من لقيه منهم وآمن بأنه سيعث أو لا يدخل محلّ احتمال ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه.

لكن الشرط في بقاء صحبة الصحابي أن يموت على الإسلام. أما من ارتد ومات على الكفر فليس بصحابي وقد وجد عدد يسير منهم كعبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة. هاجر إلى الحبشة وتنصر ومات على النصرانية، وعبد الله بن حظل الذي ارتد ثم قتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

أما من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، فنقول له صحبته مجردة عن الثواب.

أيها السادة:

يمكن إجمال قضية تفضيل الصحابة باعتبارين. باعتبار الأفراد، وباعتبار الأصناف، وقد كنا طيلة حلقات ممتدة نتكلم عن قضية تفضيل الأفراد كالصديق أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فهذه طريقة تفضيل الأفراد.

لكننا اليوم نأتي على طريقة ثانية في التفضيل، وهي طريقة تفضيل الأصناف أي طبقات الصحابة، فطبقة الخلفاء أفضل من طبقة الستة الباقية من العشرة ثم طبقة أهل بدر ثم طبقة أهل بيعة الرضوان، ونحن اليوم نتناول الطبقة قبل الأخيرة وهم السابقون إلى الإسلام، ويمكن أن تدخل هذه الطبقات والمراتب بعضها في بعض، وقد يدخل الصحابي الواحد في هذه الطبقات كلها، فقد يكون الصحابي سابقاً إلى الإسلام خليفة بدرياً أحدياً

رضوانياً. أتدرون من؟ إنه الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر، وفاروق الحق سيدنا عمر بن الخطاب، والحيمي سيدنا عثمان بن عفان، وجدي سيدنا علي بن أبي طالب. لكن سيدنا عثمان بدري أجراً لا حضوراً، لأن سيدنا رسول الله خلفه على ابنته السيدة رقية يمرضها وماتت في غيبته عن المدينة، وحين قدم قال لسيدنا عثمان: «لك أجر رجل وسهمه» (من حضر بدرًا). وكان يلقب بذي النورين لتزوجه ببنتيه ﷺ رقية وأم كلثوم، ولم يعلم من تزوج ببنتي نبي غيره.

كان هذا هو موجز الأنباء الإيمانية في هذه القضية وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وخير ما نستهل حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل هداية الله للعالم: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾. ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﷺ ورضوا عنه﴾.

إخوة الإيمان:

إن طبقة الصحابة هي التي حملت مشعل الإسلام في قارات العالم، وكان أثر أي أثر، حملت مشاعل الهداية والعلم والحضارة والمدنية، حملت إليها الرسالة المحمدية بكل مبادئها وتعليمها وفضائلها ومثلها، وأثرت فيها تأثيراً كبيراً.

إن الشخصيات التي نقف اليوم بإجلال أمامها حملت هذا العبء بعد صاحب الرسالة سيدنا محمد هي شخصيات الصحابة، أولئك الذين كانوا

مفخرة العالم هداة الإنسانية وروادها الأفاضل. ولا عجب فقد كان لهم الفضل على العالم حين حملوا إليها تعاليم الرسالة وصورة الرسول الأعظم متمثلة في أقوالهم وأفعالهم ورواياتهم، لقد كان كل منهم يحرص على أن يحاكيه في حركاته وسكناته وكلماته.

إننا لنرفع رأسنا عالياً بالقيادة المحمدية. لقد خرجت المدرسة المحمدية في سنوات قليلة لم تزد على ثلاثة وعشرين عاماً أكثر من مئة ألف صحابي كان إذا ذكر أحدهم (ولو لم يبلغ الحلم) تنحني له الرؤوس إجلالاً وإكباراً لأنه تلميذ سيدنا محمد ﷺ.

معشر الإخوة:

وقفنا مع الصحب الكرام نتعرف على طبقاتهم وأحوالهم، ونحن اليوم نتعرف على طبقة السابقين إلى الإسلام، أي الذين صلوا إلى القبلتين قبله بيت المقدس والكعبة المشرفة، فهم أفضل ممن جاء بعدهم كمشيخة الفتح أي الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة.

فرتبة السابقين إلى الإسلام، على مراتب الصحابة، ومعلوم أن أول من سبق منهم من الرجال: سيدنا أبو بكر، ومن أهل البيت سيدنا علي، ومن النساء: سيدتنا خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الحبشة سيدنا بلال، ومن الفرس سلمان الفارسي، وكان إسلام سيدتنا خديجة قبل إسلام سيدنا علي وسيدنا أبي بكر، ثم أسلمت عاتكة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، والسيدة عائشة وأسماء بنت عميس بعد إسلام زوجها جعفر وآخرهم سيدنا العباس عم سيدنا رسول الله، فإنه استقبله سنة الفتح بالأبواء فقال له: «يا عم ختمت بك الهجرة كما ختمت بي النبوة».

أيها السادة:

هؤلاء هم الذين دافعوا عن الإسلام في بدء الدعوة، أفضليتهم ومكانتهم تأتي من دفاعهم عن الإسلام ونبي الإسلام، لاحتمالهم الأذى في الله عز وجل، فقد كانت كل قبيلة تثب على من فيها من المسلمين فيحسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، وكان أول من أظهر الإسلام أبو بكر وعمار وأم سمية وصهيب وبلال والمقداد، فكان سيدنا بلال الحبشي يخرجهم مولاه أمية بن خلف إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتبعد اللات والعزى. فكان سيدنا بلال يجيب قائلاً وهو تحت ذلك البلاء: أحد. أحد. وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه. إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله ﷺ ويقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» (أحمد)، فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام، وأما أبو عمار فمات تحت العذاب.

وكان مصعب بن عمير فتى مكة شاباً وجمالاً وتيهاً، وكان أبواه يجبانه وكانت أمه غنية كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير».

وبلغ مصعب بن عمير أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار أرقم بن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدق به، فخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فبصر بن عثمان ابن طلحة

يصلي فأخبر أمه وقومه، فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى.

وكان بعض المسلمين قد دخل في جوار بعض المشركين من أشراف قريش وكانوا يمنعونهم ويحمونهم وكان عثمان بن مظعون الذي لقبه رسول الله ﷺ الرجل الصالح، كان قد دخل في جوار الوليد بن المغيرة، ثُمَّ أبت غيرته ذلك، فرد عليه جواره، أتدرون ما ذا قال عندما رد جواره؟ قال له: قد أحببت ألا أستجير بغير الله. ودار بينه وبين أحد من المشركين حديث أغضب المشرك فقام إليه ولطم عينه فحفرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ذلك فقال له: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة. فردّ عليه عثمان بن مظعون: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر (إني في جوار الله عز وجل).

أيها الإخوة:

هذه هي الطبقة التي ناصرت نبينا سيدنا مُحَمَّدًا، هؤلاء هم الذين نصر الله بهم دينه، وأعطاهم من المكانة ما لم يعط لغيرهم من الأمم. كانت هذه هي الأنبياء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان سيدنا مُحَمَّد من تصلي عليه يقول: «لا تمس النار مسلماً رأي أو رأى من رأي (ت-حسن)».

فما هي القضية التالية؟

أعَلِّق هذا السؤال إلى الجمعة المقبلة إن شاء الله، وأنتقل بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مرغضية طبقة التابعين

- ١٤٥ -

الحمد لله الذي سلك بأحابيه نهج الصراط المستقيم، واختصَّ بالعناية من أتى إلى بابه بقلب سليم، أمات الله قلوباً بالمعاصي وأحيا قلوباً بالطاعة، فسبحان من يحيي العظام وهي رميم.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة من به يتوله وفيه يهيم.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله النبي الكريم. صاحب الخلق العظيم والفضل الجسيم. القائل خير القرون قرني ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ الذين يلونهم.
اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آل سيدنا مُحَمَّد، وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وسلِّم تسليماً.

أما بعد:

فسأدخل اليوم مع حضراتكم في رحاب طبقة جديدة من طبقات الأفضلية الذين كانوا قريباً من عصر النبوة، وتلمذوا على أيدي رجال المدرسة المحمدية الأولى، فإذا هم صورة لصحابة رسول الله في رسوخ الإيمان والتعالي عن عرض الحياة الدنيا والتفاني في مرضاة الله.
هذه الطبقة التي كانت حلقة محكمة مؤثرة بين جيل الصحابة وجيل أئمة المذاهب ومن جاء بعدهم، وهم على طبقات أولهم من أدرك العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم من لقي صغار الصحابة.
إننا اليوم نسير مع منظومة العقيدة في قول صاحب الجوهرة

وصحبة خير القرون فاستمع فتابعي فتابع لمن تبع
إننا مع تلاميذ المدرسة التي أخرجت للأمم الإسلامية رجال الأخلاق
والتقشف والتصوف الحق الذي ينبع من الشريعة الغراء. إننا مع طبقة
التابعين وبالذات مع سيدهم في الحلقة الخامسة والأربعين بعد المئة من
سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو
المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

واسمحو لي معشر السادة أن أنتقل بكم إلى قرية في اليمن العربي. نرى
في هذه القرية فتى أشهب ذو صهوبه، بعيد ما بين المنكبين، ضارب بذقنه
على صدره رامٍ ببصره إلى موضع سجوده، واضح يمينه على شماله يتلو
القرآن، يكي على نفسه ذو طمرين، لا يؤبه له، تيزر بإزار صوف ورداء
صوف، مجهولٌ في أهل الأرض، معروف في السماء. يرفع الإبل على
دريهمات.

هو في عصر سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، لم يره، ولم يغادر بلده، أتدرون لماذا؟ لأنه
كان عاكفاً على أمه وتحت رعايتها، وكان شديد البر بها، لم يفارقها حتى
ماتت في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه.

وكان يتمنى لقاء الحبيب الأعظم وأن يكون في عداد الصحب الكرام،
لكن برّه بأمه منعه ذلك، فمن الذي أعلن بشخصيته هذا التابعي، من هو
الذي علق على صدره وسام خير التابعين؟ إنه سيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ
وﷺ الذي أوصى صحابته بهذا العابد الزاهد قال لهم: «خير التابعين رجل
يقال له أويس بن عامر (القري) كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا

موضع الدرهم في سرتة، لا يدعُ باليمن غير أمِّ له هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فمن لقيه منكم فبروه فليستغفر لكم».

إخوة الإيمان:

وبقي الصحابة الكرام في شغف وشوق ينتظرون سيدنا أويساً القرني سيد التابعين. هذا التابعي كان إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود فيسجد فلا يرفع رأسه حتى يؤذن الفجر، وكان إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثمَّ يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به، وكان يتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة. لحق به رجل يوماً فسمعه يقول: اللهم إني أعترذ إليك اليوم من كل كبد جائعة، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس في بيتي شيء من الرياش إلا ما على ظهري (وكان على ظهره خرقة قد تردى بها).

أتى رجل فقال له: كيف أصبحت أو كيف أمسيت؟ فقال: أصبحت أحب الله، وأمسيت أحمد الله. وما تسأل عن حال رجل إذا هو أصبح ظن ألا يمسي، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً، وإن حق الله في مال المسلم لم يدع له من ماله فضة ولا ذهباً، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين. ليس بفقير من يحدث بالحديث من غير عمل.

أيها الإخوة:

بقي الصحابة ينتظرون سيدنا أويساً عشر سنين وهم كلما قدم موسم الحج يسألون حجاج اليمن عن أويس حتى إذا كان آخر عام دعا سيدنا

عمر أهل اليمن إلى طعام، وقال لهم: أبقى أحد لم يحضر وليمتنا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين إلا فتى خامل الذكر يرعى إبلنا يقال له: أويس، فقال سيدنا عمر: أهو أشهل ذو صهوة آدم (أسمر)؟ قال: يا أمير المؤمنين كأنك تعرفه. قال: فتسابق سيدنا عمر وسيدنا علي إليه، فلما جاءا وقالوا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم. قالوا: لسنا نسألك عن ذلك، ما اسمك؟ قال: عبد الله، قالوا: وقد علمنا أن أهل السموات والأرض عبيدٌ لله. ما اسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: يا هذان من أنتما وما تريدان مني؟ فقال سيدنا علي: أنا علي وهذا عمر أمير المؤمنين. فانتفض وقال: جزاكما الله عن الإسلام خيراً يا أمير المؤمنين، ويا صهر رسول الله، أما أنتما فقد كان لكما شرف الصحبة، وأما أنا فقد حرمت هذا الشرف. فقال سيدنا علي: كيف تتصور النبي يا أويس؟ قال: أتصوره لا كما شاهدتموه أنتم أتصوره نوراً يملأ الفضاء قدماه في الأرض ورأسه في السماء السابعة. فبكى سيدنا عمر وعلي شوقاً إلى النبي. فقال سيدنا عمر: يا أويس إن النبي قد طلب منا أن تدعو لنا. قال: ما أخصّ بالدعاء أحداً ولكن أعمم. فقال سيدنا عمر: يا أويس بم بلغت هذا المقام. قال: يا أمير المؤمنين بالخوف حتى يصبح الرجل من خوفه من الله وكأنه قتل الناس جميعاً. قال سيدنا عمر: عظمي يا أويس. قال: يا أمير المؤمنين اطلب رحمة الله عند طاعته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه بين ذلك. فقال سيدنا عمر: يا أويس أفلا نأمر لك بصلة؟ قال: يا أمير المؤمنين! أخذت من عملي أربعة دراهم ولي على القوم ذمة. متى تراني أنفقها، وعليّ إزار ورداء متى تراني أخرقهما؟ إن بين يدي ويدك يا أمير المؤمنين عقبة كؤوداً لا يقطعها إلا كل مُحِفٍ مهزول. فبكى سيدنا عمر وقال: ليت أم عمر لم تلد عمر، ليتني كنت نسياً منسياً.

قال: يا أويس أفلا تقيم عندنا؟ قال: يا أمير المؤمنين أريد الكوفة. قال: أفلا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: لا يا أمير المؤمنين فإني أحب أن أكون في دهماء الناس.

أيها السادة:

واختفى سيدنا أويس عن أعين الناس في الصحارى والقفار حتى ولى سيدنا علي وجرت معركة صفين، يومها نادى منادٍ في أهل الشام: أفيكم أويس القرني فقالوا: نعم وما تريد منه. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أويس القرني خير التابعين بإحسان».

أيها الإخوة:

وقاتل سيدنا أويس في جيش سيدنا علي حتى استشهد معه بصفين فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة. وارتقت روحه مع أرواح الشهداء المحبين لسيدنا محمد رسول الله ﷺ من أراد أن يكون معه هناك فليترضى عنه هنا، وما أدراك ما هنا. هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال، المتصرف في عبادته باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، أحمدته حمداً يحفظ النعم من الزوال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله هاديًا من الضلال، وداعيًا إلى شرف الخلال، ومرشدًا إلى صالح الأعمال، ومحدّرًا من الجحيم والنكال، ومبشرًا بالنعيم والظلال.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وأنزلهم في مقعد صدقٍ عندك يا وليكنا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وبحق من جعلته رحمة للعالمين وسلّم تسليمًا.

أمّا بعد: فأقف اليوم مع حضراتكم مع إمام علم، شيخ من كبار شيوخ المسلمين، فقيه المدينة وأحد سادات التابعين فقهًا ودينًا وورعًا وعبادة وفضلاً، هو أفته أهل الحجاز في عصره، وأعبر الناس بالرؤيا، قوال بالحق، صلب في الرأي، مستقيم بالسلوك.

جمع بين الحديث والتفسير، أسهر ليله بالصلاة، وأظمأ نهاره بالصوم، وأضنى نفسه في الأسفار لحج بيت الله الحرام خلال أربعين حجة، حتى لُقِبَ براهب الإسلام لفضله وعبادته.

ما نوذي بالصلاة من أربعين سنة إلا وهو في المسجد، يصلي فرض الصبح في وضوء العشاء خمسين سنة.

كان (كما قال عن نفسه) يمشي الأيام في طلب الحديث الواحد،
وبلغ فيه منزلة شهد مكحول الدمشقي العلامة: بأنه طاف الأرض كلها في
طلب العلم، فلم يجد أعلم منه، وكان أحد بناءة هذا الصرح العلمي الذي
شاده العلماء المسلمون من تلاميذ سيدنا محمد ﷺ:

كان في هيئته وجرأته وصراحته مع الملوك أمةً وحدةً، وله مواقف مع
عبد الملك بن مروان والوليد والحجاج تقرأها فتحسبها من أحاديث الخيال.
رأى الحجاج مرة يسيء الصلاة فنَبَّهه فلم يسمع، فرماه بكف من
حصى المسجد.

أراد عبد الملك بن مروان أن يبايع لولديه الوليد وسليمان من بعده،
وتبعه الناس وبايعوا، ولكن هذا السيد الإمام أفتى بأن رسول الله ﷺ نهي عن
بيعتين.

لم يقل إني واحد من الناس، وقد بايعوا فلا يُباعنَّ مثلهم، ولم يخدع
نفسه بهذه الخدعة الشيطانية فيقول: إن القوم إذا لم أبايع نالوا من كرامتي
وحقروني، وأنا رمز العلم والدين فيكون التحقير للدين ولكنه وقف موقف
الحق فأبى البيعة.

هدده أمير المدينة بالجلد علناً، وضج العلماء في عصره: عروة بن
الزبير، والقاسم بن مُجَد، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبا بكر عبد الرحمن بن
حارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن
مسعود، وهؤلاء هم المعروفون بالفقهاء السبعة: عرضوا عليه أن يسكت فلا
يقول لا، ولا نعم، قال: أنا أسكت عن الحق! لا. وكانوا يعلمون أنه إذا
قال: لا، فليس في الأرض قوة تجعله يقول: نعم. قالوا: فاعتزل في بيتك أياماً
حتى تمر العاصفة. قال: أبقي في بيتي فلا أخرج إلى الصلاة وأنا أسمع: حيَّ

على الصلاة حيَّ على الفلاح، وما سمعتها من أربعين سنة إلا وأنا في المسجد؟ لا.

ودعاه الأمير فهده بالقتل، فقال: نهي رسول الله ﷺ عن بيعتين..
يقرر الحكم كأنه في حلقة الدرس وكأن السيف ليس على عنقه، لا يسكت
خوفاً من السيف، ولا يكتنم العلم، ولا يبذل الحكم.
فأمر أن يساق إلى ساحة العقوبات وجرد من ثيابه وضرب خمسين
وأخذ إلى الحبس.

إننا مع سيد من سادات التابعين أبوه وجده صحابي، إننا مع سيدنا
أبي محمد سعيد بن المسيب القرشي المدني ومع الحلقة السادسة والأربعين بعد
المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه
الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل
على الموجات العاملة من سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠ التوبة).

إخوة الإيمان:

ولد سيدنا سعيد سنة ١٥هـ، بعد سنتين من تولي سيدنا عمر الفاروق
سدة الخلافة، في المدينة المنورة دار الهجرة وعاصمة الخلافة ومقر الصحب
البررة، ومهد السنة ودار الفقه ومنبع الحديث.

في هذا الجو الإسلامي الكبير نشأ هذا التابعي وفيه تكونت شخصيته
قوة وعزة وصلابة في الحق واستقامة في السلوك، فكان خير خلف لخير
سلف، وأصبح تاجاً في رأس القرن الثاني.

تزوج سيدنا سعيد بابنة الصحابي الجليل سيدنا أبي هريرة، فكان
صهره، وكان إذا التقى به قال: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق
الجنة، ولهذا أكثر عنه من الرواية. وكان يقول: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل
طاعة الله عز وجل، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة
من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

أيها الإخوة الكرام:

وأرى خطباً عظيماً يحدث في المدينة شيء لا ندري ما هو؟ إن الناس
قد خرجوا إلى الطريق، والنساء قد أطلن من شقوق النوافذ، إنهم يرقبون
شيئاً؟ فاسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مدينة
سيدنا رسول الله ﷺ فأرسلوا تحيتكم إلى الحبيب الأعظم.

وأرى الناس قد خرجوا يرتقبون المندوب الخاص لعبد الملك، وصل
الموكب متوجهاً نحو المسجد فالمسجد مجمع كل أمر جليل، فيه تكون البيعة،
وفيه يستقبل الأمير وفيه تلتقي الوفود، وفيه يكون القاضي، وتجري
المحاكمات، وفيه تلقى الدروس ويؤخذ العلم، فهو البرلمان وهو القصر وهو
المحكمة وهو الجامعة.

وأقبل رسول الخليفة حتى وقف على حلقة سيدنا سعيد، فأبلغه سلام
أمير المؤمنين، وأنه قادم يخطب إليه ابنته للوليد ولي عهد المسلمين.

وغبط الناس سيدنا سعيداً على هذه النعمة التي نزلت عليه وعلى هذا التشريف الذي ناله وعلى الدنيا التي سبقت إليه، ابنته زوجة الوليد ولي عهد المسلمين اليوم، وأمير المؤمنين غداً، وسيد البلاد الإسلامية كلها. وارتقب الناس أن يهش سيدنا سعيد وَيَبِش ويطير فرحاً بهذه النعمة، ولكن موازين الناس غير موازين سيدنا سعيد، ميزانه ميزان الشرع: الناس يفتشون عن المال والجاه، ولكن سيدنا سعيداً يفتش لابنته عن السعادة الزوجية، عن الخلق والدين، عن الطهر والفضيلة، وماذا تفيده دنيا الوليد، إن مهرت ابنته بهذه الدنيا دينها؟ ما ذا تنفع الدنيا إذا باع المسلم دينه لأجلها.

إن الرجل الدّين الحسن الخلق الفقير خير للمرأة من ابن أمير المؤمنين، لأن هذا يكون لها وحدها وذاك تشركها فيه الزوجات والجواري ومن تدري ومن لا تدري.

وإذا كان لك عبد مخلص يحبك ويشكر فضلك ويطيع أمرك وأرسلته بأمانة ليدفعها إلى زيد فأعطاها عمرا هل تكون عنه راضياً؟ كذلك أنت أيها الأب، إنك عبد الله، والبنت أمانة عندك، وقد أمرك أن تعطيتها لمن يماثلك في مسلكه ومشربه، ويرضيك دينه وخلقه، فإن رفضته وبحثت عن الغنى، أو جعلت بنتك سلعة تباع فقد أسخطت ربك وآذيت بنتك.

وهل البنت فرس أو نعجة حتى تباع لمن يدفع فيها الثمن الأكبر؟ وما ذا يفيدك كثرة المهر، والزواج إذا كان موفقاً كان لها ماله وله مالها، وإن لم يكن موفقاً لم ينفع البنت ما أخذت من مال.

فكر سيدنا سعيد في هذا كله في لحظات، ورسول الخليفة واقف ينتظر جوابه ولا يشك في أنه جواب الموافقة ولا يشك الناس. وإذا سيدنا

سعيد يقول: لا. لا! إنه رفض أن يعطي ابنته للأمير المؤمنين: كثير بن
المطلب.

ومرت أيام، وكان له تلميذ اسمه ابن أبي وداعة، متين الدين، رضي الخلق، انقطع عن الدرس

ثمَّ جاء فسأله: فقال: مرضت زوجتي فمرضتها وعنيت بها، ثمَّ توفيت فدفنتها. فقال: هل تزوجت

غيرها قال: ومن يزوجني ولا أملك إلا أربعة دراهم؟ فمن يزوجني بأربعة دراهم قال سيدنا سعيد: أنا.

هل سمعتم -أيها السادة- سيدنا سعيد رفض ابن أمير المؤمنين الذي يملك ما بين البحر الأطلنطي

وجبال الصين، يزوج ابن أبي وداعة الذي لا يملك إلا أربعة دراهم.

وشده الرجل، وكذب أذنه وعقدت المفاجأة لسانه وحسب نفسه في منام، ولكن سيدنا

سعيداً دعا بالشهود وعقد العقد. وذهب الرجل إلى داره وهو لا يزال في حى الدهشة، وقدم عشاءه،

وكان خبزاً وزيتاً وإذا بالباب يقرع. قال: من؟ قال: سعيد.

قال ابن أبي وداعة: ومرَّ على بالي كل سعيد في الدنيا إلا سعيد بن المسيب لأنه لم يطرق

باب أحد من أربعين سنة، ولا رأي إلا بين بيته والمسجد ففتح له. فقال سيدنا سعيد: كرهت أن

يسألني الله عن وحدتك، ولك زوجة فجئت بها، وكانت العروس وراءه فدفع بها إليه .

هكذا! بلا حفلات ولا عرس ولا جهاز!

قال: رحمك الله ألا انتظرت حتى أحصل مالا وأعد للعرس عدة. قال: أما قلت إن معك

أربعة دراهم.

أربعة دراهم! فعلام الحفلات؟. وهل الزواج رباط بين روحين وصلة بين قلوبين، وبيت يضم

اثنين، أو هو معرض أثاث وثياب، ومناقرة كرم، واكتساب شهرة.

إن هذه الحفلات يا ناس لا تخرب بيت الزوج والأب فقط. بل تخرب عشرين بيتاً، تتزوج

بنت عم خال امرأتك فتكلفك ثوباً يعجز عنه موردك فإن شريته اضطربت موازنتك، وإن أبيت

تنقص عيشك.

قال كثير بن وداعة: ورأيتهما أجمل امرأة وأكملها، ولما أصبحت غدوت لأذهب قالت: إلى

أين؟. قلت: إلى مجلس سعيد فقالت: اقعد أعلمك علم سعيد. وإذا هي عالمة محدثة، ولقد كنا بعد

إذا أعيت العلماء مسألة رجعنا إليها.

أيها الإخوة:

ومرض سيدنا سعيد مرضاً شديداً فاستدعى تلميذاً له وقال: إني أشهدك على ابني محمد لا

يؤذن بي أحداً لا يعلمن أحداً بموتي حسي أربعة يحملوني إلى رب.

ومات سيدنا سعيد بن المسيب وترك لمن خلفه درساً للعلماء ودرساً للآباء، وارتقت روحه

إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن كان أن يكون معه هناك فليترض عنه هنا،

وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام

العلم أعلى مقام، وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الأحكام، وأودع العارفين لطائف سرّه

فهم أهل المحاضرة والإلهام، ووفق العاملين لخدمته فهجروا لذيق المنام. وأذاق المحبين لذّة قُربهِ وأنّيسه

فشغلهم عن جميع الأنام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كرم الأمة المحمدية وفضّلهم على غيرهم

بالإسلام، وجعل فيهم قادة وسادة يدعون بأمره إلى دار السلام.

وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله اختصه الله بالقرآن العزيز المعجز وجوامع الكلام، فبين

للناس ما أرسل به من أصول الديانات وفروع الأحكام.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا

محمّداً وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا.

أمّا بعد: فنحن اليوم مع علم من الأعلام الشوامخ، وإمام من الأئمة الكبار، ونادرة من نادر

الرجال، مع رجل ملأ في زمانه القلوب والعيون والأسماع، ولا يزال وقد مرّ عليه ثلاثة عشر قرناً بملأ

الاستماع والعيون والقلوب. مع رجل كان في الورع والتقوى آية طاهرة، وكان في العلم بجرأ زاهراً، وكان

في الفصاحة والبيان علماً مفرداً، وكان أعظم وعاظ الإسلام في تاريخه كله.

إننا مع رجل كان إذا جلس في حلقة في المسجد. أدار درسه في جوانب العلوم الشرعية

والعربية يمر فيه على القرآن والحديث والفقه واللغة وربما كان يسأل عن التصوف فيجيب، فكان

تلامذته قسم يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم

من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص، حتى إنك لو جلست إليه لقلت إنك لم تجالس فقيهاً قط.

ولو أنك رأيته لقلت قد بُثَّ عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج وكأن النار لم

تخلق إلا له وكان إذا سئل عن بكائه قال: أخاف أن يطرحني الله غداً في النار ولا يبالي.

قال عنه مجالسوه: إنه مكث ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح. إنه شيخ علماء أهل

البصرة سيدنا الحسن البصري. أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ومعه طبقة التابعين في الدرس

السابع والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة

أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سبدا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

كان والد الإمام الحسن البصري في الأصل عبداً مملوكاً من سبي بيسان وكانت أمه كذلك، ولكن الله تعالى أراد لهما ولذريتهما الخير، وإذا أراد الله الخير لأحد هياً له أسبابه فصار أبوه مولى سيدنا زيد ابن ثابت أحد أئمة الصحابة وعلماء الصدر الأول، وصارت أمه خيرة مولاتاً لأم المؤمنين السيدة أم سلمة هند بنت سهيل، السيدة أم سلمة أكمل نساء العرب عقلاً وأوفرهن فضلاً وأشدهن حزمًا وأوسع زوجات رسول الله علماً وأكثرهن رواية عنه، إذ روت ثلاثمئة وسبعةً وثمانين حديثاً، فكان من تمام خط سيدنا الحسن الذي ولد لستين بقيتاً من خلافة الفاروق عمر. كان من تمام حظّه أن أمه كانت تغيب فيبكي فتعطيه السيدة أم سلمة ثديها فربما درّ عليه اللبن من حناها، فهل في التكرمة أكثر من أن يترى في حجر أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ.

وعاش بين الصحابة وتلمذ على أيدي كبارهم في المسجد النبوي الشريف، حيث روي عن عثمان وعلي وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله لكنه أوسع أكثر ما أوسع بأمر المؤمنين سيدنا علي، فقد راعه منه صلابته في دينه وإحسانه لعبادته وزهادته بزيينة الدنيا وزخرفتها، وخَلَبَهُ منه بيانه المشرق وحكمته البالغة وأقواله الجامعة وعظاته التي تحز القلوب هزاً فتخلق بأخلاقه في التقى والعبادة ونسج على منواله في البيان والفصاحة حتى بلغ أربعة عشر ربيعاً من عمره، ودخل في مداخل الرجال فسار مع أبويه إلى البصرة واستقر فيها مع أسرته، ومن هنا نسب الحسن إلى البصرة وعرف بين الناس بالحسن البصري.

وقلما قرأت كلاماً أكمل ولا أجمل ولا أنبل من كلامه، ولقد شبهوه من قديم بكلام الأنبياء

وشهد له شيخ العربية وإمام أئمتها أبو عمرو بن العلاء بأنه كان هو والحجاج أفصح الناس . قيل

فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن.

أيها الإخوة:

كان الوعاظ يُدعون القصاص وكان أكثرهم ممن يتخذ الدين حرفة، والتقوى صناعة ويأكلون

بها الدنيا ويجمعون بها المال، يمحرقون على العامة باللفظ الجميل والمظهر الخداع والخشوع الكاذب

يتكلمون من ألسنتهم لا من قلوبهم. لذلك منع أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب القصاص من

دخول المسجد في البصرة، ولم يستثن إلا سيدنا الحسن البصري لأنه كان يقول الحق ويروي الحديث

الصحيح. لا يسرد الإسرائيليات ولا ينقل الموضوعات ولأنه كان يتكلم من قلبه، يزهد الناس في الدنيا

وهو أول الزاهدين، لا يأخذ منهم أجراً ولا يقبل منهم هدية ولا يتخذ جاهاً وسيلة إلى الخطوة عند

الملوك والقرب من السلاطين.

واسمحوا لي أن أنقل لكم بعض كلام الحسن لتروا لونا من ألوان البلاغة المطبوعة في كلام

مليء بالدين والعلم والنظر السديد والرأي الصائب (صلوا على سيدنا محمد ﷺ).

سأله بعض القوم أن يخبرهم عن صفة أصحاب رسول الله ﷺ فبكى وقال: ظهرت منهم

علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، ومشاهم

بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى

واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم، ظمئت حناجرهم ونحلت أجسامهم

واستخفوا بسخط المخلوقين لرضا الخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يخيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله

في القرآن، شفّعوا الألسن بالذكر، بذلوا لله دماءهم حين استنفروهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ولم

يمنعهم خوفهم من المخلوقين من إنقاذ حكم الخالق. حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير

من دنياهم إلى آخرتهم.

أيها السادة:

هذه الأوصاف التي ذكرها سيدنا الحسن عن الصحب الكرام. كان يطبقها على نفسه طيلة

حياته كان صداعاً للحق، لا يسكت عن إنكار منكر ولا تمنعه منه هيبة أمير، ولا بطش ملك، لكنه

كان حيناً يعرض تعريضاً وحيناً يصرح تصريحاً.

من صراحته في نقد الملوك والأمراء أنه لما انتقل الخليفة الزاهد سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى

جوار ربه وآلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك ولّى على العراق عمر بن هبيرة الفزازي، فدعا عمر كلاً

من الحسن البصري وعامر بن شراحبيل المعروف بالإمام الشعبي وقال لهما:

إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك قد استخلفه الله على عبادته وأوجب طاعته على الناس

وقد ولاني ما ترون من أمر العراق ثم زادني فولاني فارس، وهو يرسل إلي أحياناً كتباً يأمرني فيها بإنفاذ

مألا أطمئنُ إلى عدالته، فهل تجدان لي في متابعتي إياه وإنفاذ أوامره مخرجاً في الدين.

فأجاب الإمام الشعبي جواباً فيه ملاطفة للخليفة ومسايرة للوالي، وسيدنا الحسن ساكت.

فالتفت إليه عمر وقال: وما تقول أنت يا أبا سعيد. فقال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تحف

يزيد في الله واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، يا بن هبيرة إنه يوشك

أن ينزل بك ملك غليظ شديد لا يعصي الله ما أمره فينزلك من سريك هذا وينقلك من سعة قصرك

إلى ضيق قبرك، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عملك الذي خالفت فيه رب يزيد، يا بن هبيرة

إنك إن تك مع الله في طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك (يمنع عنك أذاه) في الدنيا والآخرة،

وإن تك مع يزيد في معصيته لله تعالى فإن الله يكللك إلى يزيد، واعلم يا بن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق

كائناً من كان في معصية الخالق عز وجل. فبكى عمر بن هبيرة حتى بلت دموعه لحيته.

أيها الإخوة المؤمنون:

هذا موقف بسيط مع ابن هبيرة، ولكن موقفاً أعظم وقفه الإمام الحسن مع حاكم العراقين
الحجاج ابن يوسف الثقفي، فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى هذا الرجل الذي لا نجبه
ولا نسبه فقد استدعى الإمام الحسن لما بلغه عنه من كلام فيه مسبة للحجاج وأمثاله. إذا كان الحسن
يعرض بالحكام وينالهم بالحق ويقول عنهم إن أناساً اتخذوا عباد الله خولاً وكتاب الله دخلاً (تعاهدوا
العباد وتركوا العمل بالقرآن) ومال الله دولاً يأخذون من غضب الله وينفقون في سخط الله والحساب
عند البيدر. وصل هذا الكلام إلى الحجاج فاشتات غضباً فاستدعاه، وما هو إلا قليل حتى جاء
سيدنا الحسن، فشخصت نحوه الأبصار ووجفت عليه القلوب فلما رأى الحسن السيف والنطع
والجلاد حرك شفتيه وأقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى الله، فلما
رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشد الهيبة وقال له: ههنا يا أبا سعيد ههنا، ثم ما زال يوسع له
ويقول ههنا والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه بجواره. وراح يعاتبه على
كلامه فيه فإذا بسيدنا الحسن يقول: إن الله أخذ ميثاق الفقهاء في الأزمنة كلها ليبينه للناس ولا
يكتُمونه. ثم قال له:

كم بينك أيها الأمير وبين آدم من أب. قال: كثير. قال: أين هم؟ فأطرق الحجاج ساعة

مفكراً ثم قال: يا جارية الغالية (الطبيب)، فخرجت بها فقال الحجاج: ضمّخوا رأس الشيخ ولحيته

بالطبيب ثم قال: انصرف إلى أصحابك فنعم المؤدب أنت.

وانصرف الإمام الحسن عزيزاً رافع الرأس لكنه تبعه حاجب الحجاج وقال: يا أبا سعيد لقد

دعاك الحجاج لغير ما فعل بك وإني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع قد حركت شفتيك

فماذا قلت؟ فقال الحسن: قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي، اجعل نعمته برداً وسلاماً علي

كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

إخوة العقيدة والدين:

هزت مواضع الإمام الحسن الأفئدة واستدرت الشؤون ودلت النათهين على الله، ونهت

الفازين الغافلين إلى حقيقة الدنيا وحال الناس معها. سأله سائل عن الدنيا وحالها فقال: تسألني عن

الدنيا والآخرة؟ إن مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب متى ازددت من أحدهما قريباً ازددت من

الآخر بعداً، ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

أيها السادة:

عاش سيدنا الحسن أكثر من ثمانين عاماً قضاها في خدمة الشريعة. حتى إذا كان ليلة الجمعة

من أول رجب سنة مئة وعشر أغمي على الإمام ثمَّ أفاق إفاقة فقال: لقد نيهتموني من جنات وعيون

ومقام كريم. ثمَّ أغمض عينيه ولبي نداء ربه عزَّ وجلَّ وارْتَحَت البصرة لموته رجاءً، لكن الناس كأنما

أصابتهم ساكنة فقد مضى عالمهم ومعلمهم وداعيهم فلم يستطع أحد أن يتكلم لشدة حزنه عليه،

وازدحم الناس على جنازته بعد صلاة الجمعة ولم يصلوا إلى قبره حتى بعد صلاة العصر، ولم تقم صلاة

العصر في مسجد البصرة لأول مرة ولآخر مرة، لأنه لم يبق أحد إلا اتبع جنازة الإمام.

لقد مضى الإمام وهكذا سنمضي فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً

يره، وأعود بكم من البصرة إلى الشام من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس

فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق لنشر محاسن التابعين وطيبها في أحسن كتاب، وجعل ذلك قرّةً لأعين

الأحباب وذخيرةً ليوم المآب.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فبحمده يفتتح كل كتاب ويختتم كل خطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجلب كل ثواب وتدفع كل عقاب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي أحيا بإحياء شريعته وطريقته قلوب ذوي الألباب

والذي انقشع بنوره ظلام كل سحاب وكدر كل ارتباب.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد

وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فنحن اليوم ننزل ضيوفًا على مكة المكرمة حرسها الله تعالى، وبالذات على إمام

علم ومفتي الحرم، على الزاهد التقي والمحدث الثقة والفقيه الورع، على تلميذ كوكبة من الصحب

الكرام، على شيخ شهد له أهل عصره من العلماء بأنه ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم منه

بمناسك الحج، على التلميذ الأول لسيدنا عبد الله بن عباس، على رجل وقف على عرفات الله سبعين

حجة وهو يسأل الله تعالى رضاه والجنة، ويستعيد به من سخطه والنار.

إنه عالم مكة في عصره سيدنا أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي. ﷺ. ومع

الحلقة الأخيرة من طبقة التابعين في الحلقة الثامنة والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من

جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

كان سيدنا عطاء بن أسلم (وهو اسم أبي رباح) في صغره عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة،

لكن مولانا أكرم هذا الغلام منذ نعومة أظفاره بأن وضع قدميه على أول طريق العلم فقسم وقته

أقساماً ثلاثة: قسم جعله لسيده يخدمها فيه أحسن ما تكون الخدمة ويؤدي لها حقوقها على أكمل

ما تؤدي الحقوق، وقسم جعله لربه عز وجل يفرغ فيه لعبادته أصفى ما تكون العبادة وأخلصها لله عزَّ

وجلّ، وقسم جعله لطلب العلم حيث أقبل على ما بقي حياً من صحابة رسول الله ﷺ ووفق ينهل

من مناهلهم الثرة الصافية، فأخذ عن سيدنا أبي هريرة، وسيدنا عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس

وعبد الله بن الزبير وغيرهم، حتى أصبح أشياخه الذين أخذ عنهم (احذروا كم؟) مئتي صحابي من

صحابة رسول الله ﷺ، وحتى امتلأ صدره علماً وفقهاً ورواية.

أيها الإخوة:

لما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه لله، ووقف حياته على طلب العلم. تخلت

عن حقها فيه وأعتقت رقبته تقريباً لله عز وجل، لعل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين. واستجاب

الله لأمنيتهما فقد اتخذ سيدنا عطاء بن أبي رباح البيت الحرام مقاماً له فجعله داره التي يأوي إليها،

ومدرسته التي يتعلم فيها، ومُصلاًه الذي يتقرب فيه إلى الله بالتقوى والطاعة، حتى قال المؤرخون: كان

المسجد فراش عطاء بن أبي رباح نحواً من عشرين عاماً وأصبح له شأن أيّ شأن حتى قال فيه سيدنا

ابن عمر حين أمّ مكة معتمراً وقد أقبل عليه الناس يسألونه ويستفتون. قال لهم: إني لأعجب لكم يا

أهل مكة! أجمعون لي المسائل لتسألوني عنها وفيكم عطاء بن أبي رباح؟!

أندرون —أيها الأحبة والصحب— بم بلغ سيدنا عطاء ما بلغ من المكانة والمرتبة في العلم

والدين؟ بخصلتين: أولاهما: أنه أحكم سلطانه على نفسه فلم يدع لها سبيلاً لترتع فيما لا ينفع.

وثانيتها: أنه أحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام والعمل.

حدّث أحد علماء الكوفة لجماعة من زواره فقال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما

نفعني. قالوا: يا بن أخي إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام. فقلت: وما فضول الكلام

عندهم؟. فقال: كانوا يحدّثون كلّ كلام فضولاً ما عدا كتاب الله عزّ وجلّ أنّ يقرأ ويفهم، وحديث

رسول الله أنّ يروى ويذكر أو أمراً بمعروف ونهيّاً عن منكر، أو علماً يتقرّب إلى الله تعالى، أو أنّ

تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لا بد لك منها. ثمّ حدّث إلى وجهي وقال: أتذكرون (إنّ عليكم

لحافظين كراماً كاتبين)، وأن مع كلّ منكم ملكين (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا

به رقيب عتيد).

أيها السادة الكرام:

ولكي تروا المكانة التي وصل إليها هذا التابعي الجليل. اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى

مكة أم القرى فإن موكب الخليفة سليمان بن عبد الملك يؤم مكة حاجاً أو معتمراً ومع الخليفة ولداه،

وهاهم مع الحاشية يطوفون حول الكعبة المشرفة. خليفة المسلمين وأعظم ملوك الأرض يطوف بالبيت

العتيق. حاسر الرأس حافي القدمين ليس عليه إلا إزار ورداء، وأن انتهى من طوافه حتى سأل عن إمام

مكة سيدنا عطاء، فقالوا: هاهو هناك في صلاته غارقاً في ركوعه وسجوده، فمضى أمير المؤمنين نحوه

وجلس مع الجالسين، ينتظر الإمام حتى ينتهي من صلاته.

فنظر ولدا أمير المؤمنين فرأيا شيخاً حبشياً مغلغل الشعر، أفطس الأنف، أشلّ اليد أعرج

الرَّجُل. إذا جلس بدا كالغراب الأسود، عليه قميص لا يزيد ثمنه على خمسة دراهم، وقلنسوة لازقة

برأسه وخلفه أمير المؤمنين ينتظره هو وحاشيته.

وما أن انتهى سيدنا عطاء حتى حيّاه الخليفة فرد التحية بمثلها، وأقبل عليه الخليفة يسأله عن

مناسك الحج منسكاً، منسكاً، وهو يفيض بالإجابة عن كل مسألة، ويسند كل قول يقوله إلى سيدنا

رسول الله ﷺ. وانتهى الخليفة من مساءلته ودعا له بالخير، ومضى الركب نحو المسعى فإذا بالمنادي

ينادي: ألا لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح.

وهكذا - معشر السادة - نفع الله تعالى سيدنا عطاء العبادة من حجاج بيت الله الحرام من

الأفراد والعلماء والأئمة الأعلام، فها هو سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان يحدّثنا عن نفسه فيقول:

أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام، وذلك أنني أردت أن أحلق لأخرج من

الحرم (للتحلل من الإحرام) فأتيت حلاقاً وقلت: بكم تحلق رأسي؟ فقال: هداك الله النسك لا

يشارط فيه. اجلس واعط ما يتيسر لك. فخرجت وجلست، غير أنني جلست منحرفاً عن القبلة،

فأومأ إلي بأن أستقبل القبلة ففعلت، وازددت خجلاً على خجلي، ثُمَّ أعطيته رأسي من الجانب

الأيسر ليحلقه فقال: أدر شقك الأيمن فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر إليه، وأعجب

منه. فقال لي: ما لي أراك ساكتاً كثيراً. فجعلت أكثر حتى إذا قمت لأذهب فقال: أين تريد؟

فقلت أريد أن أمضي إلى رحلي. فقال: صل ركعتين ثم امض إلى حيث تشاء، فصليت ركعتين.

وقلت في نفسي ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام إلا إذا كان ذا علم. فقلت: من أين لك ما

أمرتني به من المناسك. فقال: لله أنت لقد رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله، فأخذته عنه ووجهته إليه

الناس.

أيها الإخوة:

كان سيدنا عطاء يعيش في دنيا من عقيدته وإيمانه، ترك الدنيا للناس وزهد فيها ولم يحرص

متعها ولذائدها، فانقادت له الدنيا وذل له جبارتها حتى وقف موقف الأبطال لا يهاب أحداً إلا الله

تعالى ومن خاف الله يا أيها الناس خافه كل شيء، ومن أخلص له وضع هيئته ومحبته في كل قلب.

هذه الحقائق كانت متمثلة في شخصية سيدنا عطاء، هاهو يشرف دمشق بزيارة هامة في عهد هشام

بن عبد الملك، فاستقبلوا سيدنا عطاءً بالترضي عنه.

وما إن علم الخليفة بأن الشيخ الإمام بالباب حتى بادر بالإذن له، وما أن وقعت عيناه عليه

حتى رحب به أشد الترحيب وقال: ههنا يا إمام ههنا، وما زال يقول ههنا حتى أجلسه على سريره

ومس بركبته ركبته. أرايتم كيف كانت مكانة العلماء في عصر الصدر الأول؟

ترى ما الذي جاء بسيدنا عطاء؟ هكذا سأله الخليفة ما حاجتك يا أبا مُجَّد. قال: يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطيتهم. فقال: نعم. يا غلام اكتب لأهل مكَّة والمدينة بعطايهم وأرزاقهم لسنة. ثُمَّ قال: هل من حاجة غيرها يا أبا مُجَّد؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم، فقال: نعم وهل من حاجة غيرها يا أبا مُجَّد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يقفون في وجوه عدوكم ويقتلون من رام المسلمين بشر تجري عليهم أرزاقاً تُدِّرها عليهم، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور. فقال: نعم. هل من حاجة غيرها؟ فماذا يقول له هل من حاجة حتى أعطاه كل ما يريد لعباد الله جميعاً، حتى طلب من نصيحة فقال: نعم اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين واعلم أنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحد، فأكتب هشام فبكت من في الأرض وهو يبكي، حتى قام سيدنا عطاء فما أن صار عند الباب حتى لحقه الحاجب بكيس وقال: إن أمير المؤمنين بعث لك بهذا، فقال: هيهات (بعيدة على ذقنك) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. يقول الراوي يا سادة يا كرام: فوالله إنه دخل على الخليفة وخرج من عنده ولم يشرب قطرة ماء.

أيها الإخوة:

عاش سيدنا عطاء مئة عام ملاًها بالعلم والعمل وأترعها بالبر والتقوى وزكاها بالزهادة بما في

أيدي الناس فلما أتاها اليقين وجدته خفيفاً كثير الزاد من عمل الآخرة.

توفي سنة أربع عشرة ومئة وانتقلت روحه إلى أعلى عليين إلى جنات ونهر في مقعد صدق

عند مليك مقتدر فمن أراد أن يكون معه هناك فليترض عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة

التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام

العلم أعلى مقام وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الأحكام، ووفق العاملين لخدمته فهجروا

لذيذ المنام وأذاق المحبين لذة قربه وأنسه فشغلهم عن جميع الأنام.

أحمده سبحانه وتعالى على سيدي الإمام أبي حنيفة النعمان، وسيدي مالك بن أنس رفيع

القدر والشان، وسيدي الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتصل نسبه الشريف بآل عدنان، وعلى

سيدي الإمام أحمد بن حنبل نقي السرية والإعلان، وعلى سيدي الإمام الليث بن سعد صاحب

الإمام مالك وسيدي سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، وسيدي سفيان بن عيينه وسيدي عبد

الرحمن بن عمر الأوزاعي، وسيدي اسحق بن راهويه، وسيدي محمد بن جرير الطبري، وسيدي داود

الظاهري:

قوموا إلى الله ساروا بالعلوم على

نجائب الفكر ركبنا ووجدنا

وفارقوا الأهل واللذات واغتربوا

وقد جفوا في طلاب العلم أوطانا

حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة

وذكرهم عطر الأكوان إعلانا

هم الأئمة لازالت علومهم

تُبدي لنا رشفها روحاً وربحان

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إمام كل إمام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعجل فرجنا بحقهم

وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد تعرفت وإياكم على طبقة التابعين من خلال بعض أئمتها الأبرار، وتركنا

التعرف على أئمة آخرين لعدم الغوص في تراجم الرجال، ونحن اليوم نتعرف على قضية جديدة من

قضايا العقيدة، قضية قال فيها صاحب المنظومة:

ومالك وسائر الأئمة

كذا أبو القاسم صداه الأئمة

فواجب تقليد حبر منهم

كذا حكي القوم بلفظ يفهم

إنها طبقة الأئمة الأربعة الفقيهة ضمن طبقة أتباع التابعين، ومع الحلقة التاسعة والأربعين بعد

المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً

ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سبىدنا محمد رسول الله

معشر السادة:

سبىدنا الإمام أبو حنيفة تابعي لقي من الصحابة أربعة على رأسهم سبىدنا أنس بن مالك

خادم سبىدنا رسول الله، وأخذ العلم والحديث على أكابر طبقة التابعين أيضاً عن عطاء ونافع وحماد

ابن أبي سليمان وعمرو بن دينار، وقد شهد له العلماء بسعة المعرفة والفقه وقوة الحجة، وفيه يقول

سبىدنا الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

وقال فيه غيره: إنه كان إذا سئل في الفقه تفتح وسال كالواذي، وسمعت له دويلاً وجهارة في

الكلام، وحتى قال فيه الإمام الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام هو أمر لا شك

فيه. وكانت أحواله تشبه أحوال الصحابة بزهده وعبادته، حتى قيل إنه ختم القرآن سبعة آلاف مرة،

وكان يقرأ القرآن كله في ركعتين من الليل وحجّ خمساً وخمسين حجة، وصلى الفجر بوضوء العشاء

أربعين سنة.

وقد حبسه أبو جعفر المنصور في السجن ليرغمه على تولي القضاء، فأبى وضربه مئة وثلاثين

سوطاً وهو ممتنع عن ولاية القضاء، فخرج من السجن مريضاً وقد بلغ السبعين من عمره. وما أن

أحس بالموت حتى سجد فصعدت روحه وهو ساجد لله تعالى. سنة ١٥٠ هـ.

إخوة الإيمان:

الآن أزور مع حضراتكم أحد ملوك الأرض في عصره. لا أقصد الدنيا الفانية، ولكن أعني به

ملك الحديث النبوي الشريف. إنه سيدنا الإمام مالك بن أنس. رأس طبقة أتباع التابعين، جمع ثروة

عظيمة من الحديث النبوي وفقهه. لم يجلس مجلس الفتوى حتى شهد له سبعون من علماء المدينة أنه

أحق بذلك المقام وأي مقام، المكان الذي كان يجلس عليه ابن عمر ونافع يدرسان الناس بجوار قبر

الرسول ﷺ.

جلس ليفتي وليجتهد في المسائل، والمجتهد هو الذي يبذل أقصى جهده ليكون في فقهه

واجتهاده موافقاً لما شرع الله ورسوله. ولقد قال الإمام مالك كلمة سطرت على الذهب بأحرف من

نور، قال: كلكم يؤخذ منه ويرد إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

ولد هذا الإمام سنة ٩٣ هـ وحرص على أن يجمع إرث النبوة من أشياخه الذي بلغ عددهم

تسعمئة شيخ، وهو أحد أصحاب السلسلة الذهبية في الحديث، فالحديث إذا روي عن مالك عن

نافع عن ابن عمر عن سيدنا رسول الله، كان أصح الأسانيد. و قد جمع كتابه الموطأ في الحديث قال

فيه الإمام الشافعي: ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله أنفع من موطأ مالك، وقال فيه الإمام

الذهبي: لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ. ولهذا لقب

بإمام دار الهجرة.

وقد بلغ من الأدب مع النبي ﷺ أنه كان لا يركب دابته على أرض المدينة، فلما سئل قال:

إني لأستحيي أن أطأ بحافر الدابة تربة فيها نبي الله (سيدنا محمد). وكان إذا حدث الحديث لا يحدث

به إلا على طهارة، ولا يسمح لأحد أن يرفع صوته أثناء تلاوة الحديث فكأنما رفع صوته فوق صوت

النبي. هذا الأدب مع رسول الله وحبه له جعله: لا ينام ليلة إلا ويرى فيه رسول الله في المنام.

وقد امتحنه الله تعالى زمن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي عندما أكره الناس على البيعة

لابنه وجعلوا يخلفون بالطلاق على ألا ينكثوا البيعة فأفتى الإمام مالك أن هذا اليمين باطل.

فجيء بالإمام وأهين وجلد ولكنه لم يتراجع عن فتواه حتى توفاه الله تعالى سنة ١٧٩هـ.

وكان من أبرز تلامذته سيدنا الإمام الشافعي محمد بن إدريس الذي ولد سنة ١٥٠هـ وبعد أن

أخذ العلم عن أهل مكة قدم على الإمام مالك فقرأ عليه وتفقه، وحفظ الموطأ وأصبح قويا في الحجة

والمنظرة، وبارعا في اللغة فأذن له الإمام مالك بالفتيا والتدريس، وهو بعد لم يبلغ سن العشرين من

عمره. حتى قال فيه الإمام أحمد: ما مس أحد محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في عنقه مَنَّة، ولولا

الشافعي ما عرفنا فقه الحديث.

أيها الإخوة:

كان للإمام الشافعي درس يوميًا، وأي درس، كان يصلي الفجر فيأتيه أهل القرآن فإذا

طلعت الشمس جاء أهل الحديث، فإذا ارتفعت الشمس جاء أهل العربية، فإذا انتصف النهار

انصرف لبيتته. يقول تلميذه الربيع: كان أصحاب مالك يفخرون فيقولون إنه يحضر مجلس مالك نحو

من ستين معممًا، والله لقد عدت في مجلس الشافعي ثلاثمائة معمم.

ويكفيه أنه أول عالم في أصول الفقه الذي وضعه في كتابه الرسالة، حتى توفاه الله تعالى ليلة

الجمعة من رجب على فراش المرض سنة أربع ومئتين.

مشارك لرسول الله في نسبه

أكرم به رجالاً ما مثله رجل

نعم المقطم والمدفون في تربه

أضحى بمصر دفيناً في مقطعتها

أيها السادة:

وكان أعظم تلامذته الإمام أحمد بن حنبل، الذي ولد سنة أربع وستين ومئة، وهو من أتباع

أتباع التابعين، أعز الله به الإسلام والمسلمين، فلئن كان سيدنا أبو بكر قد أعز الله به الدين يوم الردة

فإن هذا الإمام قد أعز الله به الدين يوم محنة خلق القرآن، إلا أن الصديق وجد أنصاراً وأعواناً، وأما

سيدنا الإمام أحمد فلم يجد له ناصراً إلا الله تعالى، ولولا أن الله قيض للأمة هذا الإمام لكفر الناس.

وقد ترك أعظم كتاب في الحديث النبوي الشريف (المسند) انتقاه من أكثر من سبعمئة

وخمسين ألف حديث.

هذا كله مع التقوى والورع والصلاح والعبادة. يقول ولده عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم

وليلة ثلاثمئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط (التي ضربه بها السجانون في قضية خلق القرآن)

صار يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، قال عنه مولانا الإمام الشافعي وقد تركه في العراق:

إنه إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في

الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة.

هذه الأوسمة العظيمة التي من الله بها عليه لكثرة طلبه للعلم وجمعه للحديث الشريف، رآه

رجل ومعه محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين (وما زالت

المحبرة معك) فقال الإمام أحمد مع المحبرة إلى القبر. وكان قد قرب من الثمانين حتى توفاه الله سنة

٢٤٢هـ.

أيها الأحبة والصحب:

ذكر صاحب منظومة العقيدة إماماً خامساً للأئمة الأربعة وهو الإمام الجنيد بن محمد. الإمام

الأعظم في الشريعة والحقيقة في الهداية واستقامة الطريقة سيد الصوفية علماً وعملاً. أضافه ليقول لنا

إننا بحاجة ماسة إلى الأخلاق والتصوف ومتابعة أئمة الثقات لتزكية النفس ورفعها إلى مقام المراقبة

والمشاهدة في مقام الإحسان.

وكان الإمام الجنيد على مذهب الإمام أبي ثور صاحب الإمام الشافعي. صحب الطبقة

العليا من الطائفة الصوفية وبويع على مشيختها، فصار إمام أهل الشريعة والحقيقة. قال أحد

معاصريه: ما رأيت عيناى مثله: الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون

لمعانيه، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه.

من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه

لا يقتدي به. ويقول: الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار الرسول ﷺ. و (لو

أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاتته أكثر مما ناله).

دخل عليه إبليس في صورة فقير يريد خدمة الشيخ، فخدمه مدة طويلة ثم أخبره بنفسه وقال

له: خدمتك مدة ولم يحتل من عملك شيء فلم يرتض قوله وقال له: أنا عارف بك من أول ما

دخلت علي. قال: ولم استخدمتني قال: استخدمتك عقوبة لك لعلمي أن الله لا يوجرك في الخدمة.

فخرج إبليس من عنده خاسئاً. ت ٢٩٧ هـ

أيها الإخوة:

هؤلاء الخيرة من أمة الإسلام لذلك أوجب علينا علماؤنا أن نقتل واحداً منهم هكذا قال

صاحب الجوهرة:

وواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

يجب على كل عبد أن يتعلم مذهباً من هذه المذاهب الأربعة فقط لأن مذهب الإمام الجنيـد

قد فقد هذا هو مذهب الأصوليين وجمهور الفقهاء والمحدثين، إن مولانا عزَّ وجلَّ أحالنا عند عدم

المعرفة إليهم فقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، أوجب السؤال على من لم يعلم

فيترتب عليه الأخذ بقول عالم وذلك تقليد له.

المهم أن يكون لك مذهب في الفروع الفقهية والاعتقادية فواجب تقليد حبر منهم: عالم

حاذق من الأئمة الأربعة، ولا يجوز تقليد غيرهم في الفتوى، ولو كان من أكابر الصحابة. لأن

مذاهبهم لم تدون ولم تضبط كما ضبطت المذاهب الأربعة.

يا أمة الحبيب الأعظم: هؤلاء هم هداة هذه الأمة التي هي خير الأمم بشهادة قوله

تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فهم خيار الخيار بعد الصحابة والتابعين.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: الأئمة الأربعة هداة الأمة في الفروع

الفقهية، والإمام الأشعري والماتريدي ونحوهما هداة الأمة في العقائد الدينية، والإمام الجنيدي ونحوه هداة

الأمة في التصوف. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال، المتصرف في عباده باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، أحمدته حمداً يحفظ النعم من الزوال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله، أرسله هاديًا من الضلال، وداعيًا إلى شرف الخلال، ومرشدًا إلى صالح الأعمال، ومحذّرًا من الجحيم والنكال، ومبشرًا بالنعيم والظلال.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النَّبيِّ الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وأنزلهم في مقعد صدقٍ عندك يا مليكنا المقتدر وعجّل فرجنا بحقهم وبحق من جعلته رحمة للعالمين وسلّم تسليمًا.

أمّا بعد: فأقف اليوم مع حضراتكم مع إمام علم، شيخ من كبار شيوخ المسلمين، فقيه المدينة وأحد سادات التابعين فقهًا ودينًا وورعًا وعبادة وفضلاً، هو أئمة أهل الحجاز في عصره، وأعبر الناس بالرؤيا، قوال بالحق، صلب في الرأي، مستقيم بالسلوك.

جمع بين الحديث والتفسير، أسهر ليله بالصلاة، وأظمأ نهاره بالصوم، وأضنى نفسه في الأسفار لحج بيت الله الحرام خلال أربعين حجة، حتى لُقِبَ براهب الإسلام لفضله وعبادته.

ما نودي بالصلاة من أربعين سنة إلا وهو في المسجد، يصلي فرض الصبح في وضوء العشاء خمسين سنة.

كان (كما قال عن نفسه) يمشي الأيام في طلب الحديث الواحد، وبلغ فيه منزلة شهد مكحول الدمشقي العلامة: بأنه طاف الأرض كلها في طلب العلم، فلم يجد أعلم منه، وكان أحد بناءة هذا الصرح العلمي الذي شاده العلماء المسلمون من تلاميذ سيدنا مُحَمَّد ﷺ:

كان في هيئته وجراته وصراحته مع الملوك أمةً وحدةً، وله مواقف مع عبد الملك بن مروان والوليد والحجاج تقرأها فتحسبها من أحاديث الخيال. رأى الحجاج مرة يسيء الصلاة فنَبَّهه فلم يسمع، فرماه بكف من حصى المسجد.

أراد عبد الملك بن مروان أن يبايع لولديه الوليد وسليمان من بعده، وتبعه الناس وبايعوا، ولكن هذا السيد الإمام أفتى بأن رسول الله ﷺ نهي عن بيعتين.

لم يقل إني واحد من الناس، وقد بايعوا فلا يُباعنَّ مثلهم، ولم يخدع نفسه بهذه الخدعة الشيطانية فيقول: إن القوم إذا لم أبايع نالوا من كرامتي وحقوقني، وأنا رمز العلم والدين فيكون التحقير للدين ولكنه وقف موقف الحق فأبى البيعة.

هدده أمير المدينة بالجلد علناً، وضع العلماء في عصره: عروة بن الزبير، والقاسم بن مُجَد، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبا بكر عبد الرحمن بن حارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهؤلاء هم المعروفون بالفقهاء السبعة: عرضوا عليه أن يسكت فلا يقول: لا، ولا نعم، قال: أنا أسكت عن الحق! لا. وكانوا يعلمون أنه إذا قال: لا، فليس في الأرض قوة تجعله يقول: نعم. قالوا: فاعتزل في بيتك أياماً حتى تمر العاصفة. قال: أبقى في بيتي فلا أخرج إلى الصلاة وأنا أسمع: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، وما سمعتها من أربعين سنة إلا وأنا في المسجد؟ لا.

ودعاه الأمير فهده بالقتل، فقال: نهي رسول الله ﷺ عن بيعتين..
يقرر الحكم كأنه في حلقة الدرس وكأن السيف ليس على عنقه، لا يسكت
خوفاً من السيف، ولا يكتنم العلم، ولا يبدل الحكم.
فأمر أن يساق إلى ساحة العقوبات وجرد من ثيابه وضرب خمسين
وأخذ إلى الحبس.

إننا مع سيد من سادات التابعين أبوه وجده صحابي، إننا مع سيدنا
أبي محمد سعيد بن المسيب القرشي المدني ومع الحلقة السادسة والأربعين بعد
المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه
الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل
على الموجات العاملة من سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠ التوبة).

إخوة الإيمان:

ولد سيدنا سعيد سنة ١٥هـ، بعد سنتين من تولي سيدنا عمر الفاروق
سدة الخلافة، في المدينة المنورة دار الهجرة وعاصمة الخلافة ومقر الصحب
البررة، ومهد السنة ودار الفقه ومنبع الحديث.
في هذا الجو الإسلامي الكبير نشأ هذا التابعي وفيه تكونت شخصيته
قوة وعزة وصلابة في الحق واستقامة في السلوك، فكان خير خلف لخير
سلف، وأصبح تاجاً في رأس القرن الثاني.

تزوج سيدنا سعيد بابنة الصحابي الجليل سيدنا أبي هريرة، فكان صهره، وكان إذا التقى به قال: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، ولهذا أكثر عنه من الرواية. وكان يقول: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

أيها الإخوة الكرام:

وأرى خطباً عظيماً يحدث في المدينة شيء لا ندري ما هو؟ إن الناس قد خرجوا إلى الطريق، والنساء قد أطلن من شقوق النوافذ، إنهم يرقبون شيئاً؟ فاسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ فأرسلوا تحيتكم إلى الحبيب الأعظم.

وأرى الناس قد خرجوا يرتقبون المندوب الخاص لعبد الملك، وصل الموكب متوجهاً نحو المسجد فالمسجد مجمع كل أمر جليل، فيه تكون البيعة، وفيه يستقبل الأمير وفيه تلتقي الوفود، وفيه يكون القاضي، وتجري المحاكمات، وفيه تلقى الدروس ويؤخذ العلم، فهو البرلمان وهو القصر وهو المحكمة وهو الجامعة.

وأقبل رسول الخليفة حتى وقف على حلقة سيدنا سعيد، فأبلغه سلام أمير المؤمنين، وأنه قادم يخطب إليه ابنته للوليد ولي عهد المسلمين.

وغبط الناس سيدنا سعيداً على هذه النعمة التي نزلت عليه وعلى هذا التشريف الذي ناله وعلى الدنيا التي سيقَّت إليه، ابنته زوجة الوليد ولي عهد المسلمين اليوم، وأمير المؤمنين غداً، وسيد البلاد الإسلامية كلها.

وارتقب الناس أن يهش سيدنا سعيد وَيَبْش وَيَطِير فرحاً بهذه النعمة، ولكن موازين الناس غير موازين سيدنا سعيد، ميزانه ميزان الشرع: الناس

يفتشون عن المال والجاه، ولكن سيدنا سعيداً يفتش لابنته عن السعادة الزوجية، عن الخلق والدين، عن الطهر والفضيلة، وماذا تفيده دنيا الوليد، إن مهتر ابنته بهذه الدنيا دينها؟ ما ذا تنفع الدنيا إذا باع المسلم دينه لأجلها.

إن الرجل الدّين الحسن الخلق الفقير خير للمرأة من ابن أمير المؤمنين، لأن هذا يكون لها وحدها وذاك تشركها فيه الزوجات والجواري ومن تدري ومن لا تدري.

وإذا كان لك عبد مخلص يحبك ويشكر فضلك ويطيع أمرك وأرسلته بأمانة ليدفعها إلى زيد فأعطاها عمرا هل تكون عنه راضياً؟ كذلك أنت أيها الأب، إنك عبد الله، والبنّت أمانة عندك، وقد أمرك أن تعطيه لمن يمثلك في مسلكه ومشربه، ويرضيك دينه وخلقه، فإن رفضته وبحثت عن الغنى، أو جعلت بنتك سلعة تباع فقد أسخطت ربك وآذيت بنتك.

وهل البنّت فرس أو نعجة حتى تباع لمن يدفع فيها الثمن الأكبر؟ وما ذا يفيدك كثرة المهر، والزواج إذا كان موفقاً كان لها ماله وله مالها، وإن لم يكن موفقاً لم ينفع البنّت ما أخذت من مال.

فكر سيدنا سعيد في هذا كله في لحظات، ورسول الخليفة واقف ينتظر جوابه ولا يشك في أنه جواب الموافقة ولا يشك الناس. وإذا سيدنا سعيد يقول: لا. لا! إنه رفض أن يعطي ابنته لأمر المؤمنين: كثير بن المطلب.

ومرت أيام، وكان له تلميذ اسمه ابن أبي وداعة، متين الدين، رضي الخلق، انقطع عن الدرس

ثم جاء فسأله: فقال: مرضت زوجتي فمرضتها وعנית بها، ثم توفيت فدفنتها. فقال: هل تزوجت

غيرها قال: ومن يزوجني ولا أملك إلا أربعة دراهم؟ فمن يزوجني بأربعة دراهم قال سيدنا سعيد: أنا.

هل سمعتم -أيها السادة- سيدنا سعيد رفض ابن أمير المؤمنين الذي يملك ما بين البحر الأطلنطي

وجبال الصين، يزوج ابن أبي وداعة الذي لا يملك إلا أربعة دراهم.

وشدّه الرجل، وكذب أذنه وعقدت المفاجأة لسانه وحسب نفسه في منام، ولكن سيدنا

سعيداً دعا بالشهود وعقد العقد. وذهب الرجل إلى داره وهو لا يزال في حمى الدهشة، وقدم عشاءه،

وكان خبزاً وزيتاً وإذا بالباب يقرع. قال: من؟ قال: سعيد.

قال ابن أبي وداعة: ومرّ على بالي كل سعيد في الدنيا إلا سعيد بن المسيب لأنه لم يطرق

باب أحد من أربعين سنة، ولا رأي إلا بين بيته والمسجد ففتح له. فقال سيدنا سعيد: كرهت أن

يسألني الله عن وحدتك، ولك زوجة فجئت بها، وكانت العروس وراءه فدفع بها إليه .

هكذا! بلا حفلات ولا عرس ولا جهاز!

قال: رحمتك الله ألا انتظرت حتى أحصل مالاً وأعد للعرس عدة. قال: أما قلت إن معك

أربعة دراهم.

أربعة دراهم! فعلام الحفلات؟. وهل الزواج رباط بين روحين وصلة بين قلوبين، وبيت يضم

اثنين، أو هو معرض أثاث وثياب، ومناقرة كرم، واكتساب شهرة.

إن هذه الحفلات يا ناس لا تخرب بيت الزوج والأب فقط. بل تخرب عشرين بيتاً، تتزوج

بنت عم خال امرأتك فتكلفك ثوباً يعجز عنه موردك فإن شريته اضطربت موازنتك، وإن أبيت

تنغص عيشك.

قال كثير بن وداعة: ورأيتهما أجمل امرأة وأكملها، ولما أصبحت غدوت لأذهب قالت: إلى

أين؟ قلت: إلى مجلس سعيد فقالت: اقعد أعلمك علم سعيد. وإذا هي عالمة محدثة، ولقد كنا بعد

إذا أعيت العلماء مسألة رجعنا إليها.

أيها الإخوة:

ومرض سيدنا سعيد مرضاً شديداً فاستدعى تلميذاً له وقال: إني أشهدك على ابني محمد لا

يؤذني بي أحداً لا يعلم أحداً بموتي حسبي أربعة يحملوني إلى رب.

ومات سيدنا سعيد بن المسيب وترك لمن خلفه درساً للعلماء ودرساً للآباء، وارتقت روحه

إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن كان أن يكون معه هناك فليترض عنه هنا،

وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام

العلم أعلى مقام، وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الأحكام، وأودع العارفين لطائف سرّه

فهم أهل المحاضرة والإلهام، ووفق العاملين لخدمته فهجروا لذيق المنام. وأذاق المحبين لذّة قُربهِ وأنّيسه

فشغلهم عن جميع الأنام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كرم الأمة المحمدية وفضّلهم على غيرهم

بالإسلام، وجعل فيهم قادة وسادة يدعون بأمره إلى دار السلام.

وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله اختصه الله بالقرآن العزيز المعجز وجوامع الكلام، فبين

للناس ما أرسل به من أصول الديانات وفروع الأحكام.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا

محّمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا.

أمّا بعد: فنحن اليوم مع علم من الأعلام الشوامخ، وإمام من الأئمة الكبار، ونادرة من نادر

الرجال، مع رجل ملأ في زمانه القلوب والعيون والأسماع، ولا يزال وقد مرّ عليه ثلاثة عشر قرناً بملأ

الاستماع والعيون والقلوب. مع رجل كان في الورع والتقوى آية طاهرة، وكان في العلم بجرّاً زاخراً، وكان

في الفصاحة والبيان علماً مفرداً، وكان أعظم وعاظ الإسلام في تاريخه كلّ.

إنّا مع رجل كان إذا جلس في حلقة في المسجد. أدار درسه في جوانب العلوم الشرعية

والعربية يمرّ فيه على القرآن والحديث والفقه واللغة وربما كان يسأل عن التصوف فيجيب، فكان

تلامذته قسم يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم

من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص، حتى إنك لو جلست إليه لقلت إنك لم تجالس فقيهاً قط.

ولو أنك رأيته لقلت قد بُثّ عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج وكأن النار لم

تخلق إلا له وكان إذا سئل عن بكائه قال: أخاف أن يطرحني الله غداً في النار ولا يبالي.

قال عنه مجالسوه: إنه مكث ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح. إنه شيخ علماء أهل

البصرة سيدنا الحسن البصري. أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ومعه طبقة التابعين في الدرس

السابع والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة

أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سبدا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

كان والد الإمام الحسن البصري في الأصل عبداً مملوكاً من سبي بيسان وكانت أمه كذلك، ولكن الله تعالى أراد لهما ولذريتهما الخير، وإذا أراد الله الخير لأحد هياً له أسبابه فصار أبوه مولى سيدنا زيد ابن ثابت أحد أئمة الصحابة وعلماء الصدر الأول، وصارت أمه خيرة مولاةً لأم المؤمنين السيدة أم سلمة هند بنت سهيل، السيدة أم سلمة أكمل نساء العرب عقلاً وأوفرهن فضلاً وأشدهن حزمًا وأوسع زوجات رسول الله علماً وأكثرهن رواية عنه، إذ روت ثلاثمئة وسبعةً وثمانين حديثاً، فكان من تمام خط سيدنا الحسن الذي ولد لستين بقيتاً من خلافة الفاروق عمر. كان من تمام خطه أن أمه كانت تغيب فيبكي فتعطيه السيدة أم سلمة ثديها فربما درّ عليه اللبن من حناها، فهل في التكرمة أكثر من أن يترى في حجر أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ.

وعاش بين الصحابة وتلمذ على أيدي كبارهم في المسجد النبوي الشريف، حيث روي عن عثمان وعلي وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله لكنه أوسع أكثر ما أوسع بأمر المؤمنين سيدنا علي، فقد راعه منه صلابته في دينه وإحسانه لعبادته وزهادته بزيينة الدنيا وزخرفتها، وخَلَبَهُ منه بيانه المشرق وحكمته البالغة وأقواله الجامعة وعظاته التي تهمز القلوب هزاً فتخلق بأخلاقه في التقى والعبادة ونسج على منواله في البيان والفصاحة حتى بلغ أربعة عشر ربيعاً من عمره، ودخل في مداخل الرجال فسار مع أبويه إلى البصرة واستقر فيها مع أسرته، ومن هنا نسب الحسن إلى البصرة وعرف بين الناس بالحسن البصري.

وقلما قرأت كلاماً أكمل ولا أجمل ولا أنبل من كلامه، ولقد شبهوه من قديم بكلام الأنبياء

وشهد له شيخ العربية وإمام أئمتها أبو عمرو بن العلاء بأنه كان هو والحجاج أفصح الناس . قيل

فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن.

أيها الإخوة:

كان الوعاظ يُدعون القصاص وكان أكثرهم ممن يتخذ الدين حرفة، والتقوى صناعة ويأكلون

بما الدنيا ويجمعون بها المال، يخرقون على العامة باللفظ الجميل والمظهر الخداع والخشوع الكاذب

يتكلمون من ألسنتهم لا من قلوبهم. لذلك منع أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب القصاص من

دخول المسجد في البصرة، ولم يستثن إلا سيدنا الحسن البصري لأنه كان يقول الحق ويروي الحديث

الصحيح. لا يسرد الإسرائيليات ولا ينقل الموضوعات ولأنه كان يتكلم من قلبه، يزهد الناس في الدنيا

وهو أول الزاهدين، لا يأخذ منهم أجراً ولا يقبل منهم هدية ولا يتخذ جاهاً وسيلة إلى الخطوة عند

الملوك والقرب من السلاطين.

واسمحوا لي أن أنقل لكم بعض كلام الحسن لتروا لونا من ألوان البلاغة المطبوعة في كلام

مليء بالدين والعلم والنظر السديد والرأي الصائب (صلوا على سيدنا محمد ﷺ).

سأله بعض القوم أن يخبرهم عن صفة أصحاب رسول الله ﷺ فبكى وقال: ظهرت منهم

علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، ومشاهم

بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى

واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم، ظمئت حناجرهم ونحلت أجسامهم

واستخفوا بسخط المخلوقين لرضا الخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يخيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله

في القرآن، شفّعوا الألسن بالذكر، بذلوا لله دماءهم حين استنفرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ولم

يمنعهم خوفهم من المخلوقين من إنقاذ حكم الخالق. حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير

من دنياهم إلى آخرتهم.

أيها السادة:

هذه الأوصاف التي ذكرها سيدنا الحسن عن الصحب الكرام. كان يطبقها على نفسه طيلة

حياته كان صداعاً للحق، لا يسكت عن إنكار منكر ولا تمنعه منه هيبة أمير، ولا بطش ملك، لكنه

كان حيناً يعرض تعريضاً وحيناً يصرح تصريحاً.

من صراحته في نقد الملوك والأمراء أنه لما انتقل الخليفة الزاهد سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى

جوار ربه وآلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك ولّى على العراق عمر بن هبيرة الفزازي، فدعا عمر كلاً

من الحسن البصري وعامر بن شراحبيل المعروف بالإمام الشعبي وقال لهما:

إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك قد استخلفه الله على عبادته وأوجب طاعته على الناس

وقد ولاني ما ترون من أمر العراق ثم زادني فولاني فارس، وهو يرسل إلي أحياناً كتباً يأمرني فيها بإنفاذ

مألاً أطمئنُ إلى عدالته، فهل تجدان لي في متابعتي إياه وإنفاذ أوامره مخرجاً في الدين.

فأجاب الإمام الشعبي جواباً فيه ملاطفة للخليفة ومسايرة للوالي، وسيدنا الحسن ساكت.

فالتفت إليه عمر وقال: وما تقول أنت يا أبا سعيد. فقال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تحف

يزيد في الله واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، يا بن هبيرة إنه يوشك

أن ينزل بك ملك غليظ شديد لا يعصي الله ما أمره فينزلك من سريك هذا وينقلك من سعة قصرك

إلى ضيق قبرك، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عملك الذي خالفت فيه رب يزيد، يا بن هبيرة

إنك إن تك مع الله في طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك (يمنع عنك أذاه) في الدنيا والآخرة،

وإن تك مع يزيد في معصيته لله تعالى فإن الله يكللك إلى يزيد، واعلم يا بن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق

كائناً من كان في معصية الخالق عز وجل. فبكى عمر بن هبيرة حتى بليت دموعه لحيته.

أيها الإخوة المؤمنون:

هذا موقف بسيط مع ابن هبيرة، ولكن موقفاً أعظم وقفه الإمام الحسن مع حاكم العراقين
الحجاج ابن يوسف الثقفي، فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى هذا الرجل الذي لا نجبه
ولا نسبه فقد استدعى الإمام الحسن لما بلغه عنه من كلام فيه مسبة للحجاج وأمثاله. إذا كان الحسن
يعرض بالحكام وينالهم بالحق ويقول عنهم إن أناساً اتخذوا عباد الله خولاً وكتاب الله دخلاً (تعاهدوا
العباد وتركوا العمل بالقرآن) ومال الله دولاً يأخذون من غضب الله وينفقون في سخط الله والحساب
عند البيدر. وصل هذا الكلام إلى الحجاج فاشتتات غضباً فاستدعاه، وما هو إلا قليل حتى جاء
سيدنا الحسن، فشخصت نحوه الأبصار ووجفت عليه القلوب فلما رأى الحسن السيف والنطع
والجلاد حرك شفتيه وأقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى الله، فلما
رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشد الهيبة وقال له: ههنا يا أبا سعيد ههنا، ثُمَّ ما زال يوسع له
ويقول ههنا والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه بجواره. وراح يعاتبه على
كلامه فيه فإذا بسيدنا الحسن يقول: إن الله أخذ ميثاق الفقهاء في الأزمنة كلها ليبينه للناس ولا
يكتُمونه. ثُمَّ قال له:

كم بينك أيها الأمير وبين آدم من أب. قال: كثير. قال: أين هم؟ فأطرق الحجاج ساعة

مفكراً ثم قال: يا جارية الغالية (الطبيب)، فخرجت بها فقال الحجاج: ضمّخوا رأس الشيخ ولحيته

بالطبيب ثم قال: انصرف إلى أصحابك فنعم المؤدب أنت.

وانصرف الإمام الحسن عزيزاً رافع الرأس لكنه تبعه حاجب الحجاج وقال: يا أبا سعيد لقد

دعاك الحجاج لغير ما فعل بك وإني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع قد حركت شفتيك

فماذا قلت؟ فقال الحسن: قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي، اجعل نعمته برداً وسلاماً علي

كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

إخوة العقيدة والدين:

هزت مواضع الإمام الحسن الأفئدة واستدرت الشؤون ودلت النათحين على الله، ونهت

الفازين الغافلين إلى حقيقة الدنيا وحال الناس معها. سأله سائل عن الدنيا وحالها فقال: تسألني عن

الدنيا والآخرة؟ إن مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب متى ازددت من أحدهما قريباً ازددت من

الآخر بعداً، ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

أيها السادة:

عاش سيدنا الحسن أكثر من ثمانين عاماً قضاها في خدمة الشريعة. حتى إذا كان ليلة الجمعة

من أول رجب سنة مئة وعشر أغمي على الإمام ثمَّ أفاق إفاقة فقال: لقد نيهتموني من جنات وعيون

ومقام كريم. ثمَّ أغمض عينيه ولى نداء ربه عزَّ وجلَّ وارْتَحَت البصرة لموته رجاءً، لكن الناس كأنما

أصابتهم ساكنة فقد مضى عالمهم ومعلمهم وداعيهم فلم يستطع أحد أن يتكلم لشدة حزنه عليه،

وازدحم الناس على جنازته بعد صلاة الجمعة ولم يصلوا إلى قبره حتى بعد صلاة العصر، ولم تقم صلاة

العصر في مسجد البصرة لأول مرة ولآخر مرة، لأنه لم يبق أحد إلا اتبع جنازة الإمام.

لقد مضى الإمام وهكذا سنمضي فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً

يره، وأعود بكم من البصرة إلى الشام من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس

فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق لنشر محاسن التابعين وطيبها في أحسن كتاب، وجعل ذلك قرّةً لأعين

الأحباب وذخيرةً ليوم المآب.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فبحمده يفتتح كل كتاب ويختتم كل خطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجلب كل ثواب وتدفع كل عقاب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي أحيا بإحياء شريعته وطريقته قلوب ذوي الألباب

والذي انقشع بنوره ظلام كل سحاب وكدر كل ارتياب.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد

وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فنحن اليوم ننزل ضيوفًا على مكة المكرمة حرسها الله تعالى، وبالذات على إمام

علم ومفتي الحرم، على الزاهد التقي والمحدث الثقة والفقيه الورع، على تلميذ كوكبة من الصحب

الكرام، على شيخ شهد له أهل عصره من العلماء بأنه ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم منه

بمناسك الحج، على التلميذ الأول لسيدنا عبد الله بن عباس، على رجل وقف على عرفات الله سبعين

حجة وهو يسأل الله تعالى رضاه والجنة، ويستعيد به من سخطه والنار.

إنه عالم مكة في عصره سيدنا أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي. ﷺ. ومع

الحلقة الأخيرة من طبقة التابعين في الحلقة الثامنة والأربعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من

جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

كان سيدنا عطاء بن أسلم (وهو اسم أبي رباح) في صغره عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة،

لكن مولانا أكرم هذا الغلام منذ نعومة أظفاره بأن وضع قدميه على أول طريق العلم فقسم وقته

أقساماً ثلاثة: قسم جعله لسيده يخدمها فيه أحسن ما تكون الخدمة ويؤدي لها حقوقها على أكمل

ما تؤدي الحقوق، وقسم جعله لربه عز وجل يفرغ فيه لعبادته أصفى ما تكون العبادة وأخلصها لله عزَّ

وجلَّ، وقسم جعله لطلب العلم حيث أقبل على ما بقي حياً من صحابة رسول الله ﷺ ووفق ينهل

من مناهلهم الترة الصافية، فأخذ عن سيدنا أبي هريرة، وسيدنا عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس

وعبد الله بن الزبير وغيرهم، حتى أصبح أشياخه الذين أخذ عنهم (احذروا كم؟) مئتي صحابي من

صحابه رسول الله ﷺ، وحتى امتلأ صدره علماً وفقهاً ورواية.

أيها الإخوة:

لما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه لله، ووقف حياته على طلب العلم. تخلت

عن حقها فيه وأعتقت رقبته تقريباً لله عز وجل، لعل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين. واستجاب

الله لأمنيتهما فقد اتخذ سيدنا عطاء بن أبي رباح البيت الحرام مقاماً له فجعله داره التي يأوي إليها،

ومدرسته التي يتعلم فيها، ومُصلاًه الذي يتقرب فيه إلى الله بالتقوى والطاعة، حتى قال المؤرخون: كان

المسجد فراش عطاء بن أبي رباح نحواً من عشرين عاماً وأصبح له شأن أيّ شأن حتى قال فيه سيدنا

ابن عمر حين أمّ مكة معتمراً وقد أقبل عليه الناس يسألونه ويستفتون. قال لهم: إني لأعجب لكم يا

أهل مكة! أجمعون لي المسائل لتسألوني عنها وفيكم عطاء بن أبي رباح؟!

أندرون —أيها الأحبة والصحب— بم بلغ سيدنا عطاء ما بلغ من المكانة والمرتبة في العلم

والدين؟ بخصلتين: أولاهما: أنه أحكم سلطانه على نفسه فلم يدع لها سبيلاً لترتع فيما لا ينفع.

وثانيتها: أنه أحكم سلطانه على وقته فلم يهدره في فضول الكلام والعمل.

حدّث أحد علماء الكوفة لجماعة من زواره فقال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما

نفعني. قالوا: يا بن أخي إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام. فقلت: وما فضول الكلام

عندهم؟. فقال: كانوا يُعَدُّون كلّ كلام فضولاً ما عدا كتاب الله عزَّ وجلَّ أنْ يقرأ ويفهم، وحديث

رسول الله أنْ يروى ويذكر أو أمراً بمعروف ونهيّاً عن منكر، أو علماً يتقرَّب إلى الله تعالى، أو أنْ

تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لا بد لك منها. ثُمَّ حدّث إلى وجهي وقال: أتنكرون (إنَّ عليكم

لحافظين كراماً كاتبين)، وأن مع كلّ منكم ملكين (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا

به رقيب عتيد).

أيها السادة الكرام:

ولكي تروا المكانة التي وصل إليها هذا التابعي الجليل. اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى

مكة أم القرى فإن موكب الخليفة سليمان بن عبد الملك يؤم مكة حاجاً أو معتمراً ومع الخليفة ولده،

وهاهم مع الحاشية يطوفون حول الكعبة المشرفة. خليفة المسلمين وأعظم ملوك الأرض يطوف بالبيت

العتيق. حاسر الرأس حافي القدمين ليس عليه إلا إزار ورداء، وأن انتهى من طوافه حتى سأل عن إمام

مكة سيدنا عطاء، فقالوا: هاهو هناك في صلاته غارقاً في ركوعه وسجوده، فمضى أمير المؤمنين نحوه

وجلس مع الجالسين، ينتظر الإمام حتى ينتهي من صلاته.

فنظر ولدا أمير المؤمنين فرأيا شيخاً حبشياً مغلغل الشعر، أفطس الأنف، أشلّ اليد أعرج

الرَّجُل. إذا جلس بدا كالغراب الأسود، عليه قميص لا يزيد ثمنه على خمسة دراهم، وقلنسوة لازقة

برأسه وخلفه أمير المؤمنين ينتظره هو وحاشيته.

وما أن انتهى سيدنا عطاء حتى حيّاه الخليفة فرد التحية بمثلها، وأقبل عليه الخليفة يسأله عن

مناسك الحج منسكاً، منسكاً، وهو يفيض بالإجابة عن كل مسألة، ويسند كل قول يقوله إلى سيدنا

رسول الله ﷺ. وانتهى الخليفة من مساءلته ودعا له بالخير، ومضى الركب نحو المسعى فإذا بالمنادي

ينادي: ألا لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح.

وهكذا - معشر السادة - نفع الله تعالى سيدنا عطاء العبادة من حجاج بيت الله الحرام من

الأفراد والعلماء والأئمة الأعلام، فها هو سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان يحدّثنا عن نفسه فيقول:

أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام، وذلك أنني أردت أن أحلق لأخرج من

الحرم (للتحلل من الإحرام) فأتيت حلاقاً وقلت: بكم تحلق رأسي؟ فقال: هداك الله النسك لا

يشارط فيه. اجلس واعط ما يتيسر لك. فخرجت وجلست، غير أنني جلست منحرفاً عن القبلة،

فأومأ إلي بأن أستقبل القبلة ففعلت، وازددت خجلاً على خجلي، ثُمَّ أعطيته رأسي من الجانب

الأيسر ليحلقه فقال: أدر شقك الأيمن فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر إليه، وأعجب

منه. فقال لي: ما لي أراك ساكتاً كثيراً. فجعلت أكثر حتى إذا قمت لأذهب فقال: أين تريد؟

فقلت أريد أن أمضي إلى رحلي. فقال: صل ركعتين ثم امض إلى حيث تشاء، فصليت ركعتين.

وقلت في نفسي ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام إلا إذا كان ذا علم. فقلت: من أين لك ما

أمرتني به من المناسك. فقال: لله أنت لقد رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله، فأخذته عنه ووجهته إليه

الناس.

أيها الإخوة:

كان سيدنا عطاء يعيش في دنيا من عقيدته وإيمانه، ترك الدنيا للناس وزهد فيها ولم يحرص

متعها ولذائدها، فانقادت له الدنيا وذل له جبارتها حتى وقف موقف الأبطال لا يهاب أحداً إلا الله

تعالى ومن خاف الله يا أيها الناس خافه كل شيء، ومن أخلص له وضع هيئته ومحبته في كل قلب.

هذه الحقائق كانت متمثلة في شخصية سيدنا عطاء، هاهو يشرف دمشق بزيارة هامة في عهد هشام

بن عبد الملك، فاستقبلوا سيدنا عطاءً بالترضي عنه.

وما إن علم الخليفة بأن الشيخ الإمام بالباب حتى بادر بالإذن له، وما أن وقعت عيناه عليه

حتى رحب به أشد الترحيب وقال: ههنا يا إمام ههنا، وما زال يقول ههنا حتى أجلسه على سريره

ومسّ بركبته ركبته. أرايتم كيف كانت مكانة العلماء في عصر الصدر الأول؟

ترى ما الذي جاء بسيدنا عطاء؟ هكذا سأله الخليفة ما حاجتك يا أبا مُجَّد. قال: يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطيتهم. فقال: نعم. يا غلام اكتب لأهل مكَّة والمدينة بعطايهم وأرزاقهم لسنة. ثُمَّ قال: هل من حاجة غيرها يا أبا مُجَّد؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم، فقال: نعم وهل من حاجة غيرها يا أبا مُجَّد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يقفون في وجوه عدوكم ويقتلون من رام المسلمين بشر تجري عليهم أرزاقاً تُدِّرها عليهم، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور. فقال: نعم. هل من حاجة غيرها؟ فماذا يقول له هل من حاجة حتى أعطاه كل ما يريد لعباد الله جميعاً، حتى طلب من نصيحة فقال: نعم اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين واعلم أنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحد، فأكتب هشام فبكت من في الأرض وهو يبكي، حتى قام سيدنا عطاء فما أن صار عند الباب حتى لحقه الحاجب بكيس وقال: إن أمير المؤمنين بعث لك بهذا، فقال: هيهات (بعيدة على ذقنك) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. يقول الراوي يا سادة يا كرام: فوالله إنه دخل على الخليفة وخرج من عنده ولم يشرب قطرة ماء.

أيها الإخوة:

عاش سيدنا عطاء مئة عام ملاًها بالعلم والعمل وأترعها بالبر والتقوى وزكاها بالزهادة بما في

أيدي الناس فلما أتاها اليقين وجدته خفيفاً كثير الزاد من عمل الآخرة.

توفي سنة أربع عشرة ومئة وانتقلت روحه إلى أعلى عليين إلى جنات ونهر في مقعد صدق

عند مليك مقتدر فمن أراد أن يكون معه هناك فليترض عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة

التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام

العلم أعلى مقام وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الأحكام، ووفق العاملين لخدمته فهجروا

لذيذ المنام وأذاق المحبين لذة قربه وأنسه فشغلهم عن جميع الأنام.

أحمده سبحانه وتعالى على سيدي الإمام أبي حنيفة النعمان، وسيدي مالك بن أنس رفيع

القدر والشان، وسيدي الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتصل نسبه الشريف بآل عدنان، وعلى

سيدي الإمام أحمد بن حنبل نقي السريّة والإعلان، وعلى سيدي الإمام الليث بن سعد صاحب

الإمام مالك وسيدي سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، وسيدي سفيان بن عيينه وسيدي عبد

الرحمن بن عمر الأوزاعي، وسيدي اسحق بن راهويه، وسيدي محمد بن جرير الطبري، وسيدي داود

الظاهري:

قوموا إلى الله ساروا بالعلوم على

نجائب الفكر ركبنا ووجدنا

وفارقوا الأهل واللذات واغتربوا

وقد جفوا في طلاب العلم أوطانا

حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة

وذكرهم عطر الأكوان إعلانا

هم الأئمة لازالت علومهم

تُبدي لنا رشفها روحاً وريحان

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إمام كل إمام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعجل فرجنا بحقهم

وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد تعرفت وإياكم على طبقة التابعين من خلال بعض أئمتها الأبرار، وتركنا

التعرف على أئمة آخرين لعدم الغوص في تراجم الرجال، ونحن اليوم نتعرف على قضية جديدة من

قضايا العقيدة، قضية قال فيها صاحب المنظومة:

ومالك وسائر الأئمة

كذا أبو القاسم صداه الأئمة

فواجب تقليد حبر منهم

كذا حكي القوم بلفظ يفهم

إنها طبقة الأئمة الأربعة الفقيهة ضمن طبقة أتباع التابعين، ومع الحلقة التاسعة والأربعين بعد

المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً

ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سبىدنا محمد رسول الله

معشر السادة:

سبىدنا الإمام أبو حنيفة تابعي لقي من الصحابة أربعة على رأسهم سبىدنا أنس بن مالك

خادم سبىدنا رسول الله، وأخذ العلم والحديث على أكابر طبقة التابعين أيضاً عن عطاء ونافع وحماد

ابن أبي سليمان وعمرو بن دينار، وقد شهد له العلماء بسعة المعرفة والفقه وقوة الحجة، وفيه يقول

سبىدنا الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

وقال فيه غيره: إنه كان إذا سئل في الفقه تفتح وسال كالواذي، وسمعت له دويلاً وجهارة في

الكلام، وحتى قال فيه الإمام الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام هو أمر لا شك

فيه. وكانت أحواله تشبه أحوال الصحابة بزهده وعبادته، حتى قيل إنه ختم القرآن سبعة آلاف مرة،

وكان يقرأ القرآن كله في ركعتين من الليل وحجّ خمساً وخمسين حجة، وصلى الفجر بوضوء العشاء

أربعين سنة.

وقد حبسه أبو جعفر المنصور في السجن ليرغمه على تولي القضاء، فأبى وضربه مئة وثلاثين

سوطاً وهو ممتنع عن ولاية القضاء، فخرج من السجن مريضاً وقد بلغ السبعين من عمره. وما أن

أحس بالموت حتى سجد فصعدت روحه وهو ساجد لله تعالى. سنة ١٥٠ هـ.

إخوة الإيمان:

الآن أزور مع حضراتكم أحد ملوك الأرض في عصره. لا أقصد الدنيا الفانية، ولكن أعني به

ملك الحديث النبوي الشريف. إنه سيدنا الإمام مالك بن أنس. رأس طبقة أتباع التابعين، جمع ثروة

عظيمة من الحديث النبوي وفقهه. لم يجلس مجلس الفتوى حتى شهد له سبعون من علماء المدينة أنه

أحق بذلك المقام وأي مقام، المكان الذي كان يجلس عليه ابن عمر ونافع يدرسان الناس بجوار قبر

الرسول ﷺ.

جلس ليفتي وليجتهد في المسائل، والمجتهد هو الذي يبذل أقصى جهده ليكون في فقهه

واجتهاده موافقاً لما شرع الله ورسوله. ولقد قال الإمام مالك كلمة سطرت على الذهب بأحرف من

نور، قال: كلكم يؤخذ منه ويرد إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

ولد هذا الإمام سنة ٩٣ هـ وحرص على أن يجمع إرث النبوة من أشياخه الذي بلغ عددهم

تسعمئة شيخ، وهو أحد أصحاب السلسلة الذهبية في الحديث، فالحديث إذا روي عن مالك عن

نافع عن ابن عمر عن سيدنا رسول الله، كان أصح الأسانيد. و قد جمع كتابه الموطأ في الحديث قال

فيه الإمام الشافعي: ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله أنفع من موطأ مالك، وقال فيه الإمام

الذهبي: لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ. ولهذا لقب

بإمام دار الهجرة.

وقد بلغ من الأدب مع النبي ﷺ أنه كان لا يركب دابته على أرض المدينة، فلما سئل قال:

إني لأستحيي أن أطأ بحافر الدابة تربة فيها نبي الله (سيدنا محمد). وكان إذا حدث الحديث لا يحدث

به إلا على طهارة، ولا يسمح لأحد أن يرفع صوته أثناء تلاوة الحديث فكأنما رفع صوته فوق صوت

النبي. هذا الأدب مع رسول الله وحبه له جعله: لا ينام ليلة إلا ويرى فيه رسول الله في المنام.

وقد امتحنه الله تعالى زمن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي عندما أكره الناس على البيعة

لأبنه وجعلوا يخلفون بالطلاق على ألا ينكثوا البيعة فأفتى الإمام مالك أن هذا اليمين باطل.

فجيء بالإمام وأهين وجلد ولكنه لم يتراجع عن فتواه حتى توفاه الله تعالى سنة ١٧٩هـ.

وكان من أبرز تلامذته سيدنا الإمام الشافعي محمد بن إدريس الذي ولد سنة ١٥٠هـ وبعد أن

أخذ العلم عن أهل مكة قدم على الإمام مالك فقرأ عليه وتفقه، وحفظ الموطأ وأصبح قوياً في الحجة

والمناظرة، وبارعاً في اللغة فأذن له الإمام مالك بالفتيا والتدريس، وهو بعد لم يبلغ سن العشرين من

عمره. حتى قال فيه الإمام أحمد: ما مس أحد محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في عنقه مَنَّة، ولولا

الشافعي ما عرفنا فقه الحديث.

أيها الإخوة:

كان للإمام الشافعي درس يوميًا، وأي درس، كان يصلي الفجر فيأتيه أهل القرآن فإذا

طلعت الشمس جاء أهل الحديث، فإذا ارتفعت الشمس جاء أهل العربية، فإذا انتصف النهار

انصرف لبيتته. يقول تلميذه الربيع: كان أصحاب مالك يفخرون فيقولون إنه يحضر مجلس مالك نحو

من ستين معممًا، والله لقد عدت في مجلس الشافعي ثلاثمائة معمم.

ويكفيه أنه أول عالم في أصول الفقه الذي وضعه في كتابه الرسالة، حتى توفاه الله تعالى ليلة

الجمعة من رجب على فراش المرض سنة أربع ومئتين.

مشارك لرسول الله في نسبه

أكرم به رجلاً ما مثله رجل

نعم المقطم والمدفون في تربه

أضحى بمصر دفناً في مقطعتها

أيها السادة:

وكان أعظم تلامذته الإمام أحمد بن حنبل، الذي ولد سنة أربع وستين ومئة، وهو من أتباع

أتباع التابعين، أعز الله به الإسلام والمسلمين، فلئن كان سيدنا أبو بكر قد أعز الله به الدين يوم الردة

فإن هذا الإمام قد أعز الله به الدين يوم محنة خلق القرآن، إلا أن الصديق وجد أنصاراً وأعواناً، وأما

سيدنا الإمام أحمد فلم يجد له ناصراً إلا الله تعالى، ولولا أن الله قيض للأمة هذا الإمام لكفر الناس.

وقد ترك أعظم كتاب في الحديث النبوي الشريف (المسند) انتقاه من أكثر من سبعمئة

وخمسين ألف حديث.

هذا كله مع التقوى والورع والصلاح والعبادة. يقول ولده عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم

وليلة ثلاثمئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط (التي ضربه بها السجناء في قضية خلق القرآن)

صار يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، قال عنه مولانا الإمام الشافعي وقد تركه في العراق:

إنه إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في

الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة.

هذه الأوسمة العظيمة التي من الله بها عليه لكثرة طلبه للعلم وجمعه للحديث الشريف، رآه

رجل ومعه محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين (وما زالت

المحبرة معك) فقال الإمام أحمد مع المحبرة إلى القبر. وكان قد قرب من الثمانين حتى توفاه الله سنة

٢٤٢هـ.

أيها الأحبة والصحب:

ذكر صاحب منظومة العقيدة إماماً خامساً للأئمة الأربعة وهو الإمام الجنيد بن محمد. الإمام

الأعظم في الشريعة والحقيقة في الهداية واستقامة الطريقة سيد الصوفية علماً وعملاً. أضافه ليقول لنا

إننا بحاجة ماسة إلى الأخلاق والتصوف ومتابعة أئمة الثقات لتزكية النفس ورفعها إلى مقام المراقبة

والمشاهدة في مقام الإحسان.

وكان الإمام الجنيد على مذهب الإمام أبي ثور صاحب الإمام الشافعي. صاحب الطبقة

العليا من الطائفة الصوفية وبويع على مشيختها، فصار إمام أهل الشريعة والحقيقة. قال أحد

معاصريه: ما رأيت عيناى مثله: الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون

لمعانيه، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه.

من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه

لا يقتدي به. ويقول: الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار الرسول ﷺ. و (لو

أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاتته أكثر مما ناله).

دخل عليه إبليس في صورة فقير يريد خدمة الشيخ، فخدمه مدة طويلة ثم أخبره بنفسه وقال

له: خدمتك مدة ولم يحتل من عملك شيء فلم يرتض قوله وقال له: أنا عارف بك من أول ما

دخلت علي. قال: ولم استخدمتني قال: استخدمتك عقوبة لك لعلمي أن الله لا يوجرك في الخدمة.

فخرج إبليس من عنده خاسئاً. ت ٢٩٧ هـ

أيها الإخوة:

هؤلاء الخيرة من أمة الإسلام لذلك أوجب علينا علماؤنا أن نقتل واحداً منهم هكذا قال

صاحب الجوهرة:

وواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

يجب على كل عبد أن يتعلم مذهباً من هذه المذاهب الأربعة فقط لأن مذهب الإمام الجنيـد

قد فقد هذا هو مذهب الأصوليين وجمهور الفقهاء والمحدثين، إن مولانا عزَّ وجلَّ أحالنا عند عدم

المعرفة إليهم فقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، أوجب السؤال على من لم يعلم

فيترتب عليه الأخذ بقول عالم وذلك تقليد له.

المهم أن يكون لك مذهب في الفروع الفقهية والاعتقادية فواجب تقليد حبر منهم: عالم

حاذق من الأئمة الأربعة، ولا يجوز تقليد غيرهم في الفتوى، ولو كان من أكابر الصحابة. لأن

مذاهبهم لم تدون ولم تضبط كما ضبطت المذاهب الأربعة.

يا أمة الحبيب الأعظم: هؤلاء هم هداة هذه الأمة التي هي خير الأمم بشهادة قوله

تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فهم خيار الخيار بعد الصحابة والتابعين.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: الأئمة الأربعة هداة الأمة في الفروع

الفقهية، والإمام الأشعري والماتريدي ونحوهما هداة الأمة في العقائد الدينية، والإمام الجنيد ونحوه هداة

الأمة في التصوف. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل مرور الشهور والأعوام عبرة وذكرى لأولي الأحلام، وتنبهاً على قرب انقضاء الآجال وحلول الحِمام، إذ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

تر الدنيا الدنية

تأمل في الوجود بعين فكر

كالخيال

ويبقى وجه ربك ذو

فكل الكائنات غداً ستفنى

الجلال

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أوجد العالم على أبدع
نظام وأقام الكون على سنن لا يعثرها تبديل ولا انحراف.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله هدى إلى السعادة بما سنه من
آداب وأحكام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليماً .

أقف اليوم باحترام وإجلال وإكرام أمام أعظم شخصيات الدنيا
قاطبة، شخصية ملأت التاريخ الإنساني عطاء وأخلاقاً وسلوكاً فريداً لم
يشهد له التاريخ مثيلاً، إنه قائد القادات وسيد السادات وأمير الأنبياء
سيدنا ومولانا محمد.

إنني في هذا اليوم الأغر يوم الإسراء والمعراج لأرفع التحية العطرة
المباركة إلى الحبيب الأعظم باسم كل شريف في الدنيا، باسمكم واسم أهل
الشام واسم العالم الإسلامي أرفع صلاة وسلاماً صادر من القلب إلى سيد
الوجود والبركة العامة لكل موجود سيدنا ومولانا محمد

والمال منا والنفوس فداء

لك في القلوب محبة وولاء

يوم القيامة فرحة ورجاء

يا سيد الأكوان إن لقاءكم

صلى عليك الله ربي وسلمنا

صلى عليك الله يا علم الهدى

أيها الإخوة الكرام:

هأنحن اليوم ندخل معاً عتبة الركن الإيمانى الخامس. الإيمان باليوم الآخر، فى قضية هى تنبىه للغافلن وإيقاظ للنائمى وردّ للشاردين إلى جادة الصواب سواء من أهل الدنيا أم من المتدينى، فالناس اليوم إلا من رحم الله غافلون، أهل الدنيا غافلون فى غيهم سادرون وعلى باطلهم مقيمون، وأهل الدين كثير منهم غافلون أشد الغفلة، منشغلون بخلافات فرعية فى الدين قد فرغ منها، ونسوا أنّ الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.

من هنا تأتى أهمية قضايا اليوم الآخر، لكى ينبه الناس ويخبرهم أنّ الفتن القرية وملاحم آخر الزمان والى قد أطلّ زمانها وأطلت برأسها وطرقت أبوابنا، هذه الفتن سوف تطحن الجميع بكلّكها وتمزقهم بتطاولها. إننى أبدأ معكم هذه القضايا كلّها مع الحلقة الخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانىة من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أأعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

جعل رب العزة حياة العبد مراحل، فلقد كان منظوياً على نفسه مكوماً فى بطن أمه، يعيش بين أحشائها، ولو كان يفكر يومئذ لظن أنّ هذه هى الحياة فهو يتمسك بها لا يخرج منها إلا مرغماً، ولو كان ينطق لحسب هذا الخروج موتاً ودفناً فى الأعماق مع أنه ولادة وانتقال إلى عالم أرحب هو هذه الدنيا. والذى نراه نحن موتاً وخروجاً من هذه الدنيا هو فى الحقيقة ولادة وانتقال إلى عالم أرحب إلى عالم البرزخ، البرزخ بين الدنيا المادية الفانىة والحياة الأخرى الباقية. هذه هى الحياة الحقيقة ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ والموت أقرب شيء فى حواسنا منا، وأبعد شيء فى أفكارنا عنا، نرى مواكب الأموات تمر بنا كل يوم ونحس أننا باقون

ونغشي في الجنائز ونحن نفكر في الدنيا أو نتحدث عنها، ونرى القبور تملأ رحاب الأرض، ولا نفكر أننا سنكون يوماً من ساكنيها استغفر الله، بل تسكنها أجسادنا وما الأجساد؟ إنَّ الرجل يتوسخ قميصه فيخلعه ويرميّه، والطفل يولد فيدع مشيمته ويخرج منها والرجل يموت فيفارق جسده ويتخلّى عنه، وما الجسد إلا قميص يلبس ويخلع. والموت آتٍ في كل لحظة من لحظات حياتنا، والإنسان ينساه ولكن المؤمن يذكره دائماً يذكره كل يوم سبعة عشر مرة: (مالك يوم الدين).

يوم الدين وما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله. ولكن الله تعالى جعل له إرهاباتٍ ومقدمات هي أحداث ما قبل الساعة، هذه الأحداث تخاطب العقلاء اليوم وتقول لهم: يا أهل الدنيا أقلعوا عن معاصيكم وافطموا أنفسكم عن شهواتها، وعودوا إلى ربكم والتمزموا بشرعه ﴿أقبلت الراجفة تتبعها الرادفة﴾ أقبل الموت بما فيه .

وها قد بدأت السلسلة زلازل وفيضانات وخسوف وسيتبعه المسخ لقوم يبيتون على هـو وشرب وخمر ومعازف وعندها لا عاصم من أمر الله إن اقتربت الساعة لتخاطب أهل الدين من المسلمين. يا أمة الإسلام! اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا انبذوا الخلاف واتحدوا وفي الله تحابوا، فنحن جميعاً في خندق واحد فلا تسمحوا لقلّة ممن قل علمهم وفقههم أن يفرقوا الأُمَّة فيخرجوكم إلى دوامة الخلاف الاجتهادي الفرعي الذي لا يزيد الأُمَّة إلا فرقة ووهناً، فقد قال رسول الله ﷺ سيكون في آخر أمتي أناس يحدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم (م في مقدمة صحيحة).

فعلينا أن نهتم بعظائم الأمور لأنَّ أعداء الأُمَّة يُحدّثون بنا من كل جانب. علينا أن نهتم بفروض العين عن فروض الكفاية وعن السنن الجافظ

بن حجر في كتابه فتح الباري (ج باب التواضع ص ٣٤٣) قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

هذا الكلام أوجهه اليوم للمتدينين من الأمة، وأما أهل السياسة والكياسة في العالم فأقول لهم إنَّ المعركة الحاسمة قريبة، وإنَّ الشرق الأوسط هو مسرحها ونحن ننازل خصماً ستلحق به الخسائر لا محالة، اضبطوا ساعاتكم: إنَّ إسرائيل تتسارع إلى ذروتها ثمَّ يبدأ العد التنازلي للنهاية، والسنوات القادمة هي ما تبقى من عمرها. إنَّ سيدنا مُجَدِّداً وهو الصادق المصدوق قد أخبرنا عن هذه النهاية، عن هذه الحرب القادمة الضخمة، وأنها ستكون حرباً تحالفية عالمية نكون والروم (أمريكا وأوروبا) طرفاً أو معسكراً، ويكون النصر حليفنا والغنائم من نصيبنا، ولا ندري من الطرف الآخر الذي ستلحق به الخسائر لا محالة. هذا الكلام قاله سيد الأنام قبل خمسة عشر قرناً من الزمان (أحمد-د-هـ حب) قال: «ستصالحكم الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم فتتصرون وتغنمون وتسلمون» هذا هو كلام النَّبي الذي وصفه ربه ﷺ بأنه ﴿لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ لذلك أدعو السياسيين في العالم ألا يلتمسوا الرضا من أمريكا وإنما يلتمسوا الرضا من الواحد الديان. لقد جربنا الشرق وجربنا الغرب فجربوا القرآن مرة يا حكام الأمم العرب بالقرآن يساوون كل شيء، والعرب بغير القرآن لا يساوون شيئاً.

اطلب بطاعته رضاه فإنَّه	بالجود يعطي السائلين رضاه
هو أول هو آخر هو ظاهر	هو باطن ليس العيون تراه

لا تعاملوا أمريكا على حساب الإسلام فهي أول من اعترفت بالكيان الصهيوني وأمريكا هي اليهود واليهود هم أمريكا، اليهود قوم غدر وخديعة ومكر نطق بهذا القرآن الكريم. معاهداتهم زائفة وسلامهم زائف، قد تنسحب إسرائيل كما فعلت سنة ١٩٤٨ لكنها تنسحب لتعد لضربة أخرى اسمعوا ماذا يقول القرآن لنبيه العدنان:

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل مرة، في كل مرة القضية لن تحل بمؤتمرات لن تحل قضيتهم إلا كما قال سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الشجر والحجر فيناديان يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي تعال فاقتله».

متى يقول الحجر هذا النداء؟ يوم أن نصير مسلمين حقاً، ومتى نصير مسلمين حقاً إذا آمنا بأن الله بيده كل شيء، يوم نقول ونعتقد بذلك سَيَحُولُ الله الأحجار والأشجار إلى مخابرات عسكرية في صفوف المسلمين، يوم نُسَلِّم، أمّا إسرائيل فهي إسرائيل لن تغير طبعها ومراوغتها وعداواتها. فكيف سيستيقظ المسلمون من غفلتهم؟ بالوعد الحق، بالركن الإيماني الخامس، بالحديث عن اليوم الآخر، يوم نعرف أن النبي حدثنا عن كل صغيرة وكبيرة ونسمع ونشاهد بأم أعيننا كيف وقعت وحدثت كما حدث وقال.

أيها السّادة: لقد بدأت بداية النهاية، نهاية هذا العالم الذي سيكون فيه التأييد لكل مسلم

مُجْدِي لكل مؤمن من أمة سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ النهاية لنا، العزة لنا، فمن كان منحرفاً عن الجادة اليوم فليعد

فإن الوقت قصير، إنني أنادي كل المخلصين في العالم أن يركبوا معنا سفينة التوحيد قبل أن يغرقوا في

مستنقع لا قرار له.

فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها! فما هي
هذه الأشرار أو تلك العلامات كيف تكون بداية النهاية؟ أعلق هذه
الأسئلة لأجيب عنها....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة
الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة. حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة، ونقلهم من
القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى
مصاحبة الهوام والديدان، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة فانظر هل وجدوا دون الموت
حصناً واتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً، وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الموت مخلصاً
للأتقياء وموعداً في حقهم للقاء، وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحبساً ضيقاً
عليهم إلى يوم الفصل والقضاء.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ذي المعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة.

اللهم صل وسلم عليه.

أقف اليوم وفي كل يوم رافعاً رأسي شامخاً عزيزاً مفتخراً بسيدنا محمد ﷺ
ذلك أننا اليوم سنتلقى التوجيه النبوي مباشرة من فم النبوة، نتلقى
التحذيرات بقرب الساعة ودنو النهاية على لسان الصادق المصدوق. إنني
أنقل الكلام اليوم لا من الجرائد ولا من كتاب ألف ليلة وليلة، بل أنقله عن
عظيم قال مولانا عز وجلّ عن عقله: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ وقال
عن لسانه: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وقال عن شرعه: ﴿إنّ هو إلا وحي
يوحى﴾ وقال عن جلسه: ﴿علمه شديد القوى﴾ وقال عن فؤاده: ﴿ما
كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقال عن بصره: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ وقال
عن رأيه: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾
وزكاه كلّهُ فقال: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وإنك لعلی خلق
عظيم﴾.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

**أنت الذي قاد الجيوش محطماً
السفهاء**

وسموت بالبشر الذين تعلموا	سنن الشريعة فارتقوا سعداء
صلى عليك الله يا علم الهدى	صلى عليك الله ربي وسلما
معشر السّادة:	

إنني وأنا أطالع هذا الكم الهائل من الأحاديث التي تتحدث عن
الأمارات الصغرى والوسطى للساعة لأطأطأىء الرأس أمام الحبيب الأعظم،
لحرصه على تحذيرنا من أن نكون إحدى أشراتها.

فحديثنا اليوم عن العلامات الصغرى والوسطى للساعة، ومع الدرس
الواحد والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

القائد الأعلى للأمة يتوجه إلينا بالتوجيهات النبوية الشريفة من خمسة
عشر قرناً فاستقبلوا توجيهات نبينا بالصلاة والسلام عليه.

أولى هذه التوجيهات في الإمارات الصغرى بعثة نبينا ﷺ فهو آخر
الأنبياء وهو نبي الساعة يقول ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (ق) وأشار
بأصبعيه السبابة والوسطى.

ثم انشقاق القمر كما نص عليه القرآن الكريم: ﴿اقتربت الساعة
وانشق القمر﴾ ثم موت سيدنا رسول الله ﷺ ومقتل بعض الخلفاء كسيدنا
عمر وسيدنا عثمان وعلي، وفتح بيت المقدس، ووقعة الجمل ووقعة صفين
يقول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة
عظيمة» وتنازل سيدنا الحسن بن علي عن الخلافة لسيدنا معاوية حقناً
لدماء المسلمين (إنَّ ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين)، ومنها ملك بني أمية (الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً
عضوضاً)، ونار الحجاز التي أضاعت منها أعناق الإبل ببصرى، وخروج
كذابين كل منهم يدّعي أنه نبي، وزوال ملك العرب وفي الحديث «إذا وسد
الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (خ) فتقوم الأمة في وجه حاكمها

العادل فتقتله ويرث الدنيا الأشرار (ت) ويصبح زعيم القوم أَرذَلم (ت)
وينطق السفیه فی أمر العامة (أحمد-طیب) وتبدأ إمارة السفهاء، ويستلم
الحکم المقربین إلى الحاکم (أحمد-طیالسی صحیح لغيره) ويقال للرجل: ما
أجلده وما أطرفه وما أعقله، وما فی قلبه حبة خردل من إیمان (ق) ولهذا
اسمع إلى الحبيب الأعظم ﷺ يقول: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها
أبناء الملوك، أبناء فارس والروم سلط أشرارها على خيارها (ت) وعندها
يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع (أحمد-ت) أي العبد والأحق
واللئيم».

وهكذا- أيها الإخوة- يبدأ الجهل ويرُفع الرفع ويكثر فيها المرح أي
القتل (ق) فلا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قُتل (م) تحيلوا حوادث
العراق وكوسفو والشيشان، فيستخف الناس بالدماء البشرية ويستحلون
الأعراض (الحر) والحرير والخمر والمعازف (خ تعليقاً) فيشربون الخمر
ويسمونها بغير اسمها (أحمد-ن) ويظهر الفحش والتفحش (بذاءة اللسان)
وقطیعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن (أحمد-ب) ويتباهى الناس في
المساجد (أحمد-ن-و-هـ) (بأثاثها وزخرفتها) وترتفع الأصوات باختلافات
الناس في بيوت الله (ت) وتتخذ طرقاً (يمر الرجل في المسجد مروراً ولا يصلي
فيه). وتكثر الزلازل (أحمد-خ-هـ) ويظهر موت الفجأة (الطيالسي)
ويلتمس العلم عند الأصاغر (طب) ويكثر الكذب ويتقارب الزمان
والأسواق (حب) (أي يصير للرجل سيارات مركونة لا يركبها فتركبها
الشياطين، وكذا يشتري الرجل البيت لا يسكنه في الحال ولكنه يدخر
لسنوات عديدة فتسكنه الشياطين).

ويكثر الزنا والخنا والربا حتى لتمر المرأة في الطريق فيرفع ذيلها فتتكح فيقول قائل هلاً واريتها خلف الجدار فيومئذ ذلك القائل كأبي بكر وعمر فيكم.

إخوة الإيمان:

ما زالت هذه الأنباء تذاع عليكم من الحجرة النبوية مَقَرَّ القيادة العليا للأمم قاطبة شاؤوا أم أبوا. يقول من تحبون أن تصلوا عليه في أمارات الساعة الوسطى: «وقوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الطير لا يُرجمون رائحة الجنة (د-ن)، وينقص العمل ويلقى الشح (ق-د) ويسلم الرجل على الرجل لا يسلم إلا للمعرفة (لا يسلم إلا على من يعرف فقط)، وتكثر الشرط (لزيادة الفساد) وبيع الحكم (تنال المناصب بالرشوة) ويتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً (طب-أحمد) (عباد جهال ومراء فسقة) (جا-أبو نعيم)، ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون خمسين امرأة القيم الواحد (خ)، وتفشوا التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة (أحمد- طيالسي) ولا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام (خ-ن) ويفشوا الكذب حتى يخلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد (ت)، ويصبح المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه (أبو نعيم) وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وأصبح الخصم قاضياً والذنب راعياً، ورجال يركبون على السروج (رواية: على المياثر: الوسائد المثيرة: كالسيارات) كأشباه الرجال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات (حب-ح)، وأن ترى الحفاة

العراة رعاء الشاة يتناولون بالبنيان (البدو يبنون الأبنية العالية) وأكرم الرجل مخافة شرّه (ت). ألا: ويوشك أهل العراق ألا يجي إليهم قفيزٌ (مكيال أهل العراق) ولا درهم (حصار اقتصادي على العراق) من قبل العجم يمنعون ذلك، ويوشك أهل الشام ألا يجي إليهم دينارٌ ولا مُدِّي من قبل الروم (وهذا حدث منذ سبعين سنة) ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته (ربما المفسديون والسطلايت) (أحمد-خ-طب) حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه (ق) ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك رجلاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع»

معشر السادة:

أنقل لكم نهاية الأمارات الوسطى على الموجات العاملة من الأحاديث النبوية الصحيحة، فقد حدد رسول الله النهاية فقال: «ثم تكون هدنة بينكم وبين بني الأصغر (الروم=أمريكا وأوروبا) فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً (خ)».

هدنة: بيننا وبين الروم هي آخر علامة من علامات الساعة الوسطى لأنَّ بعدها سيظهر الإمام المهدي وينحسر الفرات عند جبل من ذهب (أو قبله بقليل) سيكون ظهور المهدي أعقاب هذه الحرب القادمة، حرب تحالفية عالمية. أتدرون أنَّ أهل الكتاب يعلمون هذه الحرب؟ الحرب التي سيحدث في آخرها غدر الروم، فيأتوننا للملحمة الكبرى. هذه الحرب يجري إعداد مسرحها في هذه الأيام على أرض فلسطين الحبيبة في صورة تحالفات واتفاقات ومعاهدات على ملأ من العالم كُله، هذه الحرب القادمة يسميها

أهل الكتاب في كتبهم القديمة معركة هر مجدون وما أدراك ما هر مجدون
الوقعة العظيمة والحرب المدمرة. الحرب التي يعم قبلها السلام المشبوه فيقول
الناس حلّ السلام، حل الأمن. فإذا بما أعظم وأشرس حروب التاريخ. إنني
أنقل لكم الآن شرحاً لهذا الحديث النبوي الشريف لا من شروح الأحاديث
بل شرحاً من كتب أهل الكتاب، ففي الإنجيل من سفر الرؤيا ص ٣٨٨
ورد: وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمى هر
مجدون ولهذا أهل الكتاب ينتظرونها، وقد صرح بذلك الرئيس الأمريكي
الأسبق ريغان صرح لأمريكا فقال: إنّ هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي
سيرى هر مجدون.

يا أمة الحبيب الأعظم وإليكم النص الكامل لخطاب سيدنا رسول الله
الذي يتحدث عن هذه المعركة فأرسلوا تحيتكم لهذا النبي الكريم، يقول
(أحمد-د-هـ حب) بروايات عدة: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون
أنتم وهم عدواً من ورائهم فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلؤل
فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب، فيقوم إليه
رجل من المسلمين فيقتله فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجمعون لكم في
ثمانين غاية» (راية مع كل غاية اثنا عشر ألفاً).

إنّ هذه المعركة هي أول ما ننتظره كبداية للفتن والملاحم الأخيرة،
فكل الإمارات السابقة وقعت وانقضت (فقولوا صدق رسول الله) وهذه
الحرب ستقع وستكون حرباً مدمرة ولعلها نووية تفنى معظم الأسلحة
الاستراتيجية وتعود المسمومة في الحروب بَعْدُ للسيوف والرماح والخيول.

وهكذا- إخوة العقيدة- رأينا صدق سيدنا في كل ما حدّث عنه فقد
حدّثنا عن الماضي وصدق، وحدّثنا عما نحن فيه وشاهدنا ورأينا صدق قوله،

وهو سيحدثنا عن المستقبل ترى هل نتعظ ونرجع إلى الله، هل ننسى خلافاتنا هل نصطليح مع الله بعد أن عاد المسلمون غرباء في ديارهم وأصبح الشرع والحق في قفص الاتهام وتمكن الأشرار في الأمر كله، لقد قال الصادق المصدوق يوماً «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء (م-ت) طوبى لكل متمسك بدينه قابض عليه كالقابض على الجمر».

أيها السادة:

أنتظر مع حضراتكم اليوم وحتى الجمعة القادمة الإمام المهدي، هل يولد ولادة أم أنه يخرج أخيراً من السرداب الذي طال فيه أمدته في سرٍّ من رأى؟ أعلق هذا السؤال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الصبور الشكور العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير، شملت قدرته كل مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قدر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله جلّ عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته وأمينه على وحيه أعرف الخلق به وأعلامه عنده منزلة وأوسعهم عنده شفاعته، بعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة داعياً وفي مرضاته ساعياً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، فبلغ رسالات ربه وصدع بأمره وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
تسليماً.

كنت قد علقت معكم سؤالاً حول أولى أمارات الساعة الكبرى وهو
خروج مولانا الإمام المهدي عليه السلام. وها نحن اليوم نجيب عن هذا السؤال.
الأحاديث النبوية التي تحدثت عن الإمام المهدي بلغت حد التواتر
المعنوي، ومعنى هذا الكلام في مصطلح الحديث المتواتر أنه: الحديث
الصحيح الذي رواه جماعة من الثقات يستحيل تواطؤهم على الكذب
(يستحيل اتفاقهم على أن يكذبوا) عن جماعة مثلهم عن مثلهم من مبتدأ
السند إلى منتهاه تتفق روايتهم في معنى كلي من معاني الشريعة، وإن
اختلفت في بعض الألفاظ، فيسمى الحديث: بالمتواتر المعنوي. وهو يفيد
العلم القطعي عند جمهور العلماء، فاعلم بأحاديث المهدي واجب والعمل
به فرض لازم، وإنكاره قد يدخل في دائرة الكفر والعياذ بالله تعالى.
[الإشاعة للشيخ محمد البرزنجي ت ١١٠٣ هـ ص ٨٧/١١٢].

وفي المهدي أحاديث منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن
والضعيف المنجيز [الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ التوضيح في تواتر ما جاء في
المنتظر والدجال والمسيح].

ولهذا كله أجمع علماء الأمة إلا من شذ (كابن خلدون) على وجوب
الإيمان بها اعتقاداً وتصديقاً.

فما هي هذه القضية الاعتقادية الجديدة؟

ومع الدرس الثاني والخمسين بعد المئة من دروس القضايا الإيمانية من
جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار
التوحيد.

إخوة الإيمان قضيتنا اليوم تقول:

إنَّ الله تبارك وتعالى سيهيء رجلاً من أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ ومن أهل بيت النبوة يقود المسلمين في الفتن والملاحم الأخيرة القريبة من الساعة، ذلكم هو الإمام المهدي الذي سيظهر في أعقاب معركة (هر مجدون) مباشرة، وهو رجل شاب من آل البيت النبوي من ولد سيدنا الحسن بن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ واسمه على اسم نبينا مُحَمَّد بن عبد الله الخليفة الراشدي الإمام المهدي، وليس له بالمنتظر الذي تزعمه بعض الفرق وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك مالا حقيقة له ولا عين ولا أثر، فإنهم يزعمون أنه مُحَمَّد بن الحسن العسكري وأنَّه دخل السرداب وعمره خمس سنين، وينتظرون خروجه من السرداب ولن يخرج (ابن كثير ج المهدي).

وإليكم - أيها الإخوة - وصفاً للإمام المهدي كما ورد وصفه بالأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة يقول ﷺ: «(طب-بز-أبو نعيم) ثُمَّالَنَّ الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت ظلماً وجوراً يبعث الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي (د-حا) ورواية: بتسميته المهدي من عترتي من ولد فاطمة (د-ه حا) أجلى الجبهة أقنى الأنف (طويل ودقيق الأرنبة مع حذب في وسطه: وهذا مما يمدح في الشخص) يملك سبع سنين فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تمنع السَّماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً) يحثي المال حثياً ولا يعده عدداً (أحمد-م) يصلحه الله في ليلة (أحمد-ه)»، أي يهيئه ويعدّه للخلافة وقيادة المسلمين في أيام الفتن والملاحم الأخيرة، وكأن هذه العبارة تدلُّ أنَّ المهدي لا يعلم بذلك أصلاً

حتى يصلحه الله ويهيء له قوماً ليس لهم عدد ولا عدة ولا منعة يبايعونه عند الكعبة وهو كاره لهذه البيعة ففي الحديث (أحمد-د-ابن أبي شيبة- طس): «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكّة فيأتيه ناس من أهل مكّة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام».

وذلك اليوم يوم مشهود ومكان معسكر الإسلام يومئذ في خير مدائن الأرض، هناك يواجه معسكر الإيمان بقيادة الإمام المهدي معسكر الشرك والإلحاد والنفاق يوم تكون الملحمة الكبرى.

أتدرون-أيها الإخوة- على أرض أي مدينة سيكون معسكر الإمام المهدي، سيكون على أرضنا أرض الشام الشام الشريف، لذا اسمع إلى حبيبك وأنت تصلي عليه يقول: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ» (أحمد-ح). [قولوا الحمد لله].

إنّ مقر القيادة العامة المهدية في الغوطة حيث تجمع الجموع لمقاتلة معسكر الكفر، ومتى؟ عند موت خليفة أو رئيس أو ملك أو أمير ونشوء اختلاف واقتتال على الملك فيبايع المهدي حينئذ. يبايع عند تحالف قوى الشر في العالم ضد قوى الخير، ونحن اليوم نسمع كثيراً بالتحالفات بين القوى العالمية بين (الصين وروسيا) (وروسيا وأمريكا) وأوروبا بعضها مع بعض، وأخيراً تحالف تركي إسرائيلي واتفاق أمريكي ياباني، تحالفات هنا وهناك والكل ينتظر ويترقب ويتوقع، ولكن أتدرون من هو الذي ستسقط أصابعه ليضغط على زر الحرب المدمرة للشرك والمشركين، إنّ الذي سيضغط على زر النهاية هم أهل لا إله إلا الله وسيكون النصر لهم بإذن الله.

معشر السّادة الكرام: وهنا يرد سؤال هام على الأذهان كيف يمكننا معرفة الإمام المهدي عند مجيئه؟ هذه نقطة هامة لأنّ أناساً اليوم يدعون هذه الدعوى الكاذبة. نعم إنّ رسول الله وصف لنا سيدنا عيسى على هيئة لا يشاركه فيها أحد وهو نزوله من السّماء واصفاً يديه بين أجنحة ملكين كريمين من ملائكة الرحمن، ووصف لنا الدجال أنّه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن قارئ وغير قارئ. فما هي العلامة الفريدة الأكيدة في الإمام المهدي؟

إنّ هذه العلامة حدثنا عنها سيدنا رسول الله ﷺ حيث بين أنه ما إنّ يبايع المهدي من قبل قوم عند الكعبة المشرفة بين ركن الحجر الأسود ومقام إبراهيم، ويلجؤون إلى البيت العتيق ويعتصمون به (كما فعل جهيمان حين فعل فعلته) لكنه مزور كذاب، والإمام المهدي حق وصدق، فإذا اعتصم بالبيت جاءه جيش من المسلمين ليقاتلوهم ويقضوا عليهم وينهوا أمرهم، وسمعوا الحديث كما رواه صاحبا الصحيحين «العجب أن ناساً من أمّتي يؤمنون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت» فماذا سيحدث لهذا الجيش الذي سيأتي لقتال المهدي في مكّة؟ ما هي علامة المهدي، اسمعوا تنمة الحديث «حتى إذا كانوا بالبيداء (أي حتى إذا جاؤوا المدينة بقليل) [وهذا يدل على أنه جيش من المشاة: لا طائرات ولا مدافع ولا صواريخ، فقد دمرت الحرب التحالفية هر مجدون التي تسبق بقليل المهدي معظم الأسلحة الحديثة، فماذا يفعل الله بهذا الجيش يقول الصادق المصدوق] حتى إذا كانوا بالبيداء خسف الله بهم الأرض (أي انشقت وابتلعتهم ولا ينجو إلا الشريد) (أي رجل أو رجلان) يخبر أنّ الناس عن الخسف الذي أصاب الجيش وألمّ به»

هذه هي علامة الرجل العائد بالبيت وأَنَّهُ خليفة الله المهدي. أنْ
يخسف الله بأعدائه كرامة له وحماية ودفاعاً عنه.

أيها الإخوة:

أنقل لكم الآن بشأ حياً مباشراً وكأننا نراه، وكما وصفه الصادق
المصدوق لما يحدث بهذا الجيش حيث يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش
يغزونه حتى إذا كانوا ببیداء من الأرض يخسف بأوسطهم (بقلب الجيش:
يغوص في الأرض، لا يبقى له أثر ولا عين، وللکافرين أمثالها، فماذا بعد
ذلك؟) فينادي أولهم آخرهم، لكن القادر المقتدر يخسف ببقيتهم فلا
يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم» (أحمد-م-ن-ه).

ويعلم الناس عندها أنه الإمام المهدي فيقبلون عليه ويبايعونه، ويأتيه
أبدال الشام وعصائب العراق والأولياء والعباد والأخيار فيبايعونه.
وعندها يبدأ الإمام المهدي حروباً عاتية، يحارب العالم أجمع في فترة
وجيزة لا تتجاوز بضعة عشر شهراً، فهو أولاً يغزو جزيرة العرب ثُمَّ يغزو
فارس ثُمَّ الروم ثُمَّ القسطنطينية (استامبول) ثُمَّ اليهود ثُمَّ نصارى العرب ثُمَّ
الترك وخوز وكردان أي الصين وروسيا واليابان. كان هذا هو الموجز، وإليكم
الأنباء بالتفصيل على لسان من لا ينطق عن الهوى (صلوا عليه)

يقول: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثُمَّ فارس فيفتحها الله ثُمَّ
تغزون الروم فيفتحها الله ثُمَّ تغزون الدجال فيفتحها الله (م-أحمد-ه)»
ويقول (أحمد-د): «عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية
خروج الدجال» و«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خَوْزاً وكردان من

الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة». (خ-أحمد).

معشر الإخوة:

لكأني أرى رايات الإمام المهدي تعلو خفاقة، وقد ذكرها رسول الله مفصلة، ولكنني ولعدم الإطالة أذكر لكم الحرب الرابعة للإمام وهي فتح القسطنطينية التي تسمى اليوم استامبول عاصمة الخلافة العثمانية في تركيا التي جاءها كلب الترك إيتاتورك العميل اليهودي الاستعماري فألغى الخلافة الإسلامية أوائل هذا القرن وارتضى العلمانية بديلاً عنها، ومن يومها وتركيا في انحسار مستمر عن الإسلام حتى فاجأت المسلمين العرب بتحالفها مع أعدائهم اليهود. تحالفاً يدعم التعاون العسكري والدفاع المشترك بينهما، واتخذت أرضها قاعدة لضرب المسلمين في العراق، هل هناك تحدي أكبر من هذا للمشاعر الإسلامية، ثمّ تعنت وإصرار على منع مياه دجلة والفرات عن الأراضي السورية والعراقية، وآخر طامة لها ما فعلته قبل الزلزال الأول لها منذ شهر قبل الزلزال بليلة فقط إذ أنها أصدرت قراراً بمنع تدريس التربية الإسلامية والقرآن والحديث النبوي في مدارسها العامة، ولكن الله لا يغالب، ولا يحارب فقد أصدر أوامره العليا بتدمير المنطقة التي اتخذت هذا القرار وقال دمرها كلها إلا بناءً واحداً، أتدرون ما هذا البناء الذي دُمّر كل شيء حوله، إنّه لشيء يدعو للرهبنة والعبرة فقد نقلت الإذاعات المرئية ذلك والأنترنت كل شيء دُمّر إلا المسجد والمعهد الشرعي في وسط البلدة، وما زالت الأوامر تصدر للأرض: يا أرض خذي الملحدّين خذي العلمانيين خذي أعداء الدين ثلاثة زلازل خلال شهر، سيرتفع الأتراك الملحدون في بلادهم إلى أجل مسمى حتى يأتي المهدي فيفتحها وسيقضي على

العلمانيين فيها، ذكر كل ذلك الصادق المصدوق في حديث يعد من أعلام نبوته يقول (م) لصحابته الكرام «أسمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر قالوا: نعم يا رسول الله (يقول شراح الحديث ومنهم الإمام النووي إنها القسطنطينية) فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحق (يعني الروم الذين أسلموا بعد معركة هر مجدون)» يقول ابن كثير في كتابه الملاحم والفتن وهذا يدل على أنَّ الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم كما نطق به الحديث. يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم (بماذا يفتحون البلدة) ستعجبون، ولا والله ما هو بالعجب إنَّ الصادق المصدوق يحدثنا فيقول: «أَنَّ الجيش ينادي لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر ثُمَّ ينادون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط الجانب الآخر ثُمَّ ينادون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها».

هذا وعد صدق وقول حق ولئن عشتم لترون صدق رسول الله ﷺ الذي بشرنا بقوله (أحمد): «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل. عزاً يعز الله دين الإسلام وذللاً يبذل به الكفر»، فلا يبقى إلا الإسلام.

فعودةٌ يا إخوة الإيمان - عودة إلى الإسلام، عودة إلى الإيمان، عودة إلى هنا، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الدائم ومكتوبُ الفناء
منسوبٌ إلى البرية كيفما انتسبت القادر على تنفيذ مراده فيها رضيت بذلك
أم غضبت.

إلهي بك أستجير ومن يجير سواكا
فارحم ضعيفاً يحتمي
بحماكا

**يا رب قد أذنبت فاغفر ذلتي أنت المجيب لكل
من ناداك**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . شهادة في القلوب
حلّت وبها الألسنة كلّت وتعبت.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ثبتت سيادته قبل إيجاد
البشر ووجبت.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ما طلعت وغربت...
ظهر دجاجة كثيرون على الساحة الإسلامية، وما زالت الساحة
ملئية بهم، منهم مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي

وسجاح والشقي غلام أحمد القادياني وغيرهم، وهذا ليس جديداً فقد أخبر عنه ﷺ فقال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ دَجَالاً كَذَاباً» (أحمد).

ونحن اليوم ننتظر أعظم الدجاجلة والكذابين، ننتظر دجالاً يغطي الحق بباطله، هو من بني يهود ممسوخ الخلقة كإخوته اليهود وممسوخي الخلق، ولكنه شيطاني النزعة شيطاني الشكل والصورة، تحيط به الشياطين ويتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم الطيالة (الفترة).

أبوه رجل طويل مضطرب اللحم طويل الأنف كأن أنفه منقار، وأمّه امرأة ضخمة طويلة (ت-أحمد) مكث أبواه ثلاثين سنة لا يولد لهما حتى ولد لهما هذا الغلام الأعور.

وقد ورد وصفه في السنة الشريفة بشكل دقيق لا يدع معه شكاً ولا تردد في التعرف عليه، ففيه علامات تظهر من بعيد، وعلامات تظهر من قريب:

فلو نظرت إليه قادماً من بعيد رأيت رجلاً قصيراً، ضخماً الجثة جداً، آدم (أسمر) أحمر (بشرته صافية) قد احمرت وجنته، عظيم الرأس كأن رأسه أفعى، جعد الشعر قطط (شديدة الجعودة) كأنه مضروب بالماء والرمل، كثير ملتف كأن شعرة أغصان شجرة (أحمد-أبو يعلى) أفحج (تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه (د) فإذا اقتربت منه رأيت شَبْهاً شَيْطَانِيّاً فَشَقُّ وجهه الأيمن ممسوح لا عين فيه (خ) ولا حاجب، وعينه اليسرى متقدمة خضراء كأنها كوكب دري، كأنها زجاجة خضراء ناتئة (بارزة) جاحظة متدلّية على وجنته كأنها عنبه طافية (خ) ونخامة في جدار.

وشاء مولانا عز وجلّ أَنْ يَسْتَبِينَ أَمْرَهُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، فقال ﷺ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَأُهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ قَارِئٌ وَغَيْرُ قَارِئٍ» (ق).

أيها السّادة: فحديثنا اليوم عن هذه الحقيقة الواقعة، ألا وهو الدجال، هو حقيقة وليس رمزاً كما يدعي بعض المغفلين وأنّه ظهر في صورة المفسديون أو مثلث برمودا.

حديثنا اليوم عن المسيح الدجال الذي يسبح في الأرض كلها، ومع الدرس الثالث والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

من علامات خروج الدجال، حوادث تسبقه أولها معركة هر مجدون، ثمّ جفاف نهر الفرات وجفاف بحيرة طبرية بالشام ونخل بيسان على الحدود الفلسطينية الأردنية، ثمّ مجيء سنوات القحط والجذب والجوع والبلاء وقلة الدين عند الناس، ولهذا اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد وأنت تصلي عليه يقول: (هـ- خز- حا) «إنّ قبل الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد. يأمر الله السّماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثمّ يأمر السّماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثمّ يأمر السّماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلّها فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كلّها فلا تنبت فطرها فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: يا رسول الله فيما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتحميد يجري ذلك عليهم مجرى الطعام».

وهكذا أيها الإخوة جعل الله عز وجلّ علامة خروج الدجال الفساد العام في الأرض والمجاعات وجفاف الأنهار، وهامي الصحف تطالعنا كل

يوم بأبناء ملايين من البشر الذين يعانون من المجاعات ويعيشون تحت خطر الفقر، ويكون خروج الدجال عند فتح القسطنطينية وبعد خروج الإمام المهدي وحروبه في الجزيرة العربية وفارس والروم، فزمانه قد أطل فاحذر يا أخي أن تضل.

أيها الإخوة الكرام: ولأنَّ الخطب جلل والأمر جد خطير اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى طبيب القلوب وسيد الوجود والبركة العامة لكل موجود، إلى هناك إلى المدينة المنورة حيث يقف الحبيب الأعظم يحدث أصحابه عن الدجال بعد أن جاء تميم الداري ليخبره بأنه اجتمع بالدجال في دير في إحدى الجزر. قال لصحابته الكرام: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأنَّ تيمماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحديثي حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثُمَّ أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك من أنت؟ فقالت: أنا الحساباسة قالوا وما الحساباسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعةً يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا ويلك ما أنت قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصارفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثُمَّ أرفأنا إلى جزيرتك... فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا عن أي شأنها

تستخبر. قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر. قلنا: نعم. قال: أمّا إنّه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيرة الماء. قال: أمّا إنّ ماءها يوشك أن يذهب. حتى قال لهم: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكّة ونزل يثرب. قال: أقاتلته العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أمّا إنّ ذاك خير خير لهم أنّ يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكّة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. وهنا طعن رسول الله بمخصرته في المنبر وقال: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة.

أيها الإخوة: فمن أي بلد يخرج الدجال وفي أي اقليم هو؟ تعالوا أبحث معكم في صحيح الترمذي وهذا البحث يحتاج إلى صحو منكم وصلاة على النّبي، يقول ﷺ: «الدجال يخرج في أرض بالمشرق يقال لها خراسان، ومن قرية يقال لها أصبهان» أي على الحدود الروسية الإيرانية اليوم، بل عند الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم خبراً آخر يقول: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة». ويكون خروجه لغضبة يغضبها كما هو في صحيح مسلم والإمام أحمد في سنده تطلقه من حبسه في الدير وتفك قيوده.

وتبدأ فتنة الدجال: فتنة الشهوات والشبهات فقد سخر الله له خوارق للعبادات وتتبعه كنوز الأرض ويتبعه ضعاف القلوب والملاحدة والمشركون فيدعي الصلاح أولاً ثم يدعي النبوة ثم يدعي الألوهية وعندئذ تطمس عينه

ويكتب على جبينه كافر، وينفر منه كل ذي لب يفر منه المؤمنون الصادقون تماماً كما قاله سيد البرية ﷺ: «ليفرنَّ الناس من الدجال في الجبال» هرباً من أنَّ يلقوه فيفتنهم واسمع إلى نصيحة حبيبك النبي ﷺ يقول: «من سمع بالدجال فليناً عنه، فوالله إنَّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات» (أحمد-د-حا)

وإن من فتنته أنَّ معه جنَّةً و ناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستعذ بالله و يقرأ فواتح الكهف. وإن من فتنته أنَّ يقول لأعرابي: أ رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنَّه ربك.

وإن فتنته أن يُسلَّط على نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى نصفين، ثمَّ يقول: انظروا إلى عبدي هذا فلإني أبعثه ثمَّ يزعم أنَّ له رباً غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول ربي الله وأنت عدو الله. أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك من اليوم.

وإن من فتنته أن يأمر السَّماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلك. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السَّماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدرّه ضروراً.

فإذا وصل مكَّة والمدينة قال لأصحابه: هل ترون القصر الأبيض هذا مسجد أحمد. (أحمد). رجفت بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، ويدعى ذلك اليوم بيوم الخلاص.

وينزل سيدنا عيسى وقد تقدم المهدي ليصلي الصبح بالمسلمين فيرى
سيدنا عيسى فيرجع ليتقدم سيدنا عيسى فيقدمه سيدنا عيسى ويقول له:
صل أنت فإنها أقيمت لك يقول ﷺ: «من أهل البيت من يصلي ابن مريم
خلفه» فإذا انصرفوا من الصلاة أمر سيدنا عيسى بفتح الباب، فإذا وراءه
الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف فإذا نظر إليه الدجال
ذاب كما يذوب الملح، وينطلق هارباً فيدركه عند باب الله الشرقي فيقتله،
فيهزم الله اليهود فلا يبقى خلق شيء مما خلق الله إلا أنطقه الله لا حجر ولا
شجر ولا حائط ولا دابة إلا الفرقة فإنها من شجر اليهود إلا تقول: يا عبد
الله يا مسلم هذا يهودي فتعال اقتله.

وهكذا أيها الإخوة يعصم الله تعالى المؤمنين من أمة سيدنا محمد ﷺ من
الدجال وفتنه، ومن أراد أن يعتصم من فتنته فليحفظ عشر آيات من أول
سورة الكهف وعشر من آخرها. يقول ﷺ: (ق) «من حفظ عشر آيات
من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال». وفي رواية لمسلم وأبي داود
من آخر الكهف.

معشر السادة:

أثارت فتنة الدجال بعض الناس في عصرنا فقالوا إذا كانت هذه فتنة
الدجال، فلماذا لم يذكر رب العزة الدجال في كتابه الكريم مع أنه ذكر
يأجوج ومأجوج وذكر الدابة وذكر سيدنا عيسى وذكر المفسدين في الأرض
كفرعون وقارون.

أندرون - أيها الإخوة - لماذا؟ لتكون فتنة آخر الزمان أعظم فتنة، إنَّ
الله جل في علاه ترك ذكره في القرآن ليضل بها كثيراً ممن يكذبون بأحاديث
رسول الله ويشككون فيها ويطعنون في نسبتها إلى النبي هؤلاء من أمثال

الفرماوية، وما أدراك ما الفرماوية، إنهم الذين سموا أنفسهم بالقرآنيين ونسبوا أنفسهم للمدرسة العقلانية. قالوا لا نأخذ إلا بالقرآن ويروون الأحاديث بمجرد الهوى والجهل وحب الظهور أولئك حقيقون أن يفتنوا بالدجال ويقعوا في شركه، ويضلوا بضلاله لأنهم لا يجدونه مكتوباً في القرآن بل هو ثابت في السنة المطهرة، ولقد حذرنا سيدنا رسول الله من هؤلاء القرآنيين في حديث يعد من أعلام نبوته فقال: (ت) «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله من وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله».

إن الدجال زمانه قد أطل فيايك يا أخي المسلم أن تضل. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا قلوب المؤمنين باتساع رحمته وألهمهم من حسن التوسل ما يدفعون به عظيم أخذه وعقوبته، ووهب لهم من مطايا الحزن والبكاء ما يتوصلون به إلى منازل جنته ومغفرته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرفنا بجملة التوحيد، وأرسل لنا سيد الخلق والعبيد، أشرف من أظلت السماء وأقلَّت البيد الذي هو سيدنا محمد رسول الله المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبید. فمن أراد تكفير الخطايا والزلات، وبذل العطايا والصلوات، والحلول في أعلى الدرجات، فليكثر من الصلاة على سيدنا محمد سيد الأحياء والأموات. الله صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تقدم معنا أن المسيح الدجال يسيح في الأرض يسير فيها سيراً حثيثاً فيقطعها بضلّالته ويؤذي الناس بشره وفتنته، وأن المؤمنين يفرون منه في الجبال، ويحصر به الإمام المهدي والمسلمون معه في دمشق الشام حصراً شديداً قد جهدهم الجذب والجهد والجوع، إذا بالفرج القريب يفتح أبوابه وإذا

بنصر الله يدرك أحبابه وأوليائه، إذا بسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يأذن له مولانا في النزول من السماء التي رفعه الله إليها إلى الأرض ثانية، فينزل على المهدي ومن معه من المسلمين عند المنارة البيضاء شرقي دمشق (طب)، وقد أقيمت صلاة الصبح فيصلي الإمام المهدي بالمؤمنين وسيدنا عيسى معهم وفي هذا يقول الصادق المصدوق عليه السلام (م) «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكreme الله هذه الأمة».

فما أنْ يسلموا من الصلاة حتى يقول سيدنا عيسى: اخرجوا بنا إلى عدو الله الدجال، فيخرجون فما أنْ يراه اللعين الذي كان يدعي منذ دقائق أنه الملك الملهم والزعيم العبقري بل الرب الأعلى، ما أنْ يرى الدجال سيدنا عيسى حتى يذوب كما يذوب الملح، ويفر هارباً فيدركه عند باب لدِّ في فلسطين ولو تركه لانداب كما يذوب الملح ولكنه يقول له: إنَّ لي فيك ضربة. فيطعنه فيقتله فيريهم الله دمه في حربته، فيعلم أتباعه من اليهود حينئذ أنه ليس رباً وإلا لما قتله سيدنا عيسى، وهنا تنهزم اليهود فيفرون ويختبئون من سيدنا عيسى والمسلمين، فما يختبئون وراء شيء إلا أنطقه الله تعالى فدل عليهم ووشى بها

فيقتلهم الله جميعاً، وتتطهر الأرض من هؤلاء الأرجاس الأنجاس،
التي طالما عاثوا فيها فساداً.

أيها السّادة:

كانت هذا هو موجز الأنباء الإيمانية وإليكم تفصيل الموجز
مع الحلقة الرابعة والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية
من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً
ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب
مولانا عز وجلّ على موجات سورة النساء (١٥٧-١٥٩)
والزخرف (٦١) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وقولهم إنا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
هم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا
اتباع الظن، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً،
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون
عليهم شهيداً﴾

﴿وإنه لعلمٌ للساعة فلا تمترنّ بها واتبعون. هذا صراط

مستقيم﴾

إخوة الإيمان:

إنَّ في نزول سيدنا عيسى دون غيره من الأنبياء لرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين مولانا عز وجلَّ كذبهم وأن سيدنا عيسى هو الذي سيقتُلهم.

كما أنَّ في نزوله رد على النصارى الذين يزعمون إلهيته، فيكذبهم الله عز وجلَّ بنزول سيدنا عيسى وإعلان بشريته، بل إسلامه وكسره الصليب وإبطال ما عليه أمر النصارى اليوم، بل يدعوهم إلى الإسلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولهذا اسمع إلى سيد المرسلين ﷺ يقول: (ق-أحمد-ن-هـ) «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

معشر السَّادة:

وفي أثناء وجرد سيدنا عيسى والمهدي يخرج قوم من أولاد يافث بن سيدنا نوح عراض الوجوه صغار الأعين صهب الشعور (سواد يضرب إلى البياض) كأن وجوههم المجان المطرقة (أي التروس المستديرة) إنهم قوم يأجوج ومأجوج الذين حبسهم ذو القرنين وراء سد بناه لينقذ البشرية من شرهم، كما ورد ذلك على الموجات العاملة من سورة الكهف (١٠٩) ﴿حتى إذا بلغ

بين السدين (الجليلين العظيمين) وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا يا ذا القرنين إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكني فيه ربي خير، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً. فبناه سداً حصيناً منيعاً ثخيناً سميكاً شاهقاً مصنوعاً من قطع الحديد والنحاس المصهور لا يستطيعون نقبه لثخنته ولا الظهور عليه أي تسلقه لعلوه وملاسته.

هذا السد- أيها الإخوة- جعله الله تعالى أمراً قديراً له وقت معلوم محدد، وهم الآن يحاولون فتحه وكلما نقبوا نقباً قال بعضهم لبعض: ارجعوا سنفتحه غداً، فيرجعون فيجدونه عاد كما كان، فإذا جاء الوقت المعلوم كما حكى القرآن على لسان ذي القرنين: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾ (الكهف ٩٨).

هنا يلهم الله أميرهم أن يقول: ارجعوا سنفتحه غداً إن شاء الله فيرجعون في اليوم التالي فيفتحونه ويخرجون على الناس، ولهذا نرى سيدنا رسول الله يستيقظ يوماً فزعاً (ق) فيقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق باصبعه الإبهام والتي تليها) فقالت السيدة

زينب أم المؤمنين وبنت عمته: يا رسول الله أهلك وفيينا
الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث».
أيها السادة الكرام:

نحن الآن في خضم هذا الحديث الرهيب ﴿حتى إذا فتحت
يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ فيغشون الناس،
وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم
مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إنّ بعضهم ليمر بالنهر
فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً حتى إنّ من يمر من بعدهم
ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة (أحمد-هـ -
حب-ح).

فأعدادهم عظيمة لا يحيط بها عد كالنمل مثلاً أو الجراد
لدرجة أنّ المسلمين «سيوقدون من قسي يأجوج ومأجوج ونشأهم
وأترستهم سبع سنين» (هـ).

هنا يوحى مولانا عز وجلّ إلى سيدنا عيسى (أني أخرجت
عباداً لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور) ويحصر نبي
الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار
لأحدهم اليوم. فإذا جابوا الأرض كلها قالوا: قتلنا أهل الأرض
فلنقتل أهل السماء، فيهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء
فيرجعها الله إليهم مختضبة بالدماء. فبينما هم كذلك بعث الله عز

وجلّ دوداً في أعناقهم كنغف الجراد، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيبعث سيدنا عيسى رجلاً ليعرف خبرهم فينادي: ألا أبشروا إنّ الله كفاكم عدوكم فيخرجون من حصونهم، وقد ملأ الأرضَ ريجهم ومنتهم فيدعو سيدنا عيسى وأصحابه مولانا عز وجلّ فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثمّ يرسل الله مطراً لا يكنّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة (أحمد- مسلم- ت).

وبعدها_ إخوة الإيمان- يعيش الناس في نعمة لم ينعموا بمثلها فترفع الشحناء والبغضاء، وينزع السم من ذوات السموم، حتى يدخل الولد يده في فم الحية فلا تضره، ويلعب الصبيان مع الأسود والسباع فلا تضرهم، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتخرج الأرض بركتها وتُنزل السّماء خيرها ويتزوج سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، ثمّ يحجّ إلى البيت العتيق ويطوف حول الكعبة المشرفة. يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده لِيُهْلَنَ ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً...» (أحمد- مسلم- ت) ويمكث في الأرض أربعين سنة ثمّ يتوفى أثناء زيارته لسيدنا مُحَمَّد ﷺ فيدفن خلف الحجرة النبوية في مسجد السيدة فاطمة اليوم، والله أعلم.

فيا أمة الإسلام يا شباب سيدنا مُحَمَّد ويا شيوخ سيدنا

مُحَمَّد

علينا واجبات اليوم استعداداً للمرحلة القريبة القادمة علينا
حضور مجالس العلم والقرآن والسنة والفقه وخاصة فقه هذه
المرحلة الهامة التي ستقدم عليها الأمة. إنَّ الجهل بهذه الأمور قد
يوقع في شباك هذه الفتن ويجرف إلى هاويتها السحيقة.

وأن يكون هذا العلم خالصاً لوجه الله ليثمر ثمرته المرجوة
قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. والواجب الثاني التوبة من
جميع الذنوب، بادر بها الآن قبل أن تندم حيث لا ينفعك
الندم، اسمع إلى نصيحة حبيبك سيدنا مُحَمَّد ﷺ يقول: (ت-
حسن): «بادروا بالأعمال سبعاً (اسبقوها قبل أن تسبقكم) ما
هي؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطعياً، أو مرضاً مفسداً أو
هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة
فالساعة أدهى وأمر».

وعلىنا الإعراض عن الدنيا الزائلة الفانية، واسمع إلى
نصيحة الحبيب الأعظم ﷺ (ق-أحمد): «كن في الدنيا كأنك
غريب أو عابر سبيل».

تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جن ليلك هل تعيش إلى
الفجر

وكم من عروس زينوها لزوجها وقد نسجت أكفانها وهي لا
تدري

علينا أن نعيد حساباتنا قبل يوم الحساب ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ
لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

علينا أن نبكي على الأيام التي فرطنا فيها فيما مضى
لنستقبل رمضان وقد علت الطهارة قلوبنا.

علينا بالبكاء لما فرطنا في حياتنا، فإذا جمدت العيون من
الدموع فاعلموا أنه من قسوة القلوب وقسوة القلوب من كثرة
الذنوب، وكثرة الذنوب من نسيان الموت، ونسيان الموت من
طول الأمل، وطول الأمل من شدة الحرص، وشدة الحرص من
حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة.

أيها الإخوة:

هاهو رمضان، يقرع باب كلِّ منا، فكيف سنلقاتك يا
رمضان، هذا هو السؤال، وعلينا أن نجيب عنه قبل أن يفوتنا
قطار الحياة، علينا أن ندخل مدرسة رمضان ونحن على أتم
استعداد لهذا الضيف القادم.

فمن أراد أن يلقي رمضان نقياً هناك، فليبق معنا هنا، وما
أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بالإيجاد والإعدام، المتوحد بالتأثير والإبداع وخلق
الأعراض والأجسام، المنزه عن الحلول والاتحاد بشيء من جميع الأجرام،
القاهر فوق عباده، المنعم على أهل وداده، المتفضل بإرشاده فلا وجوب
عليه ولا إلزام، الذي أبدع بلا مثال واتصف بكل كمال، وقدر الأرزاق
والآجال ودبر الليالي والأيام، المتعالي عن الأين، الذي حجب نفسه في
الدنيا عن رؤية العين، المحسن بكشف الغطاء يوم رفع العين ليراه المحبون
بالإعزاز والإكرام.

أحمد من قدر الأمور في القدم، وأخرج الكائنات من العدم وقضى وأمر وحكم. وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وتعالى عن المكافأة والمماثلة وعن المشابهة والمشاكلة، وعن المضاهاة
والمعادلة ليس كمثله شيء، فلا تتخيله الأوهام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده وحبيبه. الرسول الأعظم والنبي الأكرم
والسيد الأفخم الذي رقاؤه أعلى مقام متعنا الله باتباعه، وأحيانا على سنته
وأمانتنا على ملته وجعلنا من حزيه المفلحين، ومن أصحاب اليمين يوم تتميز
صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد...

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية بياناً هاماً. أرى لزماً عليّ أن أنتقل
بحضراتكم سريعاً إلى هناك إلى عصر النبوة، إلى العصر الذهبي للإسلام إلى
الصادق المصدوق سيدنا ومولانا محمد ﷺ إذ أنه خرج على صحابته الكرام
وهم يتذكرون أشراط الساعة فقال لهم (م): «لن تقوم الساعة حتى تروا
قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من

مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم... تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا» (أحمد- أهل السنن).

أيها الإخوة الكرام:

كان هذا البيان النبوي الشريف لتعداد أمارات الساعة، وليس ترتيباً زمنياً لحوادث تلك العلامات، لأنَّ الأحاديث الأخرى ذكرت هذه العلامات بغير هذا الترتيب.

إننا اليوم نتابع وبدقة القضايا الكبرى للساعة في ملف الإيمان باليوم الآخر، ومع الحلقة الخامسة والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلَّ على الموجات العاملة من القرآن الكريم هداية الله للعالم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو إيمانها خيراً كسبت في يأتي بعض آيات ربك، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو﴾ ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (النمل ٨٢).

إخوة الإيمان:

تقدم معنا أنَّ سيدنا عيسى ينزل من السماء ويقتل الدجال ثم يموت ويدفن في حجرة سيدنا رسول الله، وبعد وفاته يأتي جيش من الحبشة معهم

رجل يدعى ذا السويقتين فيخرب الكعبة المشرفة، ولن يكون هذا حتى يستحل البيت أهله وقد استحله جيش يزيد بن معاوية والحجاج زمن عبد الملك، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، «ثُمَّ تَأْتِي الْحَبْشَةُ فَيَخْرُبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ» أحمد (٢٩١/٢)، ولذا كان نبينا الأعظم ﷺ يأمر أصحابه فيقول (مسند بن أبي شيبة ٤٨/١٥) (فتح الباري ٤٦١/٣): «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه». ولهذا ورد أيضاً (بز): «لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيت». وعند الإمام أحمد (٢٢٠/٢ - النهاية ٣٠٤/١) «يَخْرُبُ الْكَعْبَةُ ذُو السَّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ يَسْلُبُهَا حَلِيهَا وَيَجْرُدُهَا مِنْ كَسَوْتِهَا وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَصِيلَةً أَفِيدَعًا يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمَسَاحِيهِ وَمَعُولُهُ» وفي رواية البخاري «ينقضها حجراً حجراً» أي الكعبة.

ولعل ذو السويقتين هو نفسه الجهماء الذي حدثنا عنه رسول الله (أحمد) حينما قال: «لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له جهجاه»، وعندها ستصبح مكة مهجورة خربة يمرّ الناس بها فلا يؤبه لها ففي الحديث (أحمد) «سيخرج أهل مكة ثُمَّ لَا يَمُرُّ بِهَا أَوْ لَا يَعْبُرُ بِهَا إِلَّا قَلِيلٌ، ثُمَّ تَمْتَلِئُ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَدًا». ثُمَّ تَكُونُ الْمَدِينَةُ الْمُنُورَةُ آخِرَ مَدِينَةٍ تَخْرُبُ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْإِيمَانُ يَنْحَسِرُ إِلَيْهَا فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي، وَيَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَوَّلًا مِنَ الْمَصَاحِفِ فَيَبِيتُ النَّاسَ وَيَصْبَحُونَ وَلَيْسَ فِي الْمَصَاحِفِ حَرْفٌ مَكْتُوبٌ، ثُمَّ يُرْفَعُ مِنَ الصُّدُورِ عَقَبَ ذَلِكَ لِأَعْجَلِ زَمَنٍ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَحْفُوظًا، فَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (جه): «يُدْرَسُ الْقُرْآنُ كَمَا يُدْرَسُ وَشِي الثُّوبِ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نَسْكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلْيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي

ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية» (١٣٤٤/٢ برقم ٤٠٤٩- وفتح
الباري ١٦/١٣ والقرطبي في التذكرة ص ٧٦٣).

قال تعالى: ﴿وَلَنُشْنِئَنَّ لِنُذْهِبَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الإسراء ٨٦)

عند ذلك - أيها الإخوة- يظهر الله تعالى لعباده آية كونية عظيمة ألا وهي طلوع الشمس من المغرب بعد أن تحبس عن الطلوع ثلاثة أيام لا يأذن لها مولانا بالطلوع ثم يأمرها عز وجل أن ترجع من حيث غربت فتطلع من الغرب، وفي هذه القضية يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «أتدرون أين تذهب الشمس؟! إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي (ارجعي من حيث جئت) فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها في الثالثة ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)» (م).

أيها الإخوة المسلمون:

هذه هي العلامة الكونية الكبرى في تفسير أحوال العالم العلوي فإذا خرجت تابعت بقية الأمارات كأنها عقد انفرط، ولذلك اسمع إلى الصادق المصدوق يقول (أحمد): «الآيات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضاً» وفي مرسل أبي العالية: «الآيات كلها في ستة أشهر» وعند أبي هريرة «في ثمانية أشهر»، وسوف يشعر بغروب الشمس الليالي الثلاث أصحاب التهجد من الليل الذين يقومون الليل

بالصلاة والعبادة وقراءة القرآن، إذ أنَّ العبد يقوم بالليل فيقرأ جزءه من القرآن ثُمَّ ينام ثُمَّ يقوم فيقرأ حظه حتى يتعب وينادي الرجل تلك الليلة جاره يا فلان ما شأننا الليلة لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى أعييت، ثُمَّ يقال للشمس اطلعي من حيث غربت (هب)

فهذا الطلوع العكسي للشمس إنما يكون يوماً واحداً، وبه يغلق باب التوبة ثُمَّ تعود الشمس كما كانت فتطلع من الشرق إلى أنَّ تقوم الساعة. فكل من لم يكن إيمانه متحققاً عند طلوعها من مغربها لم ينفعه تجديد الإيمان، والناس وقتها طوائف (الدر المنثور للسيوطي):

الأولى: مؤمن مقيم على المعاصي لم يكسب في إيمانه خيراً فهذا ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال لأصل النجاة فلا يخلد في النار وإن دخلها بذنوبه.

الثانية: المؤمن التائب عن المعاصي الكاسب في إيمانه خيراً ما استطاع، فهذا ينفعه إيمانه السابق لأجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه ما يفعله بعد ذلك من الحسنات.

الثالثة: المؤمن المخلط (خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً) فهذا ينفعه إيمانه السابق لأصل نجاته، وينفعه ما قدم من الحسنات لدرجاته وينفعه إيمانه اللاحق، ولكن لا تنفعه حينئذ التوبة لأنه مخلط.

ولذا ورد عند الإمام أحمد وغيره «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها». ويبقى التكليف وإقامة الصلوات والصيام وغيرها من العبادات سارياً على الأمة لا ينقطع، فيعود الناس إلى الفساد فتكلم السباع الإنس والرجل عذبة سوطه وشرأك نعله بل فخذ به فعل أهله من بعده (ت حسن) ويلجؤون إلى تتبع العورات وإحصاء الخطيئات فيخرج الله تعالى

دابة من الأرض وجهها وجه إنسان لها ريش وزغب وقوائم. تخرج من صدع على الصفا أو المروة أو من شعب أجياد بمكة في ليلة جمع والناس سائرون إلى منى (أحمد-ت-هـ) قيل هي الجساسة صاحبة الدجال يخرجها الله عز وجل لمهمتين عظيمتين:

الأولى: تكليم الناس فتقول لهم: إنَّ الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون. والمهمة الثانية: تسم الناس في وجوههم يضيء وجه المؤمن منها ويظلم وجه الكافر.

فخروجها من الحرم المكي تصيح صيحة عظيمة يتفرق عنها الناس ويثبت المؤمنون فتجلو وجوههم حتى جعلتها كالكوكب الدري، وتولي في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إنَّ الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي؟! فتقبل عليه فتسمه في وجهه كافر ثم تنطلق. ولهذا يقول ﷺ: (هـ) «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلو وجه المؤمن بالخاتم حتى إنَّ أهل الخوان الواحد (المائدة) ليجتمعون فيتخاطبون يا مؤمن يا كافر».

وهكذا معشر السَّادة: ظهر لنا جلياً كيفية النهاية وكأنها واقعة أمام أعيننا فعلينا أن نكون مؤمنين موقنين قبل أن تقع الواقعة، كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها. يوم يأتي بعض بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، إنَّ في هذا الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والشبيه والمثال. وتوحد في وحدانيته عن المؤانس والمؤازر
والمشير وتغير الحال، وتعالى في قدسه عن الصاحب والصاحبة فلا تدرك عظمته ولا تنال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول

السؤال.

وأشهد أنَّ سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي بَصَّرنا من العمى وهدانا من الضلال وبعثه مولانا بما يؤيد به كلمة الدين على التفصيل والإجمال.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

نقف اليوم معاً على عتبة نهاية الكلام عن أشرط الساعة الكبرى التي كان يحذّر منها نبينا ﷺ أمته أشدَّ التحذير، وهاهو على منبره يخطب المسلمين يوم الجمعة فقد أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية نبأً يذيعه على حضراتكم سيدنا جابر بن عبد الله فيقول: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثُمَّ قال: أمّا بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى مُحَمَّد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة. ثُمَّ يرفع صوته وتحمّر وجنتاه ويشتد غضبه إذا الساعة، كأنه منذر جيش ثُمَّ يقول: «أتتكم الساعة الساعة، بعثت أنا والساعة هكذا (وأشار بين أصبعيه السبابة والوسطى) صبحتكم ومستكم» (أحمد-م-ن-هـ) «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» «ألا إنَّ مثل آجالكم في آجال الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان الشمس» (أحمد-خ).

أيها السّادة الكرام:

هكذا جاءت الآيات القرآنيّة والأحاديث النبوية لتبين لنا علامات

الساعة بدقة وتفصيل، فقسمتها إلى قسمين:

١-علامات يراها المؤمنون.

٢-وعلامات لا يراها المؤمنون.

أمّا العلامات التي يراها المؤمنون فهي: الدجال- سيدنا عيسى بن مريم- ويأجوج ومأجوج- وطلوع الشمس من مغربها- والدابة- وكذلك الدخان.

«ويتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السفعة (الخاصة=القشة)» أحمد.

إننا معشر الإخوة مع بقية الإمارات الكبرى ضمن قضايا اليوم الآخر، ومع الدرس السادس والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله الخالد على موجات سورة الدخان (١٠):

﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم. ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا مُعَلَّمٌ مجنون إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾.

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين:

الدخان آخر علامة يراها المؤمنون، فما هذه العلامة وهل مضت أم لم

تأت بعد؟

إنَّ بعض الصَّحابة الكبرى ومنهم سيدنا ابن مسعود كانوا يعتقدون أنَّ هذه الأمانة قد مضت وانقضت يوم دعا رسول الله على كفار قريش فقحطوا سبع سنوات حتى هلكوا، فكان الرجل يرى بينه وبين الأرض الدخان، ولذا كان ابن مسعود يقول(ق): خمس قد مضين الدخان واللزام (بدر) والروم والبطشة يوم بدر و .

لكن سيدنا علياً (ابن أبي حاتم) لم يوافق ابن مسعود بل قرر أنَّ الدخان إنذار للكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النعمة بهم وأنه يمكث أربعين يوماً، واسمع معي إلى حبيبنا سيدنا مُحَمَّد ﷺ يقرر هذه القضية فيقول: «إِنَّ رِبْكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدخان: يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدابة. والثالثة: الدجال» (ابن جرير-طب).

أيها الإخوة:

بعد ظهور هذه العلامة تأتي ريح لينة من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين ولا تخلف إلا النفوس الكافرة تمهيداً لصب العذاب عليهم صباً وفي هذا يقول الصادق المصدوق (أحمد-م-ت-هـ) «تجيء ريح بين يدي الساعة فيقبض فيها روح كل مؤمن وفي رواية (م): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته».

هذه علامات يراها المؤمنون رأي العين، فإذا قبض الله أرواح المؤمنين أجرى الله تعالى أربع علامات لا يراها أهل الإيمان: ألا وهي: ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. والرابعة نار تخرج من مقر عدن أو من المشرق تسوق الناس إلى محشرهم.

والخسف انشقاق الأرض وابتلاعها الناس وهو نوع من أنواع العذاب والنقمة. ولهذا ورد عنه ﷺ (ت): «في هذه الأمة خسف ومسح وقذف: إذا ظهرت القيان (المغنيات والمعازف وشرب الخمر). فلا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» (ق) بل ورد في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» فإذا كان كذلك بدأ الانقلاب الهائل

للكون: نار عظيمة تخرج من اليمن أو من مقر عدن أو من المشرق أو من هذه الجهات كلها فتسوق الناس إلى أين؟ إلى هنا (أحمد-ق) هذه النار لا تخلف أحداً من الكفار وراءها بل تسوقهم أمامها سوقاً من تخلف منهم أكلته حتى تضطرهم إلى المحشر بالشام.

فإذا كان كذلك فالساعة كالحامل المتم التي تم لها تسعة أشهر .
إنها النهاية إذأً، نهاية كل مجرم، وكل ظالم فكيف ستكون هذه النهاية؟
هذا ما ستبديه لنا الأيام والليالي القادمة قل فانتظروا إنا معكم منتظرون.
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

ذكر الموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد الذي أتقن المصنوعات وفطر الموجودات وأمات الأحياء وأحيا الأموات. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. رب الأرض ورب
السَّمَوَاتِ.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات ومعدن
السعادات، وصاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات. الشفيع فيمن
يصلّي عليه يوم الحسرات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أمّا بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

حديثنا اليوم عن سر من الأسرار، عن سلطان لا يقاوم، عن شيء لا يفلت منه أحد حاكم أو محكوم ظالم أو مظلوم، عن شيء يخاف منه المجرمون ويطلبه الموحدون الصالحون.

حديثنا عن حقيقة الحقائق: عن الموت، نهاية كل حي وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض، هذه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم، وبَيَّن الغاية منها، وأتته أمر محتوم على كل مخلوق، ليسمع المتقاعسون القواعد الكلية الموجبة في حقيقة الموت ينطق بها القرآن الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

هكذا بلفظ (كُلِّ) القضية الكلية الموجبة، كل نفس ستذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة، لا فرق بين نَفْسٍ ونفس، حقيقة رهيبة يواجهها الكبار والصغار والأغنياء والفقراء الأقوياء والضعفاء ويقف منها الجميع موقفاً واحداً، لا حيلة ولا وسيلة ولا قوة ولا شفاعة ولا دفع ولا تأجيل ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ ﴿لَنْ قَدّْرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا لَنْ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.

إننا مع قضية الموت بعد الحياة في الحلقة السابعة والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً لِيَرْفَعُوا شَعَارَ التَّوْحِيدِ.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

خلق الله تعالى الإنسان أطواراً، وقدّر عليه أن ينتقل إليها مرحلة بعد مرحلة، مرحلة الجنين في عالمه الصغير في بطن أمه، ثم نقله إلى عالم أرحب إلى الحياة الدنيا، ثم تنطوي صفحة الحياة الدنيا الصغيرة إلى حياة برزخية عن طريق الموت، ثم حياة أخروية بعد البعث والنشور.

وأنت يا أخي المسلم مأمور بذكر الموت لتستعد للآخرة، وتترك الغفلة وتقلع عن الانهماك في شهوات الدنيا. هاهو حبيبنا الأعظم ﷺ يحثنا على الإكثار من ذكر الموت فيقول: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات» قال ذلك حينما مرّ بمجلس لأصحابه فرآهم يضحكون.

وقد وُجّه مرة سؤال إلى سيدنا رسول الله ﷺ، ولمعرفة هذا السؤال والإجابة عنه أَدْعُو حضراتكم لزيارة المدينة المنورة، أَدْعُو أحباب رسول الله ليرسلوا تحيتهم إلى هناك، أَدْعُوكم لنمثل أمام أعظم شخصيات الدنيا قاطبة من الأزل إلى الأبد أمام سيدنا مُحَمَّد ﷺ، هاهو أنصاري يقف أمامه ويوجه إليه سؤالاً فيقول: يا نبي الله! من أكيس (أذكاهم) الناس وأحزم الناس؟ (ابن أبي الدنيا-طب حسن) فقال ﷺ: «أكثرهم ذكراً للموت، وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة».

ولهذا نجد الآيات القرآنية أتت تقرّع أولئك الذين ينسون الموت في خضم أعراض الحياة الدنيا، فيقول عز وجل: ﴿أهلِكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

إنها صيحة في المتكاثرين بالأموال والأولاد رغم أنهم مفارقون لها، القرآن يناديهم فيقول لهم: أيها التاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر. استيقظوا واسمعوا ماذا ينتظر المقصرين من رهبة الجحيم.

هذا كُلُّه ليذكرهم بالموت تماماً كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ
:حينما كان في جنازة (هـ حسن) فجلس على شفير قبر ييكي حتى بلَّ
الثرى ثُمَّ قال: «يا إخواني لمثل هذا فأعدّوا».

بل إنَّ صحابياً مات فجعل الصَّحابة يثنون عليه ويذكرون عبادته،
ورسول الله ساكت: فلما سكتوا سألهم سؤالاً قال: «هل كان يكثر ذكر
الموت. قالوا: لا، قال: فهل كان يدع كثيراً مما يشتهي. قالوا: لا. قال: ما
بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون إليه» (طب-حسن).

أيها الإخوة:

هكذا كان يعلم رسول الله أصحابه ويذكرهم بقضية الموت ليحبوا لقاء
الله تعالى، وهو القائل لهم: (ق-ت-ن) «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت له السيدة عائشة رضي الله
عنها: «يا نبي الله أكرهية الموت كلنا يكره الموت. قال: ليس ذلك ولكن
المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله
لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه وكره لقاء الله كره الله
لقاءه». وفي رواية: «ليس كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضرَ جاءه
البشير من الله فليس شيء أحبَّ إليه من أن يكون قد لقي الله فأحبَّ
الله لقاءه (هذا المؤمن) وإن الفاجر (أو الكافر) إذا حضرَ جاءه ما هو
صائر إليه من الشر أو ما يلقي من الشر فكره لقاء الله فكره الله
لقاءه».

أيها المؤمنون:

الموت حق، الموت مرحلة علينا أن نتيقن من ورودها على الله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾ هكذا المؤمن يكون على يقين من ورود هذه المرحلة ليكون في جوار أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وكفى بها غايةً ومنتهى، واسمع معي إلى الحبيب الأعظم ﷺ وهو يقول: «تخفة المؤمن الموت» (طب جيد).

وليس معنى هذا أن يتمنى العبد الموت لضرّ نزل به مثلاً، لا، فإن هذا منهى عنه، لأنّ نبينا ﷺ دخل على عمه العباس وهو يشتكي (أحمد) فتمنى الموت فقال له: «يا عباس عمّ رسول الله لا تتمنّ الموت: إن كنت محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك خيرٌ لك، وإن كنت مسيئاً فأنت تؤخّر تستعيب من إساءتك خيرٌ لك، لا تتمنى الموت».

أيها السّادة:

لم تكن هذه التوجيهات النبوية خاصةً بسيدنا العباس أو آل بيت النبوة بل كانت تعليمًا لنا من خلال تعليم سيدنا العباس، وإليكم الدليل بعد أن تصلوا على النبي ﷺ، هاهو سيدنا أنس يروي لنا أنّ سيدنا رسول الله قال (ق): «لا يتمنّ أحدكم الموت لضرّ نزل، فإن كان ولا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» وكان يعلم سيدنا جابراً فيقول: «لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر المرء ويرزقه الله الإنابة» (أحمد-حسن)، وإن مما يساعد على ذكر الموت زيارة القبور التي هي سنة حاضرة ولكن المستحب أن تكون كل جمعة يتفكر خلالها العبد بتلك الحالة التي أصبح عليها آباؤه وأجداده وأحبابه، وأنهم كانوا بالأمس معه ثم أودعهم في هذه الحفرة.

هذا المسلك (زيارة القبور) وما تتركه من أثر في النفس: يريده الإسلام من أتباعه، لذلك يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: (ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجلّ تضعونه في صدع من الأرض، وقد توسّد التراب وخلف الأحاب وقطع الأسباب).

إنّه إيقاظ للغافلين يعلمهم أنّ العاقبة ستكون كعاقبتهم، فالسعيد من وعظ بغيره (ابن مسعود).

فما هي النصيحة الأخيرة لنا اليوم التي يوجهها إلينا القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ: «الكيس (الفطن) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» (ت-هـ حسن)

فكيف يستقبل العبد الموت إذا حضره؟ ماذا يفعل المسلم بأخيه المسلم إذا حضرته الوفاة؟ ماذا يشعر المسلم عند سكرات الموت؟. أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا؟ هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء وحكم على عباده بالموت والفناء، وكتب لكل نفس أجلاً لا تجاوزه عند الانقضاء. وسوى فيه بين الشريف والمشروف والأقوياء والضعفاء.

أحمده على سوابغ النعم وضواحي الآلاء، حمد معترفٍ بالقصور عن إدراك أقل مراتب الثناء.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أفضل الأنبياء وأكرم الأصفياء، والداعي إلى سلوك المحبة البيضاء هبط عليه الأمين جبريل فقال له: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعز المؤمن استغناؤه عن الناس.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

يزور الناس اليوم وكل يوم طارق، طارق أعطاه الله جواز المرور على جميع الخلائق بدون استئذان إنَّه ملك الموت.

تشاد المباني والقبور دوارس ولا يمنع الأقدار بابٌ وحارس

ومهما يكن فالله باقٍ ودائمٌ ويجني الفتى من بعد ما هو غارس
وعندما يدخل ملك الموت تنغصُّ السوق، تذهب السكره وتحلّ
الفكرة، ويذوي غصن الحياة ويدرج في أكفان القدر، فمن يستطيع أن يمنع
دخول ملك الموت عليه، هل يستطيع سلاح المشاة والدبابات والمدفعية
والطائرات والأجهزة العاملة وغير العاملة أن يمنع قدر الله تعالى ﴿فلولا إذا
بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا
تبصرون﴾.

اعجب معي لتكوين هذا المشهد: فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ولكن لا
تبصرون تنظرون ولكن لا تبصرون، تنظرون إلى الميت ولكن لا تبصرون ما يدور حول الميت، كما
أنك تنظر إلى النائم وأنت لا تدري ولا تبصر ماذا يرى النائم، لأنَّ الذي يراه النائم لا يعلم به إلا
واحد هو الله تعالى.

﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين﴾. فلولا إن
كنتم غير مدينين إلينا وغير محتاجين إلينا، إن كنتم أقوياء بذاتكم وجنودكم
وسلطانكم فارجعونها إن كنتم صادقين أرجعوا الروح ولا تتركوها تفارق
صاحبها. مشهد واقعي عملي، انتهت الدنيا وأصبح الإنسان أمام درجات
ثلاث:

﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان
من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من

المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم». من أي الوكالات أتينا بهذه الأنباء: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

هذه هي المراتب والدرجات التي يستقبل بها العبد الموت. إن كان صالحاً فله الروح والريحان والسلام وإن كان كافراً سُلَّتْ منه الروح من تحت ظفره وعضوه وعروقه، ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان أشد عليه من ألف ضربة بالسيف.

إننا مع سكرات الموت في الحلقة الثامنة والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات العاملة من سورتي ق والنازعات، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

﴿وَالنَّازِعَاتُ غُرَقَا وَالنَّاشِطَاتُ نَشِطًا وَالسَّابِحَاتُ سَبَّحًا، فَالسَّابِقَاتُ سَبَقًا فَالْمُدْبِرَاتُ أَمْرًا يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.

إخوة الإيمان:

إذا شعر العبد أنه على شفا حفرة من الموت. يستحب أن يكثّر من القرآن والأذكار ويكره له الجزع وسوء الخلق والشتم والمخاصمة والمنازعة في غير الأمور الدينية، ويستحب أن يكون شاكرًا لله تعالى بقلبه ولسانه، ويستحضر في ذهنه أنَّ هذا آخر أوقاته من الدنيا فيجتهد على ختمها بخير،

ففي الحديث (أحمد-حا) «إذا أحبَّ الله عبداً عَسَلَهُ» قالوا: ما عسله، قال: «يوافق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضي عنه جيرانه».

ثمَّ يبادر العبد إلى أداء الحقوق إلى أهلها، فيرد المظالم والودائع والعواري، ويستحل أهله: من زوجته ووالديه وأولاده وجيرانه وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة أو تعلق في شيء.

وينبغي أن يوصي بأمور أولاده الصغار إن لم يكن لهم جد يصلح للولاية، ويوصي بقضاء ديونه. وأن يكون حسن الظن بالله تعالى أنه يرحمه، ويحافظ على الصلوات والواجبات وليجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال، ويوصيهم بالصبر على مصيبتهم به وعدم البكاء عليه ويقول لهم: صح عن رسول الله أنه قال: «الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، فإياكم يا أحبائي والسعي في أسباب عذابي.

معشر الإخوة:

فإذا نزل الموت بساحة العبد فإن من سكرات الموت أن يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثمَّ ساقاه ثمَّ فخذه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم يقول سيدنا شداد بن أوس: (الموت أفضع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أنَّ الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم).

وقد أورد الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه لما صارت روح سيدنا موسى إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت قال: وجدت نفسي كالصفرور الحي حين يقلى على المقلَى، لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير.

هذا كلیم الله موسى يقول هذا الكلام، بل إنني أرى الحبيب الأعظم وبين يديه ركة فيها ماء وهو يودع الدنيا فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى سيد الكائنات وأمير الأنبياء وسيد أهل الأرض والسماء، فأرسلوا تحيتكم إلى سيدنا رسول الله. هاهو يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: اللهم هون علي سكرات الموت (ق).

اصبر لكل مصيبة وتجد مخلد

واعلم بأن المرء غير

فإذا ذكرت مصيبتة تشجى لها فاذكر مصابك بالنبي محمد
إن رسول الله تهيأ لهذه الساعة حين أنزل عليه مولانا إنك ميت وإنهم ميتون فنزل به هذا البلاء وكان شديداً عليه ذلك أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل (خ) فأحب الله تعالى أن يتلي نبيه تكميلاً لفضائله ورفعة لدرجاته عنده، وليس ذلك في حقه نقصاً ولا عذاباً والعياذ بالله.

أنتقل بحضراتكم الآن إلى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل (حديث ابن مسعود وابن عباس) فقد وجه سؤالاً إلى ملك الموت قال له: أرني كيف تقبض أنفاس الكفار؟ قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك فقال: بلى. قال: أعرض فأعرض ثم نظر فإذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار فغشي على سيدنا إبراهيم ثم أفاق، وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك هذه لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين. قال: أعرض فأعرض ثم التفت فإذا برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً في

ثياب بيض. فقال: يا ملك الموت: لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه.

وقد وردت الأحاديث تبين لنا سكرات الموت فعنه ﷺ (ن-حسن) «إذا حُضِرَ المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون لروحه: اخرجي راضية مرضيتاً عنك إلى روح من الله وريحان درب غير غضبان، فيخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناد له بعضهم بعضاً حتى يأتوا به أبواب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ وماذا فعل فلان فيقولون: دعوه فإن كان في غم الدنيا فيقول قد مات، أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا حُضِرَ أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار».

إنها لحظة رهيبة لا يدري العبد كيف تنتهي، لحظة يخاف منها الصديقون والمقربون، تعالوا بنا نزر الآن مولانا الإمام الشافعي في ساعته الأخيرة (هب) سأله الإمام المزيكي كيف أصبحت يا عبد الله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً وبكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً ولا أدري أروحي تصير إلى الخير فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تنزل تجود وتعفو
منه وتكرما

ولولاك لم يقوَ إبليس عابد فكيف وقد أغوى ضعيك آدماء
أيها المؤمنون:

فإذا حضر العبد الموت أو النزع فليكثر من قول لا إله إلا الله ففي الحديث الصحيح (م-د-ن-ت) لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فيلقنها له برفق مخافة أن يضجر فيردها، ويجهز له الكفن ثلاث لفافات إذا رآه يعالج الموت كما فعل الصحابة بسيدنا حذيفة بن اليمان. أمين سر سيدنا رسول الله ﷺ فقد دخل عليه قوم وهو يعالج سكرات الموت، فنظر إلى من حوله وسألهم: هل أحضرتم الكفن، قالوا نعم فقال: يكفيني لفافتان حتى أجهز إلى قبري، فإن يكن لي عند الله خيرٌ أبدلني منها ثياباً من سندس واستبرق، ثم ماذا قال سيدنا حذيفة وهو يستقبل الموت؟ قال ثلاث كلمات:

الأولى: مرحباً بالموت، والثانية: حبيب جاء على شوق، والثالثة: لا أفلح من ندم.

مرحباً بالموت حبيب جاء على شوق: لأنه همزة الوصل بين العبد وربّه، لا أفلح من ندم: لأنّ هذه الساعة لا ينفع فيها الندم.

جفت الأقلام وطويت الصحف، ويحمل سيدنا حذيفة إلى قبره محمل الجندي الشجاع أمام قائده، أدّى واجبه وعاش عيشة راضية، وهنا لم تعزف موسيقى الأرض سلام الوداع، ولم يصطف الجنود تحية للجثمان المودّع إنما

الذي استقبل روحه سكان العالم العلوي والملائكي. استقبلته السماء هناك حيث لا هناك هناك تذوب الأماكن وتزال الحجب فوداعاً يا حذيفة حتى نلقاك. هناك في دار تجمع سلامة الأبدان والأديان، وداعاً حتى نلقاك على حوض سيدنا محمد هناك، فمن أراد أن يكون هناك فليقف هاهنا وما أدراك ما هنا هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الدائم ومكتوب الفناء منسوب إلى البرية كيفما انتسبت القادر على تنفيذ مراده منها رضيت بذلك أم غضبت.

الهي بك أستجير ومن يجير سواك فارحم ضعيفاً يحتمي بحماكا

يا رب قد أذنبت فاغفر ذلتي أنت المجيب لكل من ناداك
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حلت في القلوب وعلى
الألسنة حلت.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ثبتت سيادته قبل إيجاد البشر
ووجبت.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
كل مخلوق يموت بانتهاء أجله، هذا التقدير قدره مولانا عز وجل قبل أن
يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت في صحيح مسلم،
وذكرته الآيات القرآنية يقول عز من قائل: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء
أجلها﴾ وقال: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾

ولا يعلم أحد من الخلائق متى يأتي أجله، ففي الأثر أن سيدنا سليمان جاءه ملك الموت فقال له سيدنا سليمان: أريد منك عندما يأتي أجلي أن تعلمني قبله، فقال ملك الموت: يا نبي الله لا يعلم أحد متى يأتي أجله، إنما هي كتب تلقى إلي فيها اسم من يموت.

لذلك ورد في الحديث عنه ﷺ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله إنَّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إنَّ الله عليم خبير. ولهذا فكل ذي روح يفعل بنفسه ما يزهد روحه ميت بانقضاء عمره:

وميت بعمره من يقتل وغير هذا باطل لا يقبل

لأنَّ المقتول يقتل بأجله، والله يعلم ما كان قبل أن يكون، فهو يعلم أنَّ هذا يموت بالغرق وذاك يموت بذات الجنب أو بالسيف أو بالسهم أو يقتل نفسه أو يقتله غيره، فعلينا أن نعتقد أنَّ قتله لم يولد من فعل القاتل، وإنما بخلق الله تعالى. بل إنَّه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وإنما يقع اللوم على القاتل لأنه قتله بغير أمر من الله فكأنه هدم ملك غيره بغير إذنه وذلك حرام.

ألا تجد- يا أخي المسلم- أنَّ مولانا قد أمرنا بالجهاد ووعد عليه بالشواب، ولو ألقى مسلم نفسه في خضم معركة حتى أخذته السيوف والقنابل والرصاص فما عرف من كثرة ما مزقته ألا يكون شهيداً؟

والجواب: بلى لأنَّ الله تعالى أذن له بفعل ذلك حالة الجهاد، ولسان حال المجاهد يقول: وعجلت إليك رب لترضى.

أيها الإخوة الكرام:

إننا اليوم في قضية الروح مع الحلقة التاسعة والخمسين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على موجات سورة الإسراء. ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. إخوة الإيمان:

نزلت هذه الآية حينما أرادت اليهود اختبار نبينا ﷺ فسألوه ثلاثة أسئلة: سألوه عن فتية في الزمن الغابر فنزلت في حقهم قصة أصحاب الكهف، وسألوه عن ملك جاب الأرض فنزلت في شأنه قصة ذي القرنين، وسألوه عن الروح وكانوا ينتظرون منه أن يجيب ليكذبه، ولكن الذي أجاب عنه مولانا عز وجلّ فنزلت هذه الآية ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ﴾

وانتهوا- أيها السادة- إلى صيغة الآية إنّ مولانا يقول: قل الروح من أمر ربي.. لذا العلماء قالوا: الروح من عالم الأمر الرباني اللطيف وذلك أنّ هناك عالماً يسمى عالم الأمر، وعالم يسمى عالم الخلق فالجسم البشري مثلاً هو من عالم الخلق أو عالم الملك، وأمّا الروح فمن عالم الأمر أي عالم الملكوت العلوي، وعالم الأمر هو كل من قال الله تعالى له كن فيكون.

وقد وصف العلماء الروح بتعاريف كثيرة منها أنها جسم مخالف للماهية (في حقيقته يخالف البدن) وهو جسم نوراني علوي خفيف أو لطيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في العود الأخضر وسريان الدهن في الزيتون، وقالوا: إنّ الروح لا تفنى بل هي

بعد موت صاحبها إما منعمة أو معذبة، ولهذا ورد عن ابن مسعود في صحيح مسلم «إنَّ أرواح الشهداء في أجواف طير خضر»، وفي هذا يقول صاحب منظومة العقيدة:

ولا تخض في الروح إذ ما وردا نص من الشَّارِعُ لكن وجدا

لما لك هي صورة كالجسد فحسبك النص بهذا السند

والبدن - أيها الإخوة - مطية الروح كلما انشغل البدن بالعبادة شعرت الروح بخفة ولطافة ولذة وارتقت نفس العبد إلى عالم الروح العلوي، وأمَّا إنَّ انشغل البدن بالشهوات والنوم والراحة وانحملك باللذائذ الجسمية ثقلت الروح وهبطت من عالمها العلوي وصارت أرضية سفلية.

من أين أتى العلماء بهذه المعاني، جاؤوا بها من حديث ورد عنه ﷺ حين التقى رسول الله ﷺ بسيدنا حارثة بن مالك فرآه نحيل الجسم مصفرّ الوجه فقال له: كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً. فقال ﷺ: إنَّ لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً للحساب، ولكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ولكأني أسمع عواء أهل النار. فقال ﷺ: عبد نور الله الإيمان في قلبه عرفت فالزم (مرسل صحيح ابن أبي شيبة).

أيها الإخوة المؤمنون:

والروح مخلوقة قبل الحسد لأنَّ مولانا عز وجلَّ لما خلق آدم استخرج منه الذراري التي سيخلقها منه إلى يوم القيامة، وأفاض عليها الأرواح وأخذ عليهم العهد، ففي مسند الإمام أحمد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. عن أبي بن كعب قال: جمعهم الله تعالى أرواحاً في

صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا لم نعلم ذلك. اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتيبي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك فأقروا بذلك. (حا وأقره)

ولهذا قيل في حديث: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، (خ-م) قيل فيه: ما تعارف من الأرواح في عالم الذر ائتلف ههنا في عالم الخلق، وما تناكر هناك اختلف ههنا. ولذا روي مرفوعاً (ابن منده): خلق الله الأرواح قبل الأجسام بألفي عام».

فمن هي أول روح خلقها الله تعالى؟

إن أول الأرواح البشرية خلقاً هو روح سيدنا محمد ﷺ كما أخبر هو بذلك فقال: (ابن سعد مرسلاً صحيح) «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث» فهو ﷺ: أولهم في عالم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح، فيه فتحت النبوة في عالم الأرواح وبه ختمت في عالم الأشباح فهو الفاتح وهو الخاتم وقد سئل رسول الله مرة ف قيل له (ت-حسن صحيح) متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

معشر الإخوة الكرام:

هذه الروح في كل ليلة تصعد إلى بارئها عز وجل، في كل منام لك يقبض الله تعالى روحك إليه، ثم يردها عليك، لذلك عندما ترد إليك روحك صباحاً سن لك رسول الله ﷺ أن تقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» فإذا حان أجلك قبضها إليه جل وعلا ولم يردها

عليك، فلكل عبد مودة صغرى ومودة كبرى. اسمعوا إلى هذه القضية يصرح بها مولانا عز وجلّ في كتابه فيقول: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما حرجتم بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ لكنه في النوم تقبض الروح قبضاً له اتصال بالجسد، فإذا أراد الله قبضها إليه في المودة الكبرى اسمعوا ماذا يقول حبيبنا الأعظم يقول: «إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها حاجة» (أحمد ت).

وإليكم الجمع بين المودة الصغرى والمودة الكبرى تصرح به الآية القرآنيّة ببلاغة عظيمة وبيان واضح يقول عز وجلّ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (يتوفاها في منامها) فيمسك التي قضى عليها الموت (تتحول المودة الصغرى إلى كبرى أثناء النوم) ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ (يرسل روح العبد الذي لم ينته أجله). فأجل العبد آتٍ لا محالة أينما كان وأينما هرب من أجله. يروى أنّ ملك الموت كان كثير الالتقاء بسيدنا سليمان، فقدم إلى مجلسه مرة فرأى جليساً عنده فنظر إليه شذراً فلما غادر سأله جليسه من هذا الذي خرج الساعة يا نبي الله فقد نظر إلي نظرة كادت تقطع أوصالي فقال: هذا ملك الموت. فازداد جليس سيدنا سليمان رعباً على رعب فقال: يا نبي الله أستحلفك بالله أن تأمر الريح فتذهب بي بعيداً فإني أخاف من نظرتك تلك، فقال سيدنا سليمان: لا يغنيك ذلك شيئاً إن حان أجلك، فقال: سألتك بالله إلا فعلت فأمر سيدنا سليمان الريح أن تحمله إلى بلاد الهند في ظرف لحظة. وإذا بملك الموت يدخل على سليمان بعد ساعة فسأله: لماذا نظر إلى جليسه نظرتك تلك. فقال ملك الموت: لقد تعجبت من وجوده في مجلسك ههنا في فلسطين وكان ربي قد أمرني أن أقبض روحه بعد ساعة في بلاد الهند، ولكنني امتثلت

أمر الله فنظرت إلى الهند فإذا هو فيها ينتظر قضاء الله تعالى فقبضت روحه
بإذن ربي عز وجل. وصدق الله العظيم ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ
كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مَّشِيدَةٍ﴾.

فماذا يفعل بالميت بعد قبض روحه؟
أعلق هذا السؤال لأجيب عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سلك بأحبابه نهج الصراط المستقيم، واختص بالعناية
من أتى إلى بابه بقلب سليم أمات الله قلوباً بالمعاصي، وأحيا قلوباً بالطاعة
فسبحان من يحيي العظام وهو رميم.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من به يتوله وفيه
يقيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي الكريم والسيد السند العظيم
اختصه الله بالخلق العظيم والفتح المبين ورفعته فوق الخلائق أجمعين سيدي أبا
القاسم يا رسول الله .

مقامك تقصر الأملاك عنه	وفضلك لم تنله الأنبياء
نبي هاشمي أبطحي	شمائله السماحة والسخاء
وناداك المهيمن يا حبيبي	هلم لوصلنا ولك الهناء

فقل واشفع ترى كرماً ومجداً العتاء

لك الحوض المعين كرامة
يا محمد والشفاعة واللواء
صلى عليك الله يا علم الهدى
صلى عليك الله ربي وسلما
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً.

أقف اليوم لأتابع معكم رهبة الموت التي تصيب العبد وقد رأى بأم
عينه حبيبه تصيبه مصيبة الموت. هذه الحقيقة التي يجب أن نؤمن بها ونؤمن
بها ضمن دروس العقيدة، كما قال صاحب منظومتها

وواجب إيماننا بالموت ويقبض الروح رسول الموت

ثُمَّ قررت معكم أَنَّ المقتول يقتل بأجله

وميت بعمره من يقتل وغير هذا باطل لا يقبل

ثُمَّ قررنا أَنَّ الروح لا تفنى على أصح القولين

**وفي فنا النفس (الروح) لدى النفخ اختلف واستظهر
السبكي بقاها اللذ عرف**

وكنت قد علقـت معكم سؤالاً حول الواجبات الكفائية أمام الميت،
وكيف يتصرف العبد إذ رأى أحد أحبائه في الدنيا ينتقل إلى جوار أرحم
الراحمين.

ولكنني وقبل أن أجيب عن هذا السؤال أرى لزماً عليّ أن أنتقل
بحضراتكم سريعاً إلى حبيب الله سيدنا مُحَمَّد فقد دخل على أخيه من
الرضاعة سيد أبي سلمة وقد توفي وشق بصره (شخص يبصره) فكان أول
عمل قام به الحبيب الأعظم أن أغمض عينا أبي سلمة ثُمَّ قال: إِنَّ الروح إذا
قبض تبعه البصر، فعلم أهله أنه مات فضج ناس منهم فقال لهم: لا تدعوا
على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثُمَّ قال: اللهم
اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه الغابرين واغفر لنا
وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (م).

فإذا بالسيدة أم سلمة تأتي إلى النبي ﷺ فعلمها ﷺ أن تدعو وتقول:
اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة، تقول السيدة أم سلمة (م)
سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه
راجعون: اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله تعالى

في مصيبتيه وأخلف له خيراً منها، قالت فلما توفي أبو سلمة قلت ما أمرني رسول الله.

أتدرون أيها الإخوة من أخلف الله عليها. لقد أعقبها الله من هو خير من أبي سلمة وأخلف عليها خيراً منه ألا وهو سيدنا محمد رسول الله. فعلى المسلم إن أصابته ضراء أن يدعو بهذه الكلمات تعلموها وعلموها الناس: اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها.

إننا معشر الإخوة: مع الحلقة الستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

نقلت لنا وكالة الأنباء الإيمانية حديثاً عظيماً بما أعدَّ الله تعالى لعبده فيما لو صبر على المصيبة واحتبسها، حديث عظيم عن سيدنا رسول الله ﷺ (ت-حسن) يقول: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي. فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده. فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموها بيت الحمد». وقد جاء في رواية أخرى (خ) يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتبسه إلا الجنة»

إنَّ سيدنا رسول الله علمنا كيف نستقبل الموت إذا زار أحبابنا كان يقول لصحابته الكرام: «الموتُ فرع فإذا بلغ أحدكم وفاة أخيه فليقل إننا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه عندك في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه في أهله في الغابرين ولا تحرمنا أجره ولا

تفتنا بعده (ابن السني) وأما إذا بلغك موت عدوٍ لك فقل ما قال رسول الله حين بلغه مقتل عدو الله ورسوله أبي جهل إذ قال: الحمد لله الذي نصر عبده وأعزّ دينه».

معشر الإخوة:

هكذا نستقبل الموت، وأما ما يفعله بعض الناس من النياحة والدعاء بالويل والثبور والهلاك عند المصيبة أو قول بعض الجاهلات واكمهفاه واجبلاله انكسر ظهري وغيرها من ألفاظ الجاهلية فقد أجمعت الأمة على تحريمه لورود الأحاديث الصحيحة بذلك يقول الصادق المصدوق (ق): «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». وفي الحديث (ق) «بريء رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة».

ولو أوصى الميت بهذه الأمور فإنه يعذب بها في قبره كما وردت به الأحاديث.

والصالقة هي التي ترفع صوتها بالنياحة أي الندب وهو تعداد محاسن الميت، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة. ولذا حين أخذ رسول الله البيعة على النساء كان من جملة ألفاظ البيعة عدم النوح، وسمعوا معي هذا الحديث النبوي الشريف فمن تحبون أن تصلوا عليه يقول (م): «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت».

وأما -معشر السادة- البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام.

أيها الإخوة المؤمنون:

ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم ﷺ ما زلت معكم عند طيب
القلوب ومربي العقول وكاشف الغمة ومجلي الظلمة صلوا عليه وسلموا
تسليماً، هاهو يعود سيدنا سعداً بن عبادة وكان مريضاً، دخل عليه ومعه
بعض أصحابه، فلما رأى رسول الله ﷺ سيدنا سعداً حزين وبكى عليه فلما رأى
القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع
العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم (وأشار إلى لسانه)»
(ق).

فالبكاء رحمة وتنفيس عن الحالة النفسية أمام الموت، وقد سمّاها رسول
الله في موقف آخر رحمة، نرى ذلك عندما رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت
ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سيدنا سعد: ما هذا يا رسول الله فقال:
«هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وإنما يرحم الله تعالى من
عباده الرحماء».

فالبكاء تعبير عن الإحساس المرهف الذي يهبه الله تعالى للعبد يفرّج
به عن مكنونات الحزن القلبي الشديد الذي أصاب العبد فيكي وخاصة
عند فقد حبيب أو عزيز أو ولد من أولاده، تصوروا رجلاً مات أولاده
الخمسة في حياته ويبقى له بنت واحدة ثم يرزقه الله تعالى ولداً آخر في
حياته فيسر به كثيراً ويراه يكبر أمامه ويدرج ويسمع حلو كلامه وعذوبته
ويراه يلعب ويلهو إذ بيد القدرة الإلهية تمتد لتسترد الوديعة فيموت الولد
الذكر الوحيد بين يديه يمسكه بيديه ويراه وهو يجود بنفسه ويفارق الحياة ما
ذا سيفعل؟ هذا الوصف تماماً حدث لسيدنا محمد ﷺ حين رزق بسيدنا
إبراهيم من السيدة مارية القبطية وهاهو يرى ولده الوحيد يجود بنفسه ثم
يموت، انظروا معي إلى عيني رسول الله الآن وهما تذرفان الدمع الطاهر دموع

كعقد منسبك ولؤلؤ تسيل على خد النبوة، ونظر الصَّحابة خاشعين وقد
علاهم الصمت إلا واحداً قال سيدنا عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول
الله؟! فقال: يا ابن عوف! إنها رحمة، ثُمَّ أتبعها بأخرى فقال: إِنَّ العين
تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم
لمحزونون، فقولوا عليه الصلاة والسلام.

أيها السَّادة:

فما حكم كتابة النعوت وتوزيعها على جدران الشوارع؟ إذا قلنا هي
من باب الإعلام بوفاة العبد فهي مستحبة، حيث يعلم أهله وقرباته
وأصدقائه بوفاته لإكثار المصلين عليه والداعين له ولهذه القضية شواهد في
الحديث النبوي الشريف، فإن رسول الله ﷺ لما مات النجاشي نعه إلى
أصحابه ودعاهم ليصلوا عليه صلاة الغائب (ق)، بل إِنَّه قال في صحابي
دفنوه بالليل ولم يعلم به قال: أفلا كنتم آذنتموني به أي أعلمتموني به فدلّت
مجمّل هذه الأدلة على استحباب الإعلام بموت العبد إذا أريد به الإعلام
فقط.

أيها الإخوة الكرام:

أنتقل بكم الآن إلى عصر سيدنا عمر الفاروق، هاهو في المسجد يؤم
المسلمين لأنَّ الخليفة أو الحاكم قديماً كان خطيب القوم وإمامهم وحاكمهم
والمشرف عليهم بنفسه، ومفتيهم وعالمهم. هاهو الخليفة الراشدي يرى رجلاً
خلفه يصلّي باستمرار في كل الصَّلوات واستمر ذلك لمدة طويلة فإذا به
يفقده في صلواته ثلاثة أيام، فيسأل عنه فيقولون مات يا أمير المؤمنين. فقال
سيدنا عمر: هلا آذنتموني بذلك، دلوني على قبره. وفي أثناء الطريق سألهم
عن سبب وفاته، فقالوا: دعت امرأة جميلة إلى بيتها، فلما وصل إلى البيت

راجع نفسه وقال لها: كيف سمحت لنفسي أن أضيع صلواتي وعبادتي وألبي طلبك، ماذا أقول يوم القيامة إذا وقفت بين يدي الله رب العالمين، قالوا: ومن شدة خوفه من الله تعالى وقع ميتاً على الأرض.

أيها الإخوة:

ويصل الفاروق عمر إلى قبر الرجل ويقف بجواره ثم يقول لصاحب القبر بعد أن سلم عليه يا فلان إنَّ الله تعالى يقول: ولمن خاف مقام ربه جنتان. أنت خفت من الله والله يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان. يبشره أنَّ له عند الله جنتين فإذا به يسمع من القبر صوتاً ويقول يا عمر إنَّ الله تعالى قد أعطانيها أربع جنات.

وهكذا يتبين لنا أنَّ الخوف من الله في الدنيا عظيم وفي الحديث القدسي «لا أجمع على عبدي أمين ولا خوفين إن أمني في الدنيا خوفته في الآخرة، وإن خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة»، هنا مدرسة التوحيد.

انتفاع الميت بعمل غيره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرّد بالبقاء والكمال، وقسم بين عباده الأرزاق والآجال، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وملوكاً وسوقة ليتنافسوا، فمن شقي وسعيد، ومقرّب وطريد، فسبحان مالك الملك الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقتن بالخلود ذكرها، ويتجدد في كل يوم فخرها، وينسدل على هفوات العبد سترها. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي قلّد بذّر محاسنهِ الأعناق، وبعثه مولانا على حين فترة من الرسل متمماً لمكارم الأخلاق، وجعل شمس شريعته الغراء دائمة الإشراق.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة نودع كل يوم أحبابنا ونفارقهم ونضعهم في صدعٍ من الأرض، ونسلمهم إلى أرحم الراحمين، يسلمه إليه الأشقاء من أهله وولده وقربته وإخوانه، هكذا قضى الله عز وجل أن يفارق العبد من كان يحبّ قربه، فيخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه.

فيارب نزل بكرمك أهلونا، وأنت خير منزل به إن عاقبتهم فبذنب، وإن عفوت عنهم فأنت أهل العفو والمغفرة، أنت الغني عن عذابهم وهم فقراء إلى رحمتك، اللهم اشكر حسناتهم واغفر سيئاتهم وأعذهم من عذاب القبر، واجمع لهم برحمتك الأمن من عذابك واكفهم كلّ هول دون الجنة،

اللهم اخلفهم في أهلهم بخير وارفعهم عندك في عليين، وعُد عليهم بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين.

بهذه الكلمات-معشر الإخوة- ودعنا آباءنا ونودع أحبابنا ونقف على قبورهم ساعة نقرأ القرآن وندعو لهم بالتثبيت ونعظ المشيعين بحكايات الصالحين، تماماً كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ حين دفن أحد أصحابه الكرام.

أيها السادة الكرام:

ولتطبيق هذا الكلام على الواقع العملي. اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم لأنقل لكم بثاً إيمانياً من هناك من جوار المسجد النبوي الشريف من أمام صاحب الجاه العظيم وشفيع المذنبين من أمام رافع لواء الوحدة وسيد سادات البشرية من أمام سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ.

هاهو وقد دفن صحابياً يقول: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

إنها عظة تعني أن يكون العبد في عمله الظاهر خائفاً مما سبق به القضاء، فيحسن السير في حياته بين العمل والخوف.

هكذا يندب إذا دفنت أحداً من أحبابك أن تمكث على قبره وتستغفر له وتسال الله له التثبيت عند السؤال ليقيه الله فتنة القبر، كما ورد بذلك عنه ﷺ (د-هب) حين قال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». وكان سيدنا ابن عمر يستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها، ولهذا كان من وصية سيدنا عمرو بن

العاص لأهله قوله: (إذا دفنتموني أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع ربي).

ومن هنا استحب كثيرون من علماء الشافعية تلقين الميت، فيقف أهل الصلاح والتقوى يخاطبون صاحب القبر ويقولون: «اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مُحمّداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ثم يقولون له: قل رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالكعبة قبله وبالقرآن إماماً وبالمسلمين إخواناً. ربي الله لا إله إلا هو وهو رب العرش العظيم»، فإن المسلم إذا قال ذلك عندما ترد إليه الروح لسؤال الملكين يقول له الملكان: (كنا سنسألك هذه الأسئلة فما دمت قد أجبت عنها بدون سؤال فم نومة العروس هنيئاً إلى يوم يبعثك الله تعالى).

أيها الإخوة المؤمنون:

إننا في قضية انتفاع الميت بعمل غيره، ومع الدرس الواحد والستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذا الدرس أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجلّ على الموجات الإيمانية من سورة الحشر ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

هذه الآية صريحة في أنَّ الميت ينتفع بعمل غيره ينتفع بالصدقة والدعاء كما ينتفع بصلاة الجنازة عليه وردت بذلك الأدلة وانعقد الإجماع عليه.

يقول عليه السلام: «ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له».

وفي الحديث (م-د) «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه». وفي رواية (د-ت) «ما من ميت يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب». أي أوجب الله له الجنة ببركة الصفوف الثلاثة. وينتفع الميت أيضاً بثناء الناس عليه إذا مات.

أيها الإخوة المسلمون:

ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم (ق) هاهي جنازة تمر، فإذا بالناس يشنون عليها خيراً فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وجب». ثمّ مرت أخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «وجب». فقال سيدنا عمر ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجب له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

وفي رواية صحيحة أخرى (خ) أنه صلى الله عليه وآله قال: «أي مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة؟ قال: وثلاثة. فقلنا واثنان؟ قال: واثنان». فهذه من الأدلة الصريحة على أنَّ الميت ينفعه ذلك.

وقد عدد الإمام السيوطي أنه ينفع الميت عشرة: منها من بنى أو أوقف داراً لابن السبيل، أو حفر بئراً، أو ورث مصحفاً، أو قراءة القرآن فإنّه ينتفع بالقراءة على رأي الجمهور، فإذا وهب للميت ثوباً كانت

كالدعاء، كما ورد أنه ينتفع الميت بصوم وليه عنه ففي الحديث: «من مات وعليه صوم صام عنه وليه». وينتفع بالحج والعمرة، وينتفع بقضاء دينه عنه بعد وفاته، فقد مات أحد الصّحابة الكرام وقدمت جنازته ليصلي عليها سيدنا رسول الله وكان لا يصلي عليها حتى يسأل: هل على صاحبكم دين. فإن قالوا: لا، صلى عليها وإن قالوا: نعم قال: صلوا على أخيكم. فنها سأل: هل على صاحبكم دين قالوا: نعم. فقال صلوا على أخيكم. فقال قتادة: يا رسول الله صل عليه وعليّ دينه. فتقدم رسول الله وصلى على الجنازة، وفي اليوم التالي سأل قتادة: هل قضيت دين صاحبك؟ قال: يا رسول الله البارحة مات، فتركه رسول الله فلما كان اليوم التالي قال له: هل قضيت دين أخيك؟ قال: نعم. فقال رسول الله: الآن بردت جلده الآن خفف الله عنه (وكانه كان في حمام).

وهكذا معشر السّادة تبين لنا فساد رأي من يقول: إنّ الميت لا ينتفع بعمل غيره ولهذا الحديث بقية إن شاء الله تعالى عقب عودتي من حج بيت الله الحرام. من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا؟ هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء والكمال وقسم بين عباده الأرزاق والآجال وبعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على حجة وختمهم بخيرته من خليقته السالك بتأييده على المحجة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقول لك يا بن آدم خلقت السموات والأرض ولم أعي بخلقهن أفعيني رغي فأسوق إليك كل حين، يا بن آدم وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمت لك فلا سلطان عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية لا ينالك منها إلا ما قسمت لك ولا أبالي.

ابن آدم هي القناعة فاحفظها تكن ملكاً

لو لم تكن لك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن

يا بن آدم إذا ضاقت عليك الدنيا فقل يا الله إذا تنكر لك الناس جميعاً فقل يا الله، إذا سألت فقل يا الله، إذا استعنت فقل يا الله إذا توكلت فقل يا الله، إذا نمت على فراش المرض فقل يا الله إذا دخل عليك ملك الموت فقل يا الله يا الله يا الله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله يقول: «بين أنا وبين النائم واليقظان إذا أتاني جبريل وميكائيل فقال جبريل لمكائيل: أنه بعشرة رجال فوزناني بعشرة فرجحت بهم، فقال زنه بمئة فوزنت بمئة فرجحت بهم فقال زنه بألف فوزنت بألف فرجحت بهم فقال جبريل: ياميكائيل

والله لو وزناه بأهل السموات والأرض لرجح بهم مُحَمَّدٌ».

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد.
أتابع معكم الحديث عن الركن الإيماني الخامس الذي تركت الحديث عنه عند سفري إلى حج بيت الله الحرام وقد وجهه إلي سؤال عندها كيف نؤمن على حياتنا وعلى أولادنا ما هي الطريقة لنسجل اسمنا في دائرة التأمين على الحياة الشرعية.

وقد نظرت يومها في هذا السؤال وجهدت في البحث عن الإجابة عنه مع الدرس.

وفي بداية هذا الدرس أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد إخوة الإيمان للإجابة عن سؤال التأمين على الحياة أرى لزماً عليّ أن أنتقل بحضراتكم سريعاً إلى هناك إلى أمير الأنبياء وسيد من مشى تحت السماء إلى رسول الإنسانية سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ هاهو يزور صحابياً وقد حضرته الوفاة ومعه أصحاب الحبيب الأعظم، رأوه أثناء عراكه لسكرات الموت، رأوه وهو يجود بالأنفاس الأخيرة وقد أوشك أن يدرج في أكفان القدر، فشمس العمر قد دخلت في مجال كسوفها، والشفق الأحمر قد ملأً عليها حياته، في هذه الأثناء التي آذنت شمس حياته بالغروب سمعوه يقول ثلاث كلمات لم يفهمهن الصحابة الكرام.

قال الصحابي: ليتّه كان جديداً، ثم أخذته سكرة حلت بعدها فكرة فقال: ليتّه كان بعيداً، ثم أخذته سكرة أعقبتها فكرة ثم قال: ليتّه كان كاملاً ثم فاضت روح الصحابي الجليل إلى الله عز وجل. ووقع الصحابة حوله في حيرة: ليتّه كان جديداً، ليتّه كان بعيداً، ليتّه كان كاملاً، شيفرات ثلاث لا يقدر على حلها إلا النبي ﷺ الموصى عليه. فالتفتوا جميعاً إلى سيد

الكائنات فسألوه ما هذه الكلمات الثلاث يا رسول الله؟ ماذا كان سببها؟ وما الذي يريده منها؟

فقال لهم: إن هذا الرجل كان يمشي ومعه ثوب غير جديد فوجد مسكيناً يتأفف من شدة البرد فأعطاه الثوب، فلما حضرته الوفاة رأى قصرًا في الجنة فقالت له الملائكة هذا قصرك في الجنة أنك تصدقت ذات ليلة على مسكين بثوب. فقال الرجل بثوب. قالوا: نعم. قال: كان الثوب بالياً ليته كان جديداً.

لا شيء عند الله يضيع أبداً ﴿فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره﴾ إذا كان هذا الثوب قديماً ومع ذلك أدخر الله لي به قصرًا في الجنة فما باله لو كان جديداً، إن نبينا ﷺ علمنا فقال: «اتق النار ولو بشق تمرة لا شيء عند الله يضيع». ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾.

الجدار كان لغلامين يتيمين، ثم ماذا؟ كان تحته كنز لهما، فساق الله العلي القدير إليهما نبياً مرسلًا وكليماً مكلفاً هو سيدنا موسى ونبينا عظيم الشأن هو سيدنا الخضر عليهما السلام يتوجهان بأمر الواحد القهار إلى مدينة أبت أن تقدم لهما واجب الضيافة، لكن هناك سر في توجيه الله لهما بالأمير، فقد كان تحت الجدار كنز لليتين، وسمعوا معي إلى السر الدفين والخبر العظيم والحصن المتين وإلى القاعدة الأصيلة في التأمين على الحياة: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ أمتنا على حياة أولادكم، لا أقول في مكاتب التأمين الربوية، أو التي تقوم على الغرر والمقامرة والتي إذا ذهبت إليها فرضوا عليك كشفاً طبياً دقيقاً، وحللو لك التحاليل الطبية ليعرفوا كما تعيش من الزمان،

مع أنه لا يعلم ما بقي من العمر إلا الله، فمن العليم؟ من الوهاب من
الفتاح من الواجد من الماجد من المنعم من المريد من القدير من المقتدر من
المقدم من المؤخر من المعطي من المانع من الضار من النافع من المعز من
المذل من الخافض من الرافع من الأول من الآخر من الواحد؟ وحدوا
الواحد.

أيها السادة:

الإمام مالك يرى ملك الموت ذات ليلة فيسأله الإمام: يا ملك الموت
لم بقي من عمري؟ فأشار له ملك الموت بأصابعه الخمسة، وسأله الإمام:
كم تكون تلك الخمسة؟ أسنوات هي، أشهر تلك، أيام هذه؟ لكن الإمام
مالكاً استيقظ من المنام ولم يخبره ملك الموت كم هذه الخمسة. وذهب
الإمام الخبر إلى العالم المؤول محمد بن سيرين وقص عليه ما رأى، أخمس
سنوات أم شهر أم ساعات فقال له ابن سيرين: يا إمامنا ما هي سنوات
ولا شهر ولا أيام، فقال الإمام فكم تكون تلك الخمسة؟ فقال ابن سيرين:
إن ملك الموت يريد أن يقول لك إن سؤالك هذا في خمسة أمور من الغيب
لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وينزل الغيث، ويعلم ما في
الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض
تموت إن الله عليم خبير.﴾

معشر الإخوة الكرام:

أمّنوا على حياة أولادكم بتقوى الله، فإن الجدار قد أقيم بسبب أن
أبائهم كانوا صالحاً، ثم إن القرآن الكريم يحولنا على آية التأمين على حياة
الأولاد في الآية ٩ من سورة النساء، ستجد هناك مكتب التأمين على
الحياة، والله تعالى هناك لا يطالبك إلا بدفع قسطين اثنين لا ثالث لهما،

وإذا أردت أن تعرف ما هذا القسطن فاقراً قوله تعالى: ﴿وليشخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾ [ماذا يفعل؟ ادفع قسطين اثنين] (القسط الأول) فليتقوا الله (والثاني) وليقولوا قولاً سديداً ﴿هذا هو مكتب التأمين على حياة الأولاد بل على حياتك كلها اسمع إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

فما هي الشيفرة الثانية: (ليته كان بعيداً). فسّرها لنا يارسل الله، قال رسول الله ﷺ إن هذا الرجل كان متوجهاً إلى المسجد فوجد عبداً مقعداً لأن برجليه شلل قال خذني معك لأصلي خلف رسول الله، فحمله على ظهره وذهب به إلى المسجد فصلى، فلما حضرته الوفاة رأى مركز التأمين على الحياة الإلهي يقدم له قصرًا من قصور الجنة، فقالت له ملائكة الموت هذا القصر لك أيضاً. قال: بأي شيء عملته قالوا له: لأنك حملت مقعداً ليصلي في المسجد فقال لقد كان المسجد قريباً: ليته كان بعيداً، إذا كان هذا المسجد على قربه منحني الله به قصرًا في الجنة فما باله لو كان بعيداً ليته كان بعيداً.

ليته كان كاملاً، أخبرنا يارسل الله؟

رغيب تصدق الرجل بجزء منه على جائع والأفواه الجائعة أولى بالصدقات من بيت الله الحرام، جزء من رغيب فلما حضرته الوفاة، رأى قصرًا ثالثاً في رياض الجنة فسأل لمن. قالوا لك. قال بأي شيء؟ قالوا لأنك تصدقت ذات يوم على مسكين ببعض رغيف، ببعض رغيف؟! قالوا: نعم. قال ليته كان كاملاً.

ليته كان جديداً، ليته كان بعيداً، ليته كان كاملاً، ثلاث شيفرات

حلها الصادق المصدوق.

هذا هو مكتب التأمين على الحياة، يدفع لك في حياتك وبعد مماتك
حلولاً طيباً، هذا بعد مماتنا فكيف في حياتنا.
أيها الإخوة الأعزاء:

مازلنا عند الحبيب الأعظم ﷺ فقد مرضت جدتي السيدة فاطمة
بنت رسول الله فقالت لزوجها جدي سيدنا علي أشتي الرمان، فبحث
الإمام العظيم فلم يجد إلا شيئاً قليلاً اشترى فيه رمانة واحدة وبينما هو في
طريق عودته لقيه مسكين فقال له يا علي نفسي تشتهي الرمان! فماذا يفعل
سيدنا علي، أبحرمة وهو تلميذ سيدنا محمد، ما اعتاد تلامذة رسول الله أن
يفعلوا ذلك فقد علمهم السخاء والكرم:

فإذا سخوت بلغت في الجود المدى

رفعت ما لم تفعل الأنواء
أيعطيه الرمانة؟ وماذا يقول لبنت رسول الله؟ أبحرمة ما اشتيت به
نفسها، ولكن مثل جدي سيدنا علي لا يحار، لأنه باب مدينة العلم كما
قال رسول الله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فقسم الرمانة قسمين أعطى
نصفها المسكين، وقدم إلى زوجه الحبيبة فقدم لها النصف الآخر وقال:
ياربانة رسول الله تصدقت بنصفها الآخر على مسكين، فأكلت بعض
الرمانة وأعطت البقية لزوجها الحبيب.

فما هو التأمين على الحياة الدنيوية في هذا الموقف إذا بالباب يطرق،
وإذا بالباب سلمان يقول سيدنا علي: إن رسول الله يرسلك إليك هذه
الرمانات التسعة. فقال سيدنا علي: يا سلمان لو كانت من الرسول لكانت

عشرة لأن الله تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فقال سلمان
والله إنها عشرة ولكنني خبئت العاشرة لأسمع ما تقول فخذها يا علي.
كانوا يتعاملون مع بنك، هذا البنك لم يكتب عليه اسمه التجاري
الربوي وإنما كتب عليه: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾.

أيها السادة:

إن الله دلنا على مكتب التأمين والدليل ليته كان جديداً ليته كان بعيداً

ليته كان كاملاً. هنا مدرسة التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على
جميل بلائه.

وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدّها ليوم لقاءه.
وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله سيّد رسله وخاتم أنبيائه.
يارب هـذي ذنوبي في السّورى كثـرت
وليس لي عمل في الحشر ينجيـني
وقد أتيتك بالتوحيد يصـحبه
حب النبي وهذا القـدر يكفيـني
اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على هذا النبي وعلى آله وصحبه
أجمعين.

كنت منذ أيام في زيارة مريض فرأيت وسمعت عجباً، سمعت أولاد
المريض يقول بعضهم لبعض: لماذا يمرض والدنا، ولما هو دون بقية الناس
يموت، لماذا؟ ولماذا؟ فرأيت من حقكم علي أن أنبه على هذه القضية
وأصح مفاهيم بعض الناس.

ربما في كل شيء تستطيع أن تسأل لماذا؟ إلا في ضية الموت، فلا
يستطيع أحد أن يقول فيه لماذا؟

لماذا يموت أبي ولا يموت فلان، لماذا تموت أمي ولا تموت فلانة
العاجزة الكبيرة؟ هذه القضية لا يستطيع أحد أن يقول لماذا؟ لأن الموت
حق، ولأنك أنت لست أفضل من سيدنا مُحَمَّد ﷺ، لو أراد الله أن يعصم
أحداً من الموت لعصم منه حبيبه ومصطفاه ﷺ لكن سيدنا النبي عندما
دخل إلى غرفة الأشعة القرآنية وأخذ كشف الأشعة رأى مكتوباً في التقرير:

﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنِّهِم مِّيتُونَ﴾ فَأَنْتَ لَسْتَ أَفْضَلُ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

والنبي ﷺ حينما نزلت هذه الآية لم يحزن، لم يضع الحزن في الجرن كما فعلت، لأن يقينه بالله تعالى كان عظيماً فعلى كل منا أ، يكون يقينه بالله قوياً وينتبه لألفاظه.

ومن العجب قول الطبيب للمريض: القلب متعب جداً عليك أن تسكن في الطابق الأرضي، ألبس حذاءً طبياً خفيفاً لا تمش كثيراً، لا تجهد نفسك، وأنا أنظر إلى الطبيب وهو يعدد المحظورات على المريض وهو يزداد اصفراره ثم تابع الطبيب: إياك واللحم والفرايج والسّمك والخضار والفواكه، وإياك من الخبز والبطاطا والكعك و... إلى آخر الواويات، فقال المريض: إذاً ماذا أكل يادكتور فقلت له: كل نفسك.

كان الطبيب يقول ذلك للمريض والمريض تثبط عزيمته ويغور الدم عن وجهه وتغير فلما دخل عليه ولده قال: إن الطبيب يقول لي: إنني سأموت.

هذا التصرف غلط من الأخ الطبيب، لأن أمور الطب ظنية، بينما نحن المسلمين يقيننا بالله تعالى قطعي لا شك فيه فكيف كان رسول الله يتصرف مع المرضى.

أجيب عن هذا السؤال مع الدرس الثالث والستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

تعالوا بنا لتتناول أولى الدروس على يد أستاذ الإنسانية وسيد البشرية

تعالوا بنا لانتقل بحضراتكم إلى هناك، لنقف معاً في حضرة طيب

القلوب سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ:

لـك في القلوب محبة ووفاء والمال منا والنفوس فـي
ياسـيد الأكـوان إن لقـاءكم يوم القيامة فرحة ورجـاء

هاهو يزور مريضاً فيجده في حالة يرثى لها، سأله:

- ألا تدعو الله يا فتى. قال: إني أدعوه يا رسول الله. قال له: وماذا تقول؟. قال أدعو قائلاً: اللهم إن كنت معذبي بشيء في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فتأثر رسول الله من الفتى وقال: يا بني إنك لا تطيق ذلك، هلا قلت (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).
هكذا يكون المؤمن لا تطلب العذاب لا تكن كالقائل الذي يدعو ويقول لمولانا:

أريـدك لا أريـدك للثـواب ولكـني أريـدك للعـذاب
فكل مطالبي قد نلت منها سوى ممسوس وجهي العـذاب

سيدنا رسول الله علمنا أن نطلب الجنة ولا نطلب العذاب قال لنا إذا

سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس (ق) أي أعلى الجنة وأوسطها، يعني

يريدك أن تكون طماعاً في الثواب، كلما أكلت طعاماً علمنا رسول الله

أن تقول: اللهم بارك لنا في ما رزقتنا وزدنا خيراً منه، إلا اللبن (الحليب)

فإنه كان يدعو ويقول اللهم بارك لنا في ما رزقتنا وزدنا منه، لأنه ليس

بعدها نعمة أبداً، لذا كانت التحية أو الهدية التي قدمت للحبيب

الأعظم يوم الإسراء والمعراج كأساً من اللبن.

المهم أنك عندما تزور مريضاً عليك أن تعطيه أملاً في الشفاء وتطمعه في رحمة الله عز وجل، تعالوا لتتعلم آداب زيارة المرضى من سيدنا محمد ﷺ، زار مريضاً مرة فسأله كيف تجددك قال: يارسول الله أرجو رحمة ربي وأخاف عذابه فقال له رسول الله: ما اجتمع الرجاء والخوف في هذا الموطن إلا أدخل الله صاحبه الجنة.

ومولانا عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي.

عليك عندما تدخل على مريض أن تقول له: هون عليك، عارضة، أمر طارئ وبسيط لكنني - أيها الأخوة - عندما جلست إلى ذلك المريض سمعت عجباً، إذ أن رجلاً دخ على مريضنا فسلم علينا وراح يسأله عن مرضه أتدرون ماذا قال له قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله لا أخفيك انتبه لنفسك والدي مات بسبب هذا المرض فقال آخر في الجلسة: وعمتي ماتت فيه، ونطّ آخر وقال: وخالي مات فيه، فما كان من الأخ المريض إلا أن تغير واصفرّ واحمرّ والتفت لولده وقال: وجهوني على القبلة لأموت على الإسلام.

عجيب أمر أمثال هؤلاء الناس كيف نصبوا أنفسهم سكرتيراً لملك

الموت!!

هذا الكلام لا يرضى به رسول الله ﷺ لأنه يعلمنا كيفية عيادة المرضى وخصوصاً الذين هم على فراش الموت، اسمع إلى حبيبك ﷺ يقول: «إذا عدتم المرضى فنفسوا لهم في الأجل فإنه لا يغني شيئاً ولكنه يطيب نفس المريض».

وكان من سنته أنه إذا زار مريضاً وضع يده على موضع الألم ودعا له فقال: «بسم الله أرقيك من كل ما يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك».

وجاء إليه رجل يشكو إليه مرضاً فقال له (م): «ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

معشر الإخوة الكرام:

وسأزيدكم فائدة بعد أن تصلوا على حبيبنا النبي ﷺ فقد جاء إليه أعرابي وقال: «يارسول الله إن لي أخاً به وجع. قال: وما وجعه قال: به لم (مس من الجن) قال: فأت هـ. فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه رسول الله بفتحة الكتاب وأربع آيات من سورة البقرة ﴿إلهم إله واحد﴾، وآية الكرسي، وآية من الأعراف ﴿إن ربكم الله﴾ وآخر سورة المؤمنين ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ وآية من سورة الجن ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ وعشر آيات من أول الصافات، وثلاثة من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين.

هذه الرقية الصحيحة تعلموها من طبيب القلوب (*****) لأن

الراوي والرأي لهذا المشهد قال: فرأينا الرجل قد قام من بين يدي المصطفى كأنه لم يشك شيئاً قط».

أرأيتم عظمة سيدنا محمد ﷺ، إن سيدنا رسول الله يعلمنا كيف نتعامل مع المرضى إذا دخلت عليهم، وقال لنا: «إذا رأيت مصاباً ببلاء وأحببت أن لا يصيبك الله به فقل (ت): الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً».

فإن الله تعالى يعافيه من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عشت.

أيها السادة:

وكان ﷺ لا يطيل المكث عند المريض ولا يأكل عنده تخفيفاً عليه، فمن أكل عنده حمل عنه من مرضه لأن هذا من باب الصدقة والصدقة تحمل البلاء والنبي ﷺ يقول: «داووا مرضاكم بالصدقة».

أيها الإخوة:

هذه هي التعليمات النبوية الشريفة والتوجيهات الدبلوماسية والتي مما

تهون على المريض سكرات الموت ويبقى عليه رد الحقوق إلى أهلها قبل

وفاته امتثالاً لقول عملاق الإسلام سيدنا عمر: حاسبوا أنفسكم قبل أن

تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم فإن مما يهون عليكم الحساب

غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا

تخفى منكم خافية.

فما هي القضايا الإيمانية المتعلقة بالقبر، ما الذي سيحدث في الليلة التي صباحها يوم القيامة؟ ما هي الأسئلة الامتحانية الإيمانية؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا. هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قدّم من شاء بفضله وأخّر من شاء بعدله، لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن فعله. أحمده سبحانه وتعالى على حزن الأمر وسهله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الشبيه والمثالة في جلاله الذي جعل العاقبة للمتقين بفضله. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من وطئ الحصا بنعله، وخاتم أنبيائه وسيد رسله كان يعلمنا القواعد الحياتية فيقول لنا: كنا في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، يعني كما قال ابن عمر: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (خ).

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين. نقف اليوم معاً أمام حقيقة الحقائق، يوم نودع بعضنا بعضاً ونواري أحبابنا التراب ليعود إلى أصلهم، ليعودوا إلى الطينة التي جبلوا منها وهناك ينفذ قدر الله تعالى عندما قال لهم: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَبِهَا نَعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ منها خلقناكم، من تراب هذه الأرض، الأرض التي كانت وأنت عليها - أيها الإنسان - تخاطبك كل يوم وتقول لك: يا بن آدم لا تتكبر على ظهري لأنني غداً سأضمك في بطني. ابن آدم إذا غرتك قوتك فإنما أنت خضة من التراب تداس بالأقدام اليوم أو غداً.

خفف الوطء ما أظن أديم

الأرض إلا من هـذـه الأجـسـاد

ثرى ما هي قيمة ابن آدم إذا دخل معامل التحليل إن مولانا يقول منها خلقناكم. من تراب الأرض، أي من عناصر التراب وبعد التحليل العلمي تبين أن الإنسان فيه: الكربون، والفوسفور، والحديد، والرهن، والمنغنيزيوم، والماء، من عناصر التراب ولهذا سنعود تراباً كما خلقنا أول مرة، فمن هو هذا الذي يتحدى الله اليوم حينما يصبح تحت أطباق الثرى، أين الملحدون أيها الجبابة، أين الذين يعتقدون أنهم سيعيشون أبداً أو إلى الأبد. فياًيها الإنسان إذا غرتك قوتك، فلماذا استحكمت فيك شهوتك:

اطلب بطاعته رضاه فإنه

بالجود يعطي السائلين رضاه

هو أول هو آخر هو ظاهر

هو باطن ليس العيون تراه

معشر السادة الكرام:

أدعوكم اليوم إلى أحد معامل التحليل الكيماوي لنرى معاً بعد الموت ما

قيمة ابن آدم إذا كان يزن ١٥٠ كيلو غرام.

ابن آدم فيه من الكربون: ما يكفي لصناعة سبعة أقلام من الرصاص وفيه من الدهن ما يكفي لصناعة سبعة قطع من الصابون وفيه من الفوسفور ما يساوي صناعة مئة وعشرين رأساً من أعواد الثقاب، ومنه من الحديد ما

يكفي لصناعة برميلاً يسع عشر كالونات، وفيه من الكبريت ما يكفي
لتطهر جلد قطعة من البراغيث وفيه من المغنيزيوم ما يكفي لجرعة مسهلة
فإذا ما ثمنا ابن آدم فإن ثمنه لا يزيد على ثلاثين ليرة سورية.
أهذه قيمتك يا ابن آدم، أهذه قيمة هذا الجسد الذي تتكبر فيه على
ربك عز وجل:

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته

أتطلب الريح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وامدد يدك بحبل الله معتصماً

فإنه الـركن إن خانتك أركان

إننا معشر الإخوة الكرام:

مع الليلة التي صباحها يوم القيامة مع قضايا القبور في الحلقة الرابعة

والستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع

بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين ليرفعوا عالياً شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

الهدف من الدخول في هذه القضية أن يصحو الغافل ويستدرك المقصر،

ليس الهدف أن أخوفكم من هذه القضية وإن كان الشارع الحكيم قد

قصد ذلك لنستعد لهذا الموقف الرهيب، سئل سيدنا الحسن البصري إن

قوماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنخلع فقال: من خوفك حتى تبلغ الأمن

خير من الذي يؤمنك حتى تبلغ الفزع.

وقد دلنا الإمام الغزالي على طريق نسلم من أهوال القبر ويوم القيامة فقال: لا يسلم من أهوال يوم القيامة إلا من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع على عبده خوفين (إن أَمَّته في الدنيا خوفه في الآخرة وإن خافه في الدنيا أَمَّته في الآخرة).

معشر السادة:

الخوف المقصود هنا ليس الرقة التي تحصل للعبد كركة النساء تدمع عينها

ثم تجف ثم ترجع إلى اللهو واللعب والغفلة، إنما المقصود بالخوف، خوفٌ

يدفع للعمل ويجعل العبد يفرّ إلى الله، فإننا نجالس أناساً إذا ذكرت

أمامهم أهوال القيامة وأهوال القبر وأحوال الموتى، قال: أعوذ بالله، ثم لم

يفعل شيئاً، يعود إلى الغيبة إلى أذى الجيران، إلى أكل الحرام. أتدرون

حال من هذا الرجل؟

حال هذا الرجل كرجل في صحراء لحقه سبع، فوصل إلى حصن، فوقف عند باب القلعة وراح يقول: أعوذ بهذه القلعة وبحصنها الحصين وبنائها المنيع من هذا السبع، وهو واقف خارجها لا يدخل فيها فهل تنفعه هذه الاستعاذة، لا، إن من عاد لغيه وضلاله وشهواته بعد إذ سمع هذه الأهوال لعبد مغرور، إن التخويف الذي زرعه الإسلام في ثنايا أحكامه لا يكون بمجرد هزّ الرؤوس والتعجب والدهشة وإنما يكون بالابتعاد عما حرم الله تعالى والالتجاء إلى جنبابه المقدس.

في إخوتي الكرام:

العمر قصير، مهما امتدت بك الحياة، فإن عمرك لا يساوي أمام عمر

الدنيا الطويل جداً إلا ذرة ضمن ذرات الحياة الممتدة ألسنا نقرأ القرآن

ياسادة، ألم يخبرنا مولانا عز وجل عن الذين باتوا ثلاثمئة سنين وازدادوا

تسعاً، عندما بعثهم الله عز وجل، سألوهم أنفسهم: كم لبثتم ماذا كانت

الإجابة؟ لبثنا يوماً أو بعض يوم.

بل قال عن غيرهم: كم لبثتم قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل

العادين قال: إن لبشتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون سئل سيدنا نوح عليه وعلى نينا الصلاة والسلام وقد عاش ألفاً إلا خمسين عاماً على ما ورد في القرآن. سئل: كيف وجدت الدنيا، أتعرفون ماذا قال: كرجل دخل من باب وخرج من آخر.

فيأخي المسلم:

تأمل في الوجود بعين فكر

تَرى الدنيا الدنيّة كالخيال

فكل الكائنات غداً ستفنى

ويبقى وجهه ربك ذو الجلال

إن القرآن الكريم يحرك العبيد ليكون عبيداً لله تعالى، لا ليكونوا عبيداً لشهواتهم، لا ليكونوا عبيداً للدنيا، عليك أن تتحرك نحو الله تعالى اسمعه يقول لك: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ مؤمن لا يخشع، مؤمن لا يعمل، مؤمن لا يجتنب محارم الله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين طال عليهم الأمد ففقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾.

وغرّه طول الأمل

فيأمن بدنياه اشغل

حتى رنا منه الأجـ

أولم يزل في غفلة

والقبر صندوق العمـ

الموت يأتي بغتة

وهاهو يوسد التراب بمفرده، سينزل القبر فرداً، فرداً، وبأيتنا فرداً،

﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وبأيتنا

فرداً.

يامعشر السادة:

سنأتي إلى الله رغباً عنا فرادى لا مال، لا ولد، لا خدم، لا دراجات، لا هيلمان، لا قصور، لا سيارات مرسيديس، لا كابرس، فرداً. ﴿وعرضوا على ربك صفاً لقد جتتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ إن في الكون لأسراراً لو علمتها أحيت الجبين للواحد الأحد الذي لا يموت أبداً. فيارب! يامن لا تراه العيون ولا تحالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيّر الحوادث ولا يخش الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد أوراق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار.

اللهم يامن لا تواري منه سماء سماء، والأرض أرض، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره اجعل خير عمرنا آخره، وخير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاتك فيه، هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعاد وأبدى.

ونحمده على ما منح من الانعام وأسدى ونستهديه فإنه لا يضلّ من هداه ومن أضله فلن يهدي، ونستغفره لذنوبنا التي لا تحصى عدداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً فرداً،

شهادة ترغم بها أنف من كفر عناداً وجحداً، شهادة ندخرها ليوم المعاد
ونتخذ بها عنده عهداً.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أكرم به رسولاً وعبداً، أمدّه الله
بإمداداته الربانية مداً نبي أنطق الله بنبوته ضباً وظيماً وحجراً صلداً.

الله وصل وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إذا مات المؤمن انكشف له عقب موته من سعة جلال الله تعالى ما
تكون الدنيا بالنسبة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت
مظلم فتح له باب إلى بستان واسع، فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم،
وقد ضرب لنا سيدنا رسول الله ﷺ له مثلاً فقال عن رجل مات (ابن أبي
الدنيا مرسلاً برجال ثقات): «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها،
فإن كان قد رضي (بأن كان كامل الإيمان) فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا
كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه» فهو في حياة برزخية لا يعلم
كيفيتها إلا الله تعالى يبدأها عندما يغلق على الميت في قبره ويتولى عنه
أهله وأصحابه، ذلك أن الميت يتبعه ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان
ويبقى عمله، هنا أول ما يستقبله القبر المظلم لا نور ولا كهرباء يسمع صوتاً
يناديه ويقول له أنا بيت الدود أنا بيت الوحدة أنا بيت الوحشة أنا بيت
الظلمة هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لي.

وينادي من قبل الواحد الديان: عبدي تركوك وفي التراب دفنوك ولو بقوا
معك ما نفعوكم ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا أموت.

تالله لو عاش الفتى في دهره
متلذذاً فيها بنعمى عصا
ألفاً من الأعوام مالِكُ أم

لا يعتريه السقم فيها مرة
كلا ولا ترد الهموم ببالي
ما كان هذا كله في أن يفني
بميت أول ليلة في قـ

فيأتيه ملكان في هيئة مخيفة ينكرها ويشيب لمنظرها الولدان فيسألانه
عن اعتقاده بالله تعالى ورسوله على وجه الاختبار والامتحان والفحص
والتحصيل، وهناك يدهش المسؤول أو يذهل أو يحار لهول الموقف إلا أهل
الإيمان الراسخ فإنه سبحانه وتعالى يثبتهم ويلهمهم الجواب السديد.

معشر السادة الكرام:

إننا في قضية إيمانية جديدة ومع سؤال القبر في الحلقة الخامسة والستين بعد

المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة

ادعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز
وجل على الموجات العاملة من سورة سيدنا إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

فهو سبحانه يثبت الذين آمنوا إيماناً صادقاً لا نفاقاً بالقول الثابت وهو لا

إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله فإن هذا هو القول الثابت كما دلت عليه

الأحاديث وليس هناك أثبت من لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله هناك في ذلك

المردد تذوب جميع الشعارات التي كان المنافقون والملحدون ينادون بها في

الدنيا، ولا يبقى هناك إلا شعار واحد لا إله إلا الله، هناك من نادى

بالشيوعية فتح له باب إلى جهنم، من نادى بالماركسية فتح له باب إلى

جهنم، من كان ينادي هنا باللا دينية فتح له باب إلى جهنم، أما من ينادي

بلا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فإنهم ينطقون بها بلا خوف ولا وجل.

أتدرون لماذا؟ لأن الله عصمهم هنا في الدنيا من شبهات شياطين
الإنس والجن، فلما عصمهم الله هنا في الحياة الدنيا من الزيف والميل إلى
الضلال. فإنه ثبتهم هناك في أول منازل الآخرة.

أيها السادة:

ولكي نعرف ما الذي سيحدث لنا هناك حتى نكون على استعداد
هنا أرى لزماً علي أن انتقل بحضراتكم إلى الناطق الرسمي باسم الحق ﷺ إلى
الذي لا ينطق عن الهوى، إلى الرئيس الأعلى لوكالات الأنباء الإسلامية
الذي لم يكذب قط في حياته تعالوا بنا لنسلم على الصادق المصدق ﷺ
اسمعوه يقول لأصحابه الكرام (ق): «ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في
مقامي هذا حتى الجنة والنار فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل فتنة

المسيح الدجال فالخنة إذا عظيمة والامتحان رهيب لا ينجو منه إلا المؤمن الصادق».

فأخبرنا يارَسُولُ اللَّهِ عمن يحدث في قبورنا في أول لحظات اللقاء مع منكر ونكير.

أيها الإخوة:

الصادق المصدوق يتحدث إليكم (ق) فيقول: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه (وإنه ليسمع قرع نعالهم) أتاه ملكان (ت) ١٠٧١: أسودان أزرقان يقال لأحدهما «المنكر» والآخر النكير فيقولان (م: من ربك فيقول: ربي الله). ما كنت تقول في هذا الرجل (يعني لسيدنا مُحَمَّد ﷺ) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله (ق: جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه هو مُحَمَّد «ثلاثاً») فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً».

أيها الإخوة:

يعيد الله تعالى الروح إلى جميع بدن الميت وترد إليه من الخواص والعقل والعلم

ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب حتى يسأل. وأحوال

المسؤولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه، ومنهم من

يسأله أحدهما تخفيفاً عليه يكون أحدهما تحت رجله والآخر عند رأسه.

ويسأل الميت ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها، فليس ذلك بمستحيل على الله تعالى لأن قدرة الله صالحة لذلك.

والسؤال عام لكل البشر إلا الأنبياء وشهداء المعركة، ومن يسأل سؤالاً خفيفاً: الصديقون والمرابطون والملازمون لقراءة تبارك الذي بيده الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر لهم، أي يقرؤونها في غالب أيامهم سواء قرأها عند النوم أو قبل ذلك، وكذا من قرأ في مرض موته سورة الإخلاص، ومريض البطن والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسباً، والميت ليلة الجمعة أو يومها، فإذا أجاب المؤمن باهى الله به ملائكته، وإذا سكّت المنافق والكافر فضحه الله تعالى فكيف يتم السؤال والامتحان؟

معشر السادة:

مازلنا معاً عند الحبيب الأعظم أخبرنا يارسول الله كيف يتم سؤال الملكي؟ يقول ﷺ (ق): «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه (وإنه ليسمع قرع نعالهم) أتاه ملكان (ت ١٠٧١: أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر: النكير. فيقولان (م: من ربك؟ فيقول ربي الله) ما كنت تقول في هذا الرجل (يعني لسيدنا محمد ﷺ) فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله رسوله (ق). قد جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه هو محمد (ثلاثاً) فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً (ت: فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه، ثم

يقال: ثم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: ثم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقاً (أو كافراً) فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال: لا دريت ولا تليت (ت: قد كنا نعلم أنك ستقول ذلك فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه) ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الثقلين (ت: فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك).

ولذا كان ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال (د): «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

ولهذا استحب علماء الشام ومن قبلهم من أئمة الفقهاء والمحدثين على استحباب تلقين الميت بعدما يدفن فيذكره بالقواعد الإيمانية تنفيذاً لحديث النبي ﷺ (م): «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» وحديث (الحب) «أنه قال يدعو لمن مات الثبات الثبات ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقد سئل الإمام العلم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن تلقين الميت فقال

هو الذي نختاره ونعمل به، وقال به مولانا الإمام النووي في كتابه المجموع

(٣٠٤/٥)، وهذا التلقين في حق المكلف الميت، أما الصبي فلا يلحق.

فالميت يعي ويعرف من حول قبره من أهله وعشيرته هذا سيدنا عمرو بن العاص (م) حين احتضر يقول: (إذا أنا مت أقيموا حول قبري

قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به
رسل ربي).

ولهذا كان ﷺ عندما كان يزور قبور الشهداء كان يبشرهم قائلاً
«سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

ونادى بعد ثلاثة أيام على قبور كفار بدر وخاطبهم قائلاً (ق):
«أليس قد وجدتم ما ودعكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً،
فسمعه سيدنا عمر فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وقد جيفوا قال:
والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يقدر أن
يجيبوا».

هذه الأدلة الصحيحة على سماع الميت لمن حوله فلا مانع أبداً من
تلقينه وتذكيره للعقائد التي كان عليها في الدنيا كذلك احترامه وعدم الجلوس
على قبره أو البول عليه ولذا ورد في الصحيح (م-د-ن) أن رسول الله قال:
«لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير من
أن يجلس على قبر».

كما ورد (هـ بسند جيد) عنه ﷺ: «لأن أمشي على جمرة أو سيف
أو خصف نعلي برجلي أحب إلي من أن أمشي على قبر» وهذا كله في
غير حالة الضرورة.

أيها الإخوة:

أنتقل بكم الآن إلى عصر الإمام الصالح يزيد بن هارون الواسطي، الذي

بقي يعلم المسلمين دينهم زهاء ستين سنة، فماذا فعل الله به في قبره؟ روي

في المنام بعد وفاته فسئل عن حقيقة منكر ونكير فقال: أي والله لقد

أجلساني وأقعداني وجعلنا يسألاني: من ربك؟ ما دينك. فقلت لهما

بشجاعة وإيمان: أمثلي يسأل؟ قد كنت أعلم الناس دينهم زهاء ستين سنة،

أنا يزيد بن هارون الواسطي، فقال أحدهما للآخر: صدق هو يزيد بن

هارون الواسطي ثم يا يزيد كنومة العروس هنيئاً مطمئناً لا يوقظك إلا أحب

أهلك إليك، وهكذا معشر السادة كنا مع القضية الأولى في القبر، فهما هي

القضايا التالية أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله

تعالى. هنا مدرسة التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي إلى لطف أعان، وإذا عطف صان، العليم الذي أكرم
من شاء ومن شاء أهان أحمده سبحانه وتعالى فهو الحمود بكل لسان
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحنان المنان شهادة معلن
بلسانه عما في ضميره والجنان.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة إلى الإنس والجان
مرشداً لهدى الإيمان محذراً للعصاة من النيران مؤيداً بمعجزات القرآن ليُظهر
دينه على سائر الأديان سيد أبا القاسم يارسول الله:

لاحت بعاطر ذكرك الأيام وتفـاخرت بجهادك الأعـ
أثنى عليك الله في قرآنه فاهناً فأنت السيد المقـ

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

وسلم.

تواترت الأخبار عن سيدنا رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، بعد سؤال الملكين، لذلك جعلها علماء العقيدة من الأمور الواجب اعتقادها، ولا نتكلم في كیفيتها، إذ ليس للعقل وقوف على كیفيته، والشرع لا يأتي بما تستحيله العقول، بل إنه يأتي بما تحاربه العقول.

فكل من مات - وهو مستحق للعذاب - نال نصيبه منه قبر أم لم يقبر، ولو صلب أو غرق في بحر أو أكلته السباع أو حرق حتى صار رماد أو ذري في الريح كما يفعل أهل الهند فلا ينفع العذاب كون الميت تفرقت أجزأؤه بل يصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور فيخلق الله فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين، فيدوم على الكافر والمنافق، وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين الذين خفت جرائمهم فإنهم يعذبون بحسبها، أتدرون - أيها الإخوة - بم يرفع الله عنهم العذاب؟ يرفعه عنهم بالدعاء والصدقة وأعمال البر التي يوهب ثوابها للميت. وكل من كان لا يسأل في قبره لا يعذب فيه أيضاً.

فعلينا واجب الاعتقاد بذلك ونفوض كيفية العذاب إلى الله تعالى، إننا مع القضية الاعتقادية الجديدة ضمن سلسلة القضايا الإيمانية.

سؤالنا ثم عذاب القبر نعيمه واجب كبعث الحشر ومع الدرس السادس والستين بعد المئة عن القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم ﴿وَمِنْ حَوْلِكُمُ الْأَعْرَابُ

منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم
سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم» (التوبة ١٠١).

﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً
وعشياً﴾ [صباحاً ومساءً، ولا يوجد في يوم القيامة صباح ولا مساءً إنما
الصباح والمساء من خصال الدنيا فماذا عن عذاب الآخرة؟] ويوم القيامة
أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» (غافر ٤٥).
إخوة الإيمان:

لا يستطيع أحد أن ينكر عذاب القبر ونعيمه لأنه ثبت بالأدلة
القرآنية والأحاديث النبوية، ولأجل تبيان هذه الحقيقة العقائدية اسمحوا لي
أن انتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى عصر النبوة، إلى العصر الذهبي للإسلام
إلى الثلة النظيفة المباركة التي اكتحلت عيونها بمراى سيدنا محمد ﷺ فقد
دخلت على السيدة عائشة ؓ عجوزان يهوديتان فقالتا إن أهل القبور
يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم تنعم أن تصدقهما فخرجتا، ودخل عليها
سيدنا رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة
دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: صدقتا، إنهم
يعذبون عذاباً تسمعه البهائم.

لذا لما كان ﷺ مرة في بستان لبني النجار (م) على بغلة له، فحدث
به بغلته عن سيرها فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة فسأل: «من
يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل: أنا. فقال فمتى مات هؤلاء؟
قال: ماتوا في الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن
تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه».

وكان ﷺ يؤكد هذا الأمر في مجالس عدة له ويقول وهو يسمع

أصوات المعذنين (ق): «إن يهود تعذب في قبورها. ولأجل ذلك كان يأمر أصحابه ويقول: تعوذوا من عذاب القبر» (م).

بل إن جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول (م) «إنه ﷺ كان يعلمهم الدعاء التالي كما يعلمهم السورة من القرآن: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات».

معشر السادة الكرام:

هذه الأدلة كلها لتحذر تلك الساعة التي لا بد آتية يوم تكون رهين ظلمة القبر، وعلينا أن نحسب لها الحساب وخصوصاً حديثاً نطق به الصادق المصدوق هذا الحديث يشفي صدور قوم مؤمنين بأهل الكفر، أما المؤمن الصادق فإنه لا يهرب الموت ولا يخاف منه، أتعرفون لماذا؟ لأنه الوسيلة الوحيدة التي سنلتقي بها بسيدنا ﷺ غداً نلقى الأحبة ﷺ وصحبه.

أنا لا أخاف الموت بل هو غايتي

ووسـيـلـتي لتـحـقـق الرـغـبـات

فيه يتاح لي اللقاء وتزدهي

روحـي برؤيـة فائـد القـادات

فما هو هذا الحديث؟

أيها الإخوة الكرام:

مازلت معكم عند الناطق الرسمي عن مولانا رب العالمين، هاهو يقول (ابن أبي شيبة. هـ) «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تيناً

(أكبر الثعابين) تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، ولو أن تيناً منها نفخ على الأرض ما أنبتت خضراء» تسعة وتسعين تيناً، أتدرون لم هذا العدد؟ لأنه كفر بأسماء الله الحسنى وهي تسعة وتسعون.

هذه قضية يجب أن ننتبه إليها عذاب القبر على الكافر والمؤمن العاصي، كالنمام والغيّاب والذي لا يستتر ولا يتحرز من بوله، أمور كان يمكن الابتعاد عنها في الدنيا ماله وللناس ياويله هناك، (ق) «إن سيدنا رسول الله ﷺ مرّ مرة على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير (ليس كبيراً على الناس تركه ولكنه عند الله عظيم): أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة» فالنمام يعذب في قبره قبل الآخرة الغيّاب الذي يغتاب الناس يعدّب في قبره لأن رواية أخرى تقول (خ الأدب المفرد) «أما أحدهما فكان يغتاب الناس»، والذي لا ينتبه أثناء قضاء حاجته فيصيب رذاذ البول ثوبه ويقوم فيصلي فيه بل ورد في حديث آخر (خز) «أكثر عذاب القبر في البول».

فهاتان النجاستان نجاسة البول الحسية ونجاسة الأخلاق المعنوية بالغيبة

والنميمة هما من أكثر أسباب عذاب القبر فرحم الله امرء أكف لسانه

وسوءته كما لا يليق به.

والآخر المعذب هناك صلى صلاة بغير طهور وآخر مرّ على مظلوم فلم ينصره، إنني أقف أمام الحديث التالي وقفة على كل منا أن يقفها.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى النـ
تمام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تـ

هناك أول الانتقام إن لم ينله في الدنيا، فقد ورد في الحديث
(الطحاوي): أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مئة جلدة، فلم يزل
يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة، فضرب فامتلاً قبره عليه ناراً، فلما
ارتفع عنه أفاق فسأل: علام جلدتموني. قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور
ومررت على مظلوم فلم تنصره.

فيأخي المسلم:

اعمل لتلك الساعة وتب من الذنب وأقلع عنه قبل المساءلة الإلهية،
وقد دلنا رسول الله ﷺ عما ينجينا من تلك التبعة. أتدرون ما هو أول منحٍ
منه قولك معتقداً بها لا إله إلا الله. يقول ﷺ (طب - هب): «ليس على
أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا منشرهم، وكأني انظر إلى أهل لا
إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن».

أيها الإخوة:

لكن أمراً عظيماً يستقبل العبد في قبره فينسى فيه نعيم الدنيا الذي كان

فيه ذلك هو ضغطة القبر أي التقاء حافتيه فتضم الأرض بعد سؤال

الملكين المقبور حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو منها أحد ولو صغيراً سواء

كان صالحاً أو طالحاً إلا الأنبياء وسيدتنا فاطمة بنت أسد أم سيدنا

علي التي ربت سيدنا محمداً وآمنت به ونزل رسول الله في قبرها ودعا الله

تعالى لها، وإلا من قرأ سورة الإخلاص في مرضه، ولو نجا من الضغطة

أحد لنجا منها سيدنا سعد بن معاذ، سيدنا سعد وما أدراك من سعد

أحد سادات الأمة الأبرار الذي اهتز عرش الرحمن لموته ومشيت في

جنازته الملائكة سيدنا سعد لما وسد في قبره قال عنه قائد الأمة وكاشف

الغمة لقد ضمن القبر عليه ضمة ثم فرج الله عنه.

فهذا سيدنا سعد بن معاذ الصحابي الجليل تلميذ سيدنا محمد الذي لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى في جنازته ونال الأوسمة الإيمانية في دفاعه عن الإسلام ورغم ذلك ضُمَّ ضمة فما بالك بالمختلسين والظالمين والفاجرين والزناة والمرتشين ياويلهم من الله.

أما نحن — أهل الدرويشية فننتظر الآن توجيهاً نبوياً من هناك في نهاية وقفنا مع عقيدة عذاب القبر، ما هي وصيتك لنا يا رسول الله؟ أوصنا يا حبيب الله.

أيها الإخوة:

اسمعوا معي هذه الوصية من حبيبنا مُحَمَّد ﷺ يقول (الاشبيلي) «من قال كل يوم وليلة مئة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر، واستفتح به الغنى واستقرع به باب الجنة».

هذه الكلمة الجامعة لمعاني الإلهيات هي المنجية من عذاب القبر كلمة

جاءتنا من هناك إلى هنا. وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرّد بالبقاء، وحكم على عباده بالموت والفناء،
وكتب لكل نفس أجلاً لا تجاوزه عند الانقضاء وسوى فيه بين الشريف
والمشروف والأقوياء والضعفاء.

أحمده سبحانه على سوابغ النعم وضوافي الآلاء، حمد معرفٍ بالقصور
عن إدراك أقل مراتب الثناء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص في جميع
الآناء، راجٍ رحمة ربه في الإصباح والإمساء.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أفضل الأنبياء وأكرم الأصفياء،
الداعي إلى سلوك المحجة البيضاء.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله
وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الموت ليس حكماً بالإعدام وإنما هو بداية انتقال إلى دار أخرى، من دار الباطل إلى دار الحق، من دار الفناء إلى دار البقاء، من جوار الخلق إلى رحاب الحق. وبين الدارين عالم يسمى عالم البرزخ، عالم منفرد عن عالم الدنيا لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، عالم عظيم هو أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أهون منه، ويدخل في هذه المرحلة أو هذا العالم جميع العباد صالحهم وطالحهم مطيعهم وعاصيهم.

القبر باب وكل الناس داخله

يأليـت علمي بعد الموت ما الدار

الدار دار نعيم إن عملت بما

يرضي الإله وإن خالفت فالنار

هما يحلان ما للمرء غيرهما

فانظر لنفسك أي الدار تختار

ما للعباد سوى الفردوس إن عملوا

وإن هفوا هفوةً فالرب غفار

فالمؤمن إذا أتته منيته استراح من نصب الدنيا ومتاعها وأحزائها وقد مرت جنازة أمام الحبيب الأعظم (ق) فقال: «مستريح ومستراح منه، قالوا: يارسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب».

إننا مع قضية نعيم القبر في الحلقة السابعة والستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة على الموجات من كتاب مولانا عز وجل ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ (أي المحتضر) مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

أي ولكن لا تحسّون ولا تدركون حياتهم وحالهم في البرزخ، محبوبون عنكم لا يطلّع عليهم إلا من أطلعه الله تعالى.

بهذه الآيات تدل على الأحوال المتفاوتة في البرزخ للمؤمنين، فبعد أن يدخل المؤمن الامتحان الشفهي من قبل الملكين الكريمين منكر ونكير ويسألانه (أحمد) من ربك؟ فيقول ربي الله. ما دينك؟ ديني الإسلام. ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. من أين علمت هذا؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدّقت. مجرّد أن ينجح في الامتحان الشفهي يأتي النداء من قبل مولانا عز وجل: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً من الجنة.

فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره ويستقبله في قبره رجل: حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح يؤنسه في قبره ويبشره بالمغفرة ويقول له: - أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير. فيقول له: أنا عملك الصالح. [اليوم أونس وحشتك وأقل غربتك، وأشهد بك مشاهد القيامة وأدخلك

الجنة].

ويأتي القبر وسورة الملك منه فتشفع له عند مولانا ذلك أنه كان صديقها في الدنيا يتلوها دائماً بالليل والنهار، فيكرمه الله تعالى بتلاوتها هناك في القبر. نعم يتلو القرآن في القبر، «فقد ضرب رجل من الصحابة (ت) خباءه على أرض فيها قبر مندرس، وإذا إنسان في القبر يقرأ سورة الملك، فأتى الصحابي إلى سيدنا رسول الله وقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فقال ﷺ: هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر». فالمرء في قبره يكون صديق عمله أو رهين عمله.

فانظر - يا أخي المسلم - ما عملك؟ كيف هي عبادتك كيف هي صلاتك في الليل وصيامك بالنهار هناك ينفعك عملك الصالح، ولأزيدكم إيضاحاً اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى عصر التابعين إلى عصر سيدنا ثابت البناني التابعي الجليل العابد القائم للقارئ للقرآن الكريم كان من الذين قال الله تعالى فيهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون حتى أتمته منيته وهو على أتم حال وإيمان وحضرت جنازته فلما وصل النعش ليدفن في قبره حدث أمر جلل وعظيم لم نسمع عنه إلا في الأنبياء والمرسلين.

أيها الإخوة:

يروى لنا الإمام أبو نعيم بسنده عن دفن سيدنا ثابتاً البناني فيقول: أدخلت ثابتاً البناني في لحده ومعني فلان وفلان فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا بثابت البناني قائم يصلي في قبره، نعم سيدنا ثابت قائم يصلي في قبره، وهذه كرامة عظيمة له والقاعدة التوحيدية تقول: ما كان

معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، وقد ثبت أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون فقد مرَّ رسول الله على سيدنا موسى وهو قائم يصلي في قبره. نظر الرجل الذي يدفن سيدنا ثابتاً فقال للذي معه ألا تراه. فقال له: اسكت. يقول الراوي ياسادة ياكرام فلما سويينا عليه التراب وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت. قالت: وما رأيتم فأخبرناها. فقالت: كان أبي يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره (يصلي لك في قبره) فأعطنيها. قالت ابنته: فما كان الله ليردّ ذلك الدعاء.

يقول الراوي: حدثني الذين كانوا يمرون بالحصي بالأسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنابات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن.

وهكذا - معشر السادة - يكرم الله أوليائه بكرامات عظيمة في قبورهم بل إن مولانا يكرم أحبابه بتكليمهم في عالم البرزخ وربما جعلهم يرون وجهه الكريم وطبعاً هذا عام لجميع الأنبياء والمرسلين أما غيرهم فهو فضل الله يؤتيه من يشاء. أيها الإخوة:

أنتقل بكم الآن إلى عصر النبوة وبالذات عقيب عزوة أحد، لألتقي مع حضراتكم بالحبيب الأعظم ﷺ ها هو يتفقد الشهداء السبعين من أصحابه وإذا بين شهداء الصحابة سيدنا عبدالله بن حرام والد سيدنا جابر وقف عليه وإذا بسيدنا جابر وعمته بيكيان على سيدنا عبدالله وقد ترك إخوة لسيدنا جابر كلّهم صغاراً، أتدرون ماذا قال سيدنا رسول الله لسيدنا جابر؟ قال (ت): «إن الله تعالى ما كلّهم أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلّ أباك مواجهة بدون حجاب (كفاحاً) وقال له: سلمي أعطك.

قال: أسألك أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية. فقال: إنه سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: أي ربِّ فأبلغ من ورائي. فأنزل الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

ولهذا ورد في الحديث الشريف (الإمام أحمد والإمام الشافعي عن الإمام مالك بسنده) «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه».

ولذا كان ﷺ إذا مرَّ بقبور الصحابة سلَّم عليهم ودعا لهم ولذا تقول السيدة عائشة ؓ أنها سمعت رسول الله (ابن عبد البر) يقول: «ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا أستأنس به حتى يقوم». فإذا استغفر له ودعا له رفع الله درجته عنده، ففي الحديث (أحمد): «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أني لي هذا؟ فيقول باستغفار ولدك لك».

ولهذا فإن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والوالدين في البرزخ، يرون أعمال أولادهم وكيف أحوالهم بعد مماتهم يروي لنا أبو داود الطيالسي بإسناده حديثاً عن سيدنا رسول الله ﷺ يوضح لنا هذه الحقيقة فيقول: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك».

أيها السادة:

لكن أمراً أعظم يحدث لنا الآن ونحن على قيد الحياة، يحدث لنا

هناك في البرزخ، أتعرفون ماهو؟ إنه رسول الله ﷺ يرى كل عمل نعمله هنا في الدنيا، فنحن أمته وهو نبينا ﷺ يقول لنا: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم».

فيأخي المسلم:

عليك أن تعمل أعمالاً عظيمة يفرح بها رسول الله ﷺ ويباهي بها في عالم البرزخ، وأعظم عمل نقدمه لسيدنا رسول الله ﷺ أن نكثر من الصلاة والسلام عليه. فهو القائل لنا (هـ) «أكثرُوا عليَّ من الصلاة كل يوم جمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي عليَّ إلا عُرضت علي صلاته حتى يفرغ منها» يقول أبو الدرداء وبعد الموت قال ﷺ «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» (أحمد - د - حب).

وهكذا - معشر الإخوة - فإن سيدنا رسول الله ﷺ ينتظر منكم الاسبوع القادم أن تُبعثوا له بالهدايا ينتظر منكم أن يباهي بأعمالكم الصالحة عالم البرزخ فماذا أنتم عاملون هنا ليصل إلى هناك، وما أدراك ما هنا. هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المستحق لغاية التحميد المتوحد في كبريائه من غير تكييف
ولا تحديد.

العلي القوي الولي الحمد، المعطي فلا يفنى عطاؤه ولا يبيد المانع فلا
معطي لما منع ولا راد لما يريد.
فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد، وكسر به من
الأكاسرة كل بطل صنديد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هدم بالموت مشيد
الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار الأحرار منهم والعبيد.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلى
البيد المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد المحذر للعصاة من نار
تلظى بدوام الوقيد.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله

وصحبه أجمعين.

كانت حصيلة القضايا الإيمانية السابقة تدلنا على حقيقة الحقائق وهي أن هناك يوماً آخر سوف يمر عليه كل مخلوق مروراً بمرحلة الموت، الموت كما عرّفه أهل الحق ليس غاية ولكنه البداية ما هو بنوم ولكنه يقظة من النوم (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) وعرفوا أن وراء الموت حياة أطول، حياة لا تنتهي، إما أن يكون فيها النعيم المقيم، وإما أن يكون فيها العذاب الأليم.

ولهذا كانت قضية اليوم الآخر من قضايا الاعتقادات الإيمانية، الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يبعث الخلائق بعد موتها، فيجمع الأجزاء المتفرقة ويعيد إليها أرواحها بعد مفارقتها، ويعيدها كما بدأها في يوم هو آخر أيام الدنيا، يوم يقوم الناس من قبورهم، ويقومون بين يدي خالقهم وتقوم الحجة لهم وعليهم.

إنه اليوم الآخر:

واليوم الآخر ثم هول الموقف

حَقٌّ فَخَفَ فِ يَارْحِمِمْ وَاسْعَفِ

إن اليوم الآخر ليدل على أن الناس لم يخلقوا عبثاً ولن يتركوا سدى، إن الذي قدّر حياة هذا الكون لا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ويموتون هملاً، يصلحون أو يفسدون، يعدلون أو يظلمون، يرحمون العباد أو يسرقون أموال العباد يصونون أعراضهم أو يهتكون أعراض العباد ثم يلقون جميعاً مصيراً واحداً. ﴿كَلَّا، إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. ﴿كَلَّا لَنُبَذَّنَ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، كَلَّا إِذَا بَلَغْتَ

التراقي وقيل من راق، وظن أنه الفراق، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق».

إن يوم الفصل كان ميقاتاً، يوم رهيب سَمَّاه القرآن بأكثر من ثلاثئة اسم وصفة يغمر الرعب الحس ولتسمع الآذان الصماء ولترى الأعين العمياء مشاهد النهاية إنها القارعة، إنها الطامة، إنها الصاخة، إنها الغاشية، إنها الحاقة، يوم يقول الإنسان ما لها، وحوله «السماء تمور مورا» ودكت الأرض دكاً دكا الملك يومئذ الحق للرحمن، وكان يوماً على الكافرين عسيراً.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثامنة والستين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة على الموجات العاملة من القرآن الكريم: «أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون». «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه». «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون».

براهين قطعية وأدلة عيانة شاهدة على أن الإعادة حق وأن الله لا يعجزه شيء وأن الإعادة أهونُ عليه. أهون عليه؟ وهل الأمر فيه صعب وفيه هين؟ لا، ولكنه خطاب على حسب مقاييس البشر.

إن البداية أكبر دليل على النهاية مقدمات حَلَقِيَّة يتعلق بعضها ببعض كالسلسلة متى صحَّ بعضها صحَّ كلها فمن أنت - أيها الإنسان -؟

إن الله تعالى يذكرك بأصلك أنت: قطرة ماء، لم يكن فيها لحم ولا دم ولا عظم ولا جلد ولا رُوح ولا شيء من الأعضاء، ثم جمعك على أطوار وقلبك من حالة إلى أخرى حتى أصبحت في أحسن تقويم ثم فرّق الله مجتمعك وأمات محياك، وأخفى ظاهرك وأضعف قوتك حين دسك في التراب، ثم يجمع متفرقك كم جُمع أول مرة ويحيي ميتك كما أحياه أول مرة وأما الكافرون ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾؟ ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾، فالله تعالى لا يعجزه شيء ولهذا قدم رجل إلى نبينا ﷺ يدعى العاص بن وائل فما الذي أقدم هذا الكافر المعاند على حبيب الله؟.

اسمحو لي - معشر الإخوة - أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ، هاهو يقف أمام أحد المتجبرين بمكة وقد أتى بعظم من البطحاء (ابن أبي حاتم) ففتّه بيده ثم قال لسيدنا النبي: أيجيي الله هذه بعدما أرى. ونظر السيد الجليل إلى العاصي ابن وائل ورأى نظرة التكبر والكفر ونكران البعث والنشور فقال له: نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم.

أيها السادة:

لم يكن هذا المشهد مشهداً أرضياً فقط وإنما شاركت فيه السماء، إذ أن رب العزة أرسل الأمين جبريل يطوي الآفاق ويهبط السبع الطباق لينزل بجواب قرآني على الشبهة الفاسدة التي أوردها هذا الكافر المعاند فقال عز من قائل: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل شيء عليم﴾.

إن الذي خلق الإنسان ونقله من العدم إلى الوجود هو القادر على إعادته بعد فناءه، ولهذا أثبت الله لنا عياناً ومشاهدة قدرته على إحياء الموتى.

الآن انتقل بحضراتكم إلى عصر سيدنا موسى عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام، لنرى أمام أعيننا كيف يعيد الله الحياة إلى سبعين ألفاً من الموتى حدثنا عنهم القرآن الكريم فعلى موجات سورة ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مَوْتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي أحد أبطال الأمة وعظمائها في تفسيره العظيم: ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم أهل بلدة من زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فراراً من الموت هاربين إلى البرية فنزلوا وادياً واسعاً فأرسل الله ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، ثم إنهم تفرقت أجزاءهم وتمزقت فلما كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له جزييل، فسأل الله تعالى أن يحييهم على يديه فاستجاب الله دعاءه وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة.

الإخوة الكرام:

هذا مشهد حي من مشاهد الإحياء الكثيرة التي ذكرها مولانا في كتابه الكريم، حجج قاطعة ودلالات دامغة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الله تعالى قادر على إعادة الأموات، ومن الأمثلة القرآنية التي ضربها القرآن نبي من أنبياء بني إسرائيل أماته الله تعالى مئة عام ثم بعثه، إنه سيدنا

العزير الذي اتخذهُ بنو إسرائيل لأجل هذه المعجزة اتخذوه إلهاً ﴿وقالت اليهود عزيزُ ابن الله﴾ فقد مرَّ على بيت المقدس بعدما دخلها يحتضر وخرَّ بها، فما الذي حدث؟

اسمعوا هذه القضية تقررها علينا الموجات القرآنية من سورة البقرة ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ [لم يقل ذلك من باب الاستبعاد والإنكار بل من باب عظمة هذا الحدث فماذا كان جواب رافع السماء بلا عمد] فأَمَاتَهُ اللهُ مئةَ عام [بينما قال في أهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا] فأَمَاتَهُ اللهُ مئةَ عام.. ثم بعثه.. قال: كم لبثت؟ [وكان سيدنا العزيز قد مات ضحى النهار فلما بعثه الله بعد المئة بعثه قبل الغروب، فقال قبل أن ينظر إلى الشمس] يوماً [ثم التفت فرأى أن الشمس لم تغرب فقال] أو بعض يوم. قال [رب العزة والجلال] بل لبثت مئةَ عام [مات مئةَ سنة، ورغم ذلك لم يشب شعره ولم تتغير هيئته بل لم يتغير طعامه وشرابه طيلة مئة سنة ولذا قال له مولانا] فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه [إن الذي حفظ الطعام والشراب من التغيير والفساد على طول السنين هو الذي حفظ العزيز من التغير ومن أن تأكله الأرض، إن القادر المقتدر هو الذي حفظ العزيز من البلى وغيَّر النظام الكوني أتدرون لماذا؟] «لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أما دابة سيدنا العزيز فكان قد فني ونحرت عظامه وتفرقت أوصاله، وأراد مولانا أن يري نبيه عظمة الإحياء بعد الإماتة، أراد أن يجعله عبرة ودليلاً على قدرة الله تعالى على إحياء الأموات فقال عز من قائل [وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها] كيف نرفعها من الأرض ذرة ذرة ونركبها فوق بعضها

ونعيدها كما لما كانت عليه قبل الموت وقبل التمزق [ثم نكسوها لحما] وإذا
بالدابة تقوم حية بإذن الله تعالى، ياعزيز: انظر كيف يحيي الله هذه بعد
موتها [فلما تبين له] ورآه بأَم عينه قال بكل يقين [قال أعلم أن الله على
كل شيء قدير] ﴿١٠٠﴾.

إنها النتيجة الطبيعية بعد أن رأينا بأَم أعيننا كيف يحيي الله الموتى، كيف
سيرد العباد إلى اليوم الآخر، فكيف سيتم ذلك؟ هل يتم هنا على هذه
الأرض، أم سيتم هناك على أرض أخرى هذا ما سأجيب عنه في الجمعة
القادمة بإذن الله تعالى وريثما أنتقل بكم إلى هناك أعود بكم إلى هنا وما
أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحمد لله ثم الحمد لله الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنَهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.
الحمد لله الذي انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء
وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الغناء ثم جعل الموت مخلصاً للأتقياء
وموعداً في حقهم للقاء وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحداً ضيقاً عليهم إلى
يوم الفصل والقضاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الإنعام
بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة.

وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وأشهد
أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا مُحَمَّد عبده
ورسوله وصفيه وخليله ذو المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة والمناقب
الفاخرة صاحب الذرية الطاهرة الذي أَلَفَ الله به بين القلوب المتنافرة.
سيدي أبا القاسم يارسول الله.

البدر دونك في حسن وفي شرف

والسبر دونك في خير وفي كرم

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له

وأنت ياسيدي أحييت أجيالاً من العدم

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آل سيدنا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد وعلى
أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي
رحمتك يأرحم الراحمين وعين فرجنا بحقهم واكشف كربنا بحقهم عاف
مرضانا بحقهم اصرف عنا بلاء الأعداء بحقهم اقض لنا الحاجات بحقهم
وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة:

أيها الأخوة المؤمنون: حديثنا اليوم عن الانقلاب حديثنا عن

انقلاب وثورة انقلاب يقلب الأنظمة ليس فقط نظام الحكم في العالم وإنما
يقبل نظام الكون كله هذا الانقلاب لم يحدث بعد ولكننا معشر المسلمين
نؤمن بحدوثه لا نعلم متى يحدث ولكنه سيحدث في أية لحظة وذلك عندما
يستطيع الإنسان أن يسيطر على الأرض سيطرة كاملة عندما يصل الإنسان
إلى أعلى درجات السيطرة عسكرياً واجتماعياً وسياسياً وإعلامياً... و...
وإلى آخر تلك الواويات في العالم عندما يصبح قادراً أن يطلق صاروخاً من
بلد يعبر ليحطم هدفاً بكل دقة في البلدان الأخرى عندما يحدث حدث في
بقعة ما في العالم فيراه الناس في تلك اللحظة على شاشات الرائي عندما
يتحدث الناس من آخر المحيطات إلى آخر الخليجات بكل سهولة ويسر
عندما يسيطر الإنسان على الأرض القاحلة والصحراء الممتدة فيقلبها

خضراء يانعة معطية للتمر والشجر في تلك اللحظة يحدث الانقلاب وأي
انقلاب الانقلاب الذي ذكره رب العزة والجلال ﴿حتى إذا أخذت الأرض
زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً ونهاراً
فجعلناها حصيداً كأن لم تغن في الأمس﴾.

إننا مع الانقلاب الكوني في الحلقة التاسعة والستين بعد المئة من سلسلة
القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو المؤمنين
جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله

لا إله إلا الله أخلو بها وحدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي لا إله إلا
الله أدخل بها قبري.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز
وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب اندثرت وإذا البحار فجرت وإذا
القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾. ﴿فإذا برق البصر
وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾.
﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً
وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾. ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

أخوة الإيمان: على أشرار الناس تقوم الساعة ذلك أن مولانا عز
وجل يرسل نسمة طيبة رقيقة من هنا من الشام يقبض فيها روح كل مؤمن
اللهم اجعلنا منهم اللهم اجعلنا من المؤمنين حقاً اللهم اجعلنا ممن يرفع رأسه
عالياً بدين الإسلام اللهم اجعلنا ممن يعتز بك لا بالملخوقين.

اجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت

فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

يرسل تلك النسمة فيقبض أرواح المؤمنين ويبقى أشرار الناس في خفة الطير وأحلام الضباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقولون له ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأصنام الموجودة بينهم وعندها تعود عبادة الأصنام وعندها وقيل الساعة يتهارجون تهارج الحمر حتى لا يقال في الأرض الله الله، فعليهم تقوم الساعة حتى إن الرجلين لينشران الثوب ولا يطويانه وإن الرجل ليقدر حوضه فلا يبقى منهم شيئاً أبداً وإن الرجل يجلب ناقته ولا يشرب أبداً فالساعة تقوم والحياة البشرية لا تزال قائمة على الأرض حتى يبدأ النظام الكوني بالانقلاب عند نفخة الفزع هذه النفخة موجهة إلى الأحياء الذين ضلوا عن السبيل ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وعلى موجات سورة ص ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ تملأ هذه الصيحة أسماع الكائنات كلها من جماد وحيوان وإنس وجان تملؤهم رعباً وحلماً وانظر معي إلى الملحدين والكافرين والظالمين والمتجبرين والمنافقين انظر يا أخي إليهم وقد أصابهم الغثيان والدوار من جراء ذلك الدخان دخان يحتاجهم من السماء بكثافة كبيرة حتى يعترفون على الاحتضار والموت ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وعزتك تبنا إليك وجلالك تبنا إليك وترتج الأرض بأهلها تزلزل زلزلاً هائلاً تكون الأرض كالسفينة في البر تطردها الأمواج ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.

خائفة وعلى إثر تلك الرجفة تتحرك الجبال وتتفتت صخورها حتى
تصير كالقطن المنفوش وبغدو الجبل العظيم متداعياً وكثيفاً مهيباً ثم تنسف
الجبال نفساً فتسير كما تسير رمال الصحراء في الهواء فتغدو بعدها شراباً
عندها بعد أن تنسف الجبال تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها
عوجاص ولا أمتى بساطاً واحداً ليس فيه منخفض ولا مرتفع وسجرت
البحار واشتعلت فيها النيران من كل جانب وتفجرت براكين الماء بعد أن
كانت ماءً بارداً صارت ناراً تلظى.

معشر الإخوة الكرام: هذا حال الأرض فما هي حال السماء اللهم
أجرنا اللهم أحسن ختامنا إذا بالشمس يذهب نورها فتبقى كتلة حرارية
فقط وإذا بالنجوم قد تناثرت وسقطت على الأرض.

النجوم النجم الذي قال عنه علماء الفلك إن كل نجم في السماء
يعدل آلاف أضعاف الأرض النجوم تسقط وتفرق إلى أشلاء وتسقط على
الأرض وترجها رجاً عنيفاً أما القمر فقد خسف دره وبقي كتلة حجرية فأين
أولئك الجبابرة والملحدون الذين يرون ويسمعون ويحسون في ذلك اليوم
اسمعوا ماذا يقول الله عنهم ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ
شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تُرَوَّحُنَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ
شَدِيدٌ﴾.

شرار الناس وجبابرتهم يؤخرهم الله إلى الأبد مشهد عنيف ترجف
لهوله القلوب فياغافلاً والموت يطلبه تيقظ انظر إلى الأم الحنون التي تحنو
على وليدها الرضيع ماذا كانت الظروف مريرة وقاسية هاهي اليوم تذهل عن
طفلها الذي هو على ثديها يرضع، مرضعة لم يقل مرضع لأن المرأة هي

المرضع أرضعت أم لم ترضع أما المرضعة فهي التي وضعت ولدها على ثديها ترضعه فتأتيها الساعة فتلقيه على الأرض تذهل كل مرضعة عما أرضعت أما الرجال فانظر إليهم يتبدى السكر في نظراتهم الزاهدة وفي خطواتهم المترنحة على غير هدى هم سكارى ولكن بلا شراب أما الأطفال الأطفال فإنهم يشيبون من شدة ما نزل بهم من حولهم ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ إنه انقلاب كوني هائل يكون كله بعد نفخة الفزع ينفخها سيدنا إسرائيل بالصور وما أدراك ما الصور هو البوق الذي حذرنا منه سيدنا محمد ﷺ.

أيها السادة أيها العبيد: بعد هذه الأحوال ينقذ الله البشرية الكافرة يأمر الله سيدنا إسرافيل أن ينفخ نفخة أخرى هي نفخة البعث الصحوه التي قال عنها مولانا ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وعلى موجات سورة يس ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ موت فظيع بعد فزع وهلع وتنويع يموت فيها جميع الخلق إلا من شاء الله وهم الأنبياء والعلماء وحمة العرش ورؤساء الملائكة والجنة والنار وعلى ما قيل الحور والولدان والله أعلم.

لذا ورد أن سيدنا موسى لا يصعق لأنه صعق من قبل عندما قال مولانا ﴿وخر موسى صعقاً﴾ بل يغشى عليهم ولذلك عبر في البخاري بعبارة تدل على ذلك بقوله «فأكون أو من يفيق» أي من الإغماء وليس من الصعق وهكذا - أيها السادة - نفذ ملك الموت الأوامر الإلهية بإهلاك الملائة العلوي والملائة السفلي ثم جاء يقدم تقريره للحق ﷻ قال يارب مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت فيقول الرب فمن بقي وهو أعلم بمن بقي فيقول ملك الموت يارب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة

العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول مولانا ليمنت جبريل وميكائيل فيقبض جبريل وميكائيل ثم يقول ﷺ ليمنت حملة العرش فيقبض حملة العرش فمن بقي ياملك الموت فيقول يارب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول مولانا أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت ياملك الموت فإذا لم يبق إلا الواحد القهار وكان آخراً كما كان أولاً طوى السماوات والأرض كطي السجل للكتب ونادى ثلاثاً أنا الجبار لمن الملك اليوم نادى مولانا أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجبه أحد فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار وهنا هنا يتحقق قول مولانا ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وبعد أربعين سنة من انتشار الخلق وفنائهم ومن عظم الذنب وهو آخر عظم في السلسلة الظهيرية رأس العصعص إذ ليس شيء للإنسان إلا يبلى إلا عظم الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة من هذه الجرة أو من لا شيء ينبت الإنسان ثانية هناك على أرض جديدة هناك وريثما يحدث هذا الإنبات الإلهي أعود بكم إلى هنا وما أدراك ما هنا هنا مدرسة التوحيد يقول فيها الحبيب الأعظم «البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت» اعمل ما شئت اكتب ما شئت قرر ما شئت فإن الله يحاسبك عليه يوم القيامة هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يملأ قلبه بتوحيد الله.

لا إله إلا الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تدركه الأوهام ولا الظنون، ولا تحويه الأبصار ولا العيون، ولا تناله الآفات ولا المنون ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

أحمده سبحانه وتعالى حمداً يتقرب به المتقربون وينعم به المؤمنون وينال فضله الصالحون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، فبادروا للمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ﴿وَبِدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي العربي الأمين المأمون ينادي ويقول (م): «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مشفع ثم (ت حسن صحيح) أبو ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين».

سيدي أبا القاسم يارسول الله جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، لقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده وصبرت على البلاء وتحملت الضراء:

أَقَمْتُ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ شَرِيعَةً
لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخِيرُ مَلَّةً
لَا سَـوْءَةً فِيهَا وَلَا أَمْرَ
مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفَقْرَ

المصلحون أصابع جمعت يداً	هي أنت بل أنت اليد البيضة
يامن له عز الشفاعة وحده	وهو المنزه ماله شـ
عرش القيامة أنت تحت لوائه	والخوض أنت حياله السـ
يامن له عز الأخلاق ما تهوى العلا	منها وما يتعشق الكـ
زانتك بالخلق العظيم شمائل	يغرى بمن ويولع الكرمـ

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

سنخرج معاً في مسيرة ليست مسيرة التضامن مع أحد من العباد، وليست مسيرة لأي مطلب دنيوي، بل مسيرة حق لا مسيرة نفاق، إنها مسيرة البعث بالقدوم على رب العالمين، تبدأ نقطة انطلاقها حين يرسل مولانا عز وجل من السماء مطراً من تحت العرش، يرسل ما الحيوان (أبو هريرة - وابن عباس): أي ماء الحياة فتنبت الأجسام في القبور كنبات الزرع، يكون ذلك عندما ينادي المنادي وهو سيدنا إسماعيل، ينادي الأموات قائلاً أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة. إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيها مولانا الروح، ثم يلقي عليهم نومة، فينامون في قبورهم ثم إذا نفث بنفخة البعث والنشور خرجوا وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فكيف يتم ذلك؟.

معشر الإخوة:

أجيب عن هذا السؤال مع الدرس السبعين بعد المئة من دروس القضايا
الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعو المؤمنين جميعاً
ليرفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز
وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم، ﴿واستمع يوم يناد المنادي
من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج إنا نحن
نحيي ونميت وإلينا المصير﴾. ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر
خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأثم جراد منتشر مهطعين
(مسرعين) إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾. ﴿إذا وقعت
الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة، فإنما هي زجرة واحدة فإذا
هم بالساهرة﴾.

إخوة الإيمان:

الساهرة هي أرض المحشر، الأرض الجديدة التي استبدلها مولانا عز
وجل بأرض الدنيا، سميت بذلك لسعة أطرافها، وتباعد أكنافها وشدة
مخاوفها، فلذا كان شأن من حل فيها أن يكون ساهراً لا ينام، لشدة الفزع
والخوف إلا من أتمه الله ورحمه. هذه الأرض الجديدة ورد في مدرسة البخاري
ومسلم صفتها فاسمحو لي أن أزور مع حضراتكم هذا النبي الكريم فنسمع
منه اليوم أولى التوجيهات التي علينا أن ننتبه لها، ذلك لأن قضية البعث هي
من قضايا الاعتقادية الهامة، ومنكره كافر ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا
قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ (التغابن ٧).

فما صفة هذه الأرض الجديدة، أولاً أرسلوا تحيتكم إلى الشافع
المشفع، يقول ﷺ (ق): «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء

عفراء كقرصة النقي (الدقيق النقي) ليس فيها علم لأحد». ليس فيها معلم لأحد، لا أمير ولا وزير ولا سلطان ولا ملك، لا خدم ولا حشم أرض جديدة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط (ابن مسعود). وما أن يخرج أهل الإلحاد والمكذبون بيوم الدين حتى يقولوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول لهم المؤمنون بلسان طلق وإيمان ويقين هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. وتحيط الملائكة بأرض المحشر ﴿يوم تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾.

فالملائكة تحيط بهؤلاء المبعوثين ﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾.

هذا عن الأرض الجديدة فماذا عن هيئة أهل المحشر في أي لباس يخرجون؟ هل يخرجون بلباسهم الذي كانوا يرتدونه أثناء حفلاتهم في المجتمع، أم يخرجون بأكفانهم التي دفنوا فيها؟ أتدرون أيها الإخوة كيف يحشر الناس يومئذ، يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُزلاً، ﴿كما بدأكم تعودون﴾، نعم عراة، ولكن لا يستطيع أحد أن ينظر إلى أحد من هول ذلك اليوم ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ فمن هو أول من يكسى يوم القيامة؟ إنه سيدنا إبراهيم الخليل، أتعرفون لماذا؟ لأنه كان أول من كسى الفقراء، وأول من عُرِيَ في ذات الله حين ألقى في النار، فلماذا لا يكون أو من يكسى سيدنا مُحَمَّدٌ لماذا؟ لأن رسول الله يحشر يوم القيامة بثيابه التي دفن فيها، فقد حار الصحابة أن يغسلوا نبينا بثيابه أم ماذا؟ أيجردونه من ثيابه أم يغسلونه بها، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ثم كلمهم مكلم من جهة البيت لا يدرون من هو، قائلاً: غسلوا رسول الله بثيابه، فقاموا جميعاً

فغسلوه بثيابه ثم جيء بثلاثة أثواب بيض (م) فكفن فيها ﷺ.

فما هو حال المؤمنين من أمة سيدنا محمد ﷺ أريدكم اليوم أن تسعدوا لأننا من أتباع هذا النبي صدقوني - أيها الإخوة - أما عطيتم بعد التوحيد أعظم من انتسابكم لهذا النبي ﷺ فاسمحوا لي أن أذيع على حضراتكم هذه الأنباء من مدرستي البخاري ومسلم بعد أن تصلوا على النبي.

انظروا إلى أهل الإيمان وقد خرجوا من قبورهم ينفضون عنهم التراب، واسمعوا إلى المدرس في هاتين المدرستين وهو سيدنا أبو هريرة يقول عن حبيبنا النبي ﷺ: «أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره، وحين يخرج من قبره، يا محمد لو تراه حين يمرقون من قبورهم ينفضون رؤوسهم، هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فتبيض وجوههم، وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فتسود وجوههم».

فأهل الإيمان عند الحشر في أتم عافية، بل إن مولانا جعل لهم وفداً يستقبلهم عند خروجهم من قبورهم نرى ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يقول سيدنا ثابت البناني في هذه الآية (أبو نعيم في التذكرة): بلغنا أن العبد حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعده. قال: فآمن الله خوفه وأقر الله عينه.

وتجهيز الركائب والسيارات الأخروية لأهل الإيمان، منهم من يركب بمفرده، ومنهم من يردف خلفه حبيباً أو عزيزاً له، ومنهم الثلاثة والأربعة يتناولون الركوب على مركوب واحد، كل على قدر منزلته وإيمانه.

أيها السادة:

مازلت أنقل لكم هذه الأنباء من مدرسة الإمامين البخاري ومسلم التي يقول فيها الصادق المصدوق «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق. راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتَحْشُرُ بقيتهم النار».

وهكذا يحشر المؤمنون راكبين يعرفون بنورهم الذي يشع بين أيديهم فهم يسيرون في عزة وكرامة ونور في يوم الخزي والمهانة والانكسار ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ (التحريم ٨).

فإلى أين يحشر أهل الإيمان؟

إخوة الإيمان:

ارفعوا رؤوسكم عالياً بانتسابكم إلى الإسلام، إلى أين محشركم يا أمة محمد ﷺ اسمعوا إلى النتيجة العظمى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ إلى الله، إلى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

فهاهو قائدنا الأعظم ورائدنا الأول وسيدنا الأكرم سيدنا محمد يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه».

والله ما لنا عذر عند الله ألا نكون من صنف واحد من تلك الأصناف بل ورد في روايات أخرى مع هذه الأصناف الوقافون عند الحق

(أحمد) ومن أنظر معسراً (ت - طب) ومن يصل رحمه وامرأة حسبت نفسها على أولادها اليتامى (ت)، ومن راقب الله تعالى أينما كان، وحملته القرآن، وإطعام الجائع، وغيرهم من أهل الإيمان في كل عرش الله تعالى يوم القيامة المهم أن جميعهم من أهل لا إله إلا الله، أتدرون ما يقول (الديلمي عن أنس): «قربوا أهل لا إله إلا الله في ظل عرشي فأني أحبهم» الله أكبر طوبى لأهل لا إله إلا الله.

فمن كان يريد أن يكون معهم هناك فعليه أن يكون معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتوحد بجلال البهاء المنفرد بدوام البقاء المتعالي عن الزوال

والفناء، المقدس عن الآباء والأبناء المتردّي برداء العظمة والكبرياء الذي جل
عن الابتداء والانتهاى، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو السميع الذي لا
تشبته عليه الأصوات المختلفة في الدعاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في الأرض ولا في السماء الذي تعالى عن الأضداد والأنداد والقرناء
وجلّ عن صاحبة الأولاد والشركاء.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي المفضل والرسول المبجل
صاحب الوصف الأكمل والقدّ الأعدل:

لأحمد فضل لا يحد ولا يحصى

ومن شأنه بين الورى أبداً يقصى

هو القرشي الهاشمي الذي سرى

من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى

نبي دنا من قاب قوسين مذ دنا

فسبحان من وصى إليه بما وصى

عليه صلاة لا انتهاء لوصفها

من الله ربّي لا تحدد ولا تحصي

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أتابع مع حضراتكم اليوم مسيرة البعث، فقد وقفت معكم قبل
جمعتين عند مسيرة أهل الإيمان عند بعثهم من قبورهم، لكن المسيرة اليوم

مسيرة طائفة الكفرة والفجرة والظلمة، الذين يبعثون من قبورهم لا يصدقون أنفسهم وأيقنوا أن حياتهم التي عاشوها بالطول والعرض كانت سريعة وخاطفة وتافهة، وأنها لم تترك في نفوسهم من أثر إلا ما تتركه ساعة من نهار، فما أقصر هذه الحياة التي لا تساوي في الآخرة إلا ساعة واحدة ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ (الروم ٥٥) وبعضهم يظن أنها أكثر بقليل فعلى موجات سورة طه (١٠٣ - ١٠٤) ﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً﴾ عشرة أيام، لا بل بلغ الأمر بالعقلاء منهم أن قالوا ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾. إنها لخسارة فادحة لهؤلاء الظالمين وإنها لمدة قصيرة جداً، فمتاع الدنيا قليل زائل لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

فكيف يحشر هؤلاء يوم القيامة؟

وأجيب سريعاً عن هذا السؤال مع الحلقة الواحدة والسبعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي طه والإسراء: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه ١٢٤ - ١٢٦). ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾ (الإسراء ٩٧).

إنه جزاء من نفس العمل، أعرضوا عن ذكره وعبادته في حياتهم الدنيا وعطلوا جوارحهم عن الإيمان به سبحانه وتعالى، فجعلوا عقولهم لا تفقه

الحكم، وكانت آذانهم لا تسمع الحق وعيونهم لا تبصر الحقيقة وألسنتهم لا تقول إلا الباطل، فانظر - يا أخي المسلم - ماذا فعل الله بهم في هذا اليوم العسير، إنه مشهد مذل مهين: حشر على الوجوه، منتهى الإهانة والتحقير. إخوة الإيمان:

ولأن الأمر بهذه الأهمية اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية إلى سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا محمد:

أنت الذي لما رفعت إلى السما
بك قد سمت وتزينت لس
أنت الذي ناداك ربك مرحباً
ولقد دعاك لقربه وحب
ماذا يقول المادحون وما عسى
أن تجمع الكتاب من معن
صلى عليك الله يا علم الهدى
ما اشتاق مشتاق إلى مش

يقول ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة وصنفاً راكبين، وصنفاً على وجوههم قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (ت)» بل في رواية (ن) «إن الملائكة تسحبهم على وجوههم» لأنهم كانوا متعالين مستكبرين معرضين عن الحق إنه مشهد يذل الكبرياء ويزلزل العناد ويهز الكيان «الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً».

هذا إنذار، النبي يحذرنا، يحذر الظالمين والمعاندين ويحذرننا عن كيفية حشرهم وخروجهم من قبورهم إلى أرض المحشر، بل اسمعوا إلى هذه الهيئة المنكرة في الحشر يقول الصادق المصدوق (بز) «يبعث الله يوم القيامة ناساً في صورة الذر، يطوهم الناس بأقدامهم. فيقال: ما بال هؤلاء في صورة

الذر فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا» طائفة المتكبرين، فما هي أحوال أهل الكبائر من هذه الأمة الذين أسأؤوا ولم يتوبوا إلى الله تعالى؟
أيها الإخوة الكرام:

مازلنا عند الحبيب الأعظم يقول لنا (م) «يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدّل صورهم: فمنهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليهم، وبعضهم يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يعضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعباً يقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جزوع من النار، وبعضهم أشد تنناً من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابعة من القطران».

وراح رسول الإنسانية الأعظم يبكي وهو يعدد هذه الأصناف، ويصورهم صور رهيبة مفزعة مخيفة وكيف لا يبكي وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وكيف لا يبكي وأمته تفضح أمام الخلائق يوم القيامة. فماذا فعل هؤلاء حتى استحقوا هذا العقاب؟
أيها السادة:

مازالت هذه الأنباء تأتيكم من مدرسة الإمام مسلم يقول ﷺ: «أما الذين هم على صورة القردة: فالقتات بين الناس (النمام الذي يوقع بين الناس) وأما الذين على صورة الخنازير: فأهل السحت والحرام والمكس (أي أهل الضرائب الذين يجمعون الضرائب) والمنكسون رؤوسهم ووجوههم: فأكلة الربا، والعمي: من يحور في الحكم أي الظلمة والمتجبرون في الحكم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى، والصم

والبكم: الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمتصغون ألسنتهم: العلماء والقضاء الذين يخالف قوْلهم فعلهم.

المقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران والمصلوبون على جزوع من نار: فالسعاة بين الناس إلى السلطان.

والذين أشد ننتأ من الجيف: فالذين يتمتعون بالشهوات والملذات ويمنعون حق الله من أموالهم، والذين يلبسون الجلايب من القطران: فأهل الكبر والفخر والخيلاء».

إنها صورة تقشعر من هولها الأبدان، وخصوصاً إذا علمنا أنهم يمشون في ظلام دامس، ظلام الكفر وظلام القيامة وياليتهم يمشون منفردين، بل عليهم أثقال وأوزار وأحمال، يمشون على وجوههم وهم كالدواب المحملة، كما ورد على موجات سورة الأنعام ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾، وعلى موجات سورة طه ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرى، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا، خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ إنهم لا يحملون أثقالهم فقط بل وأوزار الذين أضلوهم في الدنيا، فعلى موجات سورة النحل ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم، ألا ساء ما يزرون﴾.

دواب مثقلة كلما توقفت دفعها سائق من خلفها سائق يلهب ظهورها بالسوط.

معشر الإخوة الكرام:

أنقل لكم الأنباء التالية من مدرسة البخاري ومسلم يقول فيها ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم

النار، النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا».

إنها النار إذاً تسوقهم وتلازمهم ولا تفتر عنهم لحظة واحدة، ولا شك أن هؤلاء هم أصحاب الوجوه التي يسودها الله تعالى، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، أو تصبح زرقاء قاتمة وكأنها سوداء مظلمة ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾.

إن من يقرأ أخبار هذا اليوم على صفحات القرآن الكريم هزته أخباره هزاً عنيفاً وملاًته بالخوف والكآبة جحافل الخلائق في زحام شديد وهول مريب من كل جنس ولون ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾ وكسيت الشمس حر عشر سنين وأدנית من رؤوس الخلائق (طب صحيح) ولا ظل إلا ظل عرش الرحمن ففي الحديث (ق) «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم قدر ميل»، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس قد صهرته بحرهما واشتد كربه وقلقه من وهجها، وتضايقت واختلفت الأقدام، وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق ففاض العرق منهم سائلاً، لا يعرف منه مفراً ولا مهرباً واسمع معي إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ (ق) يقول: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق منهم من يكون إلى كعبيه ومنهم إلى ركبتيه ومنهم إلى خصره ومنهم من يصل العرق إلى فمه (م - ت) حتى إن الرجل ليقول يارب أرحني ولو إلى النار» (طب - حب - يعلى).

هناك يندم العبد حيث لا ينفع الندم ويوم يعرض الظالم على يديه يقول
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً.
معشر الإخوة:

وهكذا نقلت لكم الأنباء الأخروية لأفواج الكافرين والمعاندين فيلى أين
يهرس الناس يوم القيامة، إلى من يتوسلون ليعجل الله لهم القضاء كما
ينتظرون ريثما يُفصل القضاء.
أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.
هنا مدرسة التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة.

اجتمع مع حضراتكم اليوم في صعيد واحد، صعيد يجمع الله فيه
الأولين والآخرين، يسمعهم المنادي، وينفذهم المطر، اجتمع مع حضراتكم
اليوم في يوم الحقيقة، يوم تُكشف فيه الأستار عمّ انطوت عليه الضمائر في

الدنيا، وإفشاء الأشرار كما يقولون أقسى على النفس من العقاب، وتشدد
الفضيحة على النفس كلما ازداد إحساسها بالمصير الذي ينتظره وخاصة
نحو نرى على البعد جهنم تساق إلى أرض المحشر بسبعين ألف زمام مع
زمام سبعون ألف ملك، تشدُّ إلى أرض المحشر.

واسمع معي يا أخي المسلم أصوات تضرع الخلائق وهم يجأرون يارب،
يارب، يتضرعون إليه ليرحمهم من هذا الانتظار الرهيب، الذي بلغ خمسين
ألف سنة وهم ينتظرون فصل الحساب، يمضيها الله على المؤمن وكأنها صلاة
ركعتين خفيفتين، أما أعداء الله الكفرة الملحدون والمتجبرين وأحزاب
الشياطين فقد بلغ بهم الخوف والهلع ما لا يطيقون، وهنا يلجأ الناس إلى
الأنبياء والرسل يتوسلون بهم كي يشفعوا لهم عند الله سبحانه، والشفاعة -
أيها السادة - هي السؤال بالتجاوز عن الذنوب والآثام الشفيع يضم صوته
بالطلب إلى صوت طالب الحاجة معونة له على تحصيل مرغوبه، والشفاعة
لا ترد من قدر الله شيئاً، إنما هي مظهر تكريم الشافعين، بإجراء الإحسان
على أيديهم، لمن أراد الله الإحسان إليه، لكنها لا تكون مقبولة إلا بشروط
وضعتها القواعد القرآنية، أول تلك الشروط:

أن يكون الشافع مقبولاً مرضياً عنه ومأذوناً له في ذلك هذا الشرط
ذكر في سورة طه يقول عزّ من قائل ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ
لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

والشرط الثاني: إسلام المشفوع له، لا بد أن يكون المشفوع له مؤحداً،
أما المنافقون والملاحدة والظلمة فلا شفعة لهم يوم القيامة، بل يكون ذلك
عليهم يوم الحزبي والندامة يقول تعالى في سورة غافر ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ
إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

لا شفاعَة للظالمين ولا للكافرين محسوبة في الإسلام إلا للموحدين، يقول
حبيبنا رسول الله ﷺ أتاني آتٍ من عند ربي عز وجل، أتاه خبرٌ من عند
الحق عز وجل، فخيرني بن أن يدخل نصف أتي الجنة وبين الشفاعَة قال:
فاخترت الشفاعَة وهي: لمن مات لا يشرك بالله شيئاً.

الشرط الثالث من شروط الشفاعَة لتكون مقبولة أن يكون المشفوع
له ممن يصلّي على سيدنا محمد ﷺ، وفي مدرسة البخاري «من قال حين
يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا
ﷺ الوسيلة والفضيلة، وابعته مقاماً محموداً الذي وعدته، من قال هذه
العبارات حين يسمع نداء للأذان حلت له شفاعتي يوم القيامة» وعند
الطبراني «من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته
شفاعتي يوم القيامة».

والشرط الرابع الرضا عن المشفوع له، فلا يمكن أن يشفع أحدٌ لأحد
ما لم يرضى عنه الجبار ﷻ قال تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ / النجم: /
وفي سورة الأنبياء ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ - اللهم ارضى عنا -
والشفاعَة لا تخرج من جملتها عن كونها نوعاً من رحمة الله، فلا تظنّ - أيها
المسلم - أنه بإسلامك قد ضمنت الشفاعَة، أو أنه حق مكتسب لك
بإسلامك، لا، بل هي رحمة الله التي وسعت كل شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
إننا في الحقيقة مع قضية الشفاعَة في قول ناظم العقيدة:

وواجب شفاعَة المشفوع

محمدٍ مقدماً لا تمنى

وغيره من مرتضى الأخيار يشفع كما قد جاء في الأخ

فما هو الشرط الأساسي للشفاعة، مَنْ هو الذي يشفع له سيدنا رسول الله ﷺ يوم القيامة لقد سأل هذا السؤال «سيدنا أبو هريرة، قال: يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال: لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا السؤال أول منك، لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله».

الناس الآن في الموقف العظيم أشد كرههم وبدأوا بالتحرك نحو الأنبياء طلباً للشفاعة انطلقوا بنا إلى أبينا آدم أبي البشر الذي كان سبب وجودنا في هذه الحياة فليشفع لنا عند ربنا عز وجل فليقضي بيننا عندما يبدأ الحساب والحساب لم يبدأ والناس واقفون خمسين ألف سنة فيأتون إلى سيدنا آدم يقولون يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك الملائكة ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا أشفع لنا إلى ربنا فيقول اني لست هناكم إني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي إن ربي (قد غضب اليوم غضب لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله) لقد نهاني عن أكل الشجرة قد عصيته فيقول نفسي نفسي اذهب إلى نوح فيأتون إلى سيدنا نوح فيقولون أنت أول الرسل إلى الأرض ولقد سماك الله عبداً شكوراً أشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه (فيقول كما قال سيدنا آدم) فلقد دعوت على قوم فيقول نفسي نفسي اذهب إلى ابراهيم فيأتون سيدنا ابراهيم فيقول كما قالوا لسيدنا آدم فيقول اني لست هناكم إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات عندما كان يجادل فيهن عن دين الإسلام (عندما دعوه قومه ٢- عندما اتهم كير الأصنام. ٣- عند الملك النمرود ويقول كما قال سيدنا آدم لكن يقول موسى قد اصطفاه الله بكلامه

ورسالته ياموسى أنت فيقول الناس القول الأول اني نفس قلت نفس بغير
نفس لكن اذهب إلى عيسى روح الله وكلمته فيقولون له بمعجزاته اني اخذت
لها من غير الله ولكن أرايتم ان كان متاع في وعاء هذا الوعاء بمعجزاته محتوم
أيقدر أكان يقدر على ما في جوفه حتى يغض الخاتم يقولون لها فيقول ان
مُحَمَّد خاتم النبيين وقد حضر اليوم قد غفر ما تقدم وتأخر من ذنبه فيقول
رسول الله ﷺ فيأتوني فيأتون إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ فيقولون يا مُحَمَّد أشفع لنا عند
ربك فليقضي بيننا فيقول أتدرون ما يقول أنا لها أنا لها فأتي باب الجنة
فأخذ حلقة الباب فاستفتح فيقال من أنت فأقول مُحَمَّد ﷺ فيقال بك أمرت
لا أفتح لأحدًا قبلك فأخر ساجداص لربي فاحمده بمحامد لم يحمده أحدًا
بها من بعدي فيقال له يا حبيب أرفع رأسك أسأل تعطى أشفع تشفع فيقول
ربي أمتي أمتي وهنا يأتي النداء أين أمة مُحَمَّد فيقال رسول الله فنحن الآخرون
الأولون وأول من يحسب فتفرج الأمم عن طريقنا وتعرف أمة مُحَمَّد بأثر
الوضوء عندما كان يتوضئ في الدنيا فينادي الجبار فيقول مُحَمَّد ادخل أمتك
من لا حساب عليهم من باب الجنة الإيمان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما
يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد المكرم لمن خافه واتقاه
بدار لهم فيها من كل خير مزيد.

فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد
وغوي ورشيد من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام
للعبيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفو له ولا عدل ولا
ضدَّ ولا نديد.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت
البيد الداعي إلى التوحيد الساعي بالنصح للقريب والبعيد المحذر للعصاة من
نار تلظى بدوام الوقيد المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد.

ما نال فخر النبي المصطفى أحد
من الأنام له البرهان والحِجْجُ
ماذا أقول بوصفي في الرسول وقد
أثنى عليه إله واحد حك
صلى عليه إله العرش ما طلعت
شمس وما لاح ثغر البرق يتنب

أُمْتُلُ اليوم مع حضراتكم في ساحة المحكمة الربانية والناس جميعاً في
موقف الاتهام، والدفاع والشهود حاضرون لأداء الشهادة بالحق. إنه يوم
العرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ قضاء يشمل كل
المخلوقات من إنس وجان وطير وحيوان، نعم حتى الحيوان وفي ذلك يقول
نبينا ﷺ «لَتُؤَدَّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء
من القرناء» (م - ت).

وهذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة والقضاء بينها ألم يقل مولانا
عز وجل ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ حتى إذا فرغ من القضاء بين الحيوانات
وغيرها ونفذ فيها أمره ومشئته يقول لها كوني تراباً، ولهذا يتمنى الكافر أن لو
كان حيواناً ليصير إلى التراب ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ (النبا ٤٠) رعب يحتاج القلوب وهلع وصل إلى
الحناجر ينتظرون جلسة القضاء، ويكثر الجدل وتعرض المعاذير لكن ذلك
لا يجدي شيئاً أمام الحقيقة الكاملة فإن محاضر التحقيقات قد سجلت بدقة

وعدالة كل شيء ﴿وكل شيء مغلوله في الزبر وكل صغير وكبير مستطر﴾
(القمر ٥٢ - ٥٣) وعلى موجات سورة الكهف ٤٩ ﴿ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك
أحداً﴾.

لا يظن أحد أن محاكم الآخرة كمحاكم الدنيا، يستطيع فيها المتهم
دفع الرشاوي للقضاة وشهود الزور ليغير الأحكام لصالحه، لا بل محاكم
الآخرة قاضيه رب العالمين وعدالتها مطلقة لا حد لها، وبيناتها شهادات
الأنبياء والملائكة واعترافات المذنبين وشهادات الأعضاء، يأتي العبد يوم
القيامة فيقول (م): «يارب ألم تجري من الظلم فيقول مولانا بلى، فيقول:
إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم
عليك حسيباً، والكرام الكاتبين شهوداً. قال فنختم على فيه، ويقول
لأركانه (لأعضائه) انطقي، فتنتطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام.
فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل».

وصدق الله العظيم ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ (النحل
١١١) يقول ﷺ (م): «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما
عرضتان فجداًل ومعاذير، وأما العرضة الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف
في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله».

إننا - معشر السادة - مع قضية الحساب والميزان في الحلقة الثالثة
والسبعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع
بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز

وجل على موجات سورتي الزمر والأنعام ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾. ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ﴾. هو وحده يحكم، هو وحده يحاسب وهو لا يبطئ في الحكم ولا
يمهل في الجزاء، وقد وضع لنا قاعدة هامة أخبرنا عنها في قضية الحساب
فقال ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
أيها السادة الكرام:

ويبدأ الحساب بالعدل والقسط فيأمر مولانا باحضار النبيين وتكون
محكمة كل أمة وفق شريعتها وبحضر نبيها ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ
تَدْعِي إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ هذه هي عدالة الحق عز وجل أن يوقف الرسل والأنبياء
أمام أمهم في موقف الاستجواب والشهادة، يسألهم هل بلغتم رسالاتي وما
أُجبتكم؟ اسمعوا هذه القضية تصرح بها الآيات القرآنية على موجات سورة
المائدة ١٠٩: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ: مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

ويدعى سيدنا نوح (خ - أحمد) فيقال له: هل بلغت فيقول: نعم،
فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير، وما أتانا من
أحد، فيقال لسيدنا نوح: من يشهد لك فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ.

وصدق الله العظيم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي أننا نشهد بالبلاغ للأنبياء
ثم يشهد علينا نبينا ﷺ.

كل هذا الاستجواب على مشهد من الملاء، فالجلسة علنية للمحكمة

الربانية.

ويتم استجواب أصناف الخلائق هؤلاء الذين عبدوا سيدنا عيسى،
وهؤلاء الذين عبدوا العزيز، وهؤلاء الذين يعبدون الجن وهؤلاء الذين يعبدون
الملائكة، وهؤلاء الذين عبدوا الملوك والحكام وهناك تستقط الألوهيات
المزعومة وتمحى الزعامات الباطلة المكذوبة، وتنقسم عرى الأحزاب
الشیطانية: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

وتتطير الصحف فأخذ كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين ﴿فأما
من أوتي كتابه بيمينه فسوق يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله
مسروراً وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما
حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾.
﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه وصاحبه وأخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلا إنما لظى﴾ (المعارج).

ويقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً (م): (لو كانت لك الدنيا
كلها أكنت مفتدياً بها، فيقول نعم فيقول أردت منك أيسر من ذلك وأنت
في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت
إلا الشرك). ﴿أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾
(الرعد ١٨).

فيقول العبد يارب لم لم تحضر لي إنذاراً بحضور الجلسة فيقول له
مولانا: لقد أذرتك بحضورها وكنت تتلوه في كل يوم سبع عشرة مرة مالك
يوم الدين وأنا المالك.

يارب من أوصل لي الإنذار فيقول مولانا ﴿لقد جاءكم رسول من

أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴿.

يارب اسمح لي بإحضار الشهود فيقول مولانا: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ يارب سادفع كفالة مالية أو وجاهية فيقول مولانا ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ يارب سأستأنف الحكم فيقول مولانا: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾.

أما المؤمن، وما أدراك ما المؤمن، يدينه مولانا حتى يضع عليه كنفه (فلا يسمع أحد محاسبته) فيقرره بذنوبه، أتذكر ذنب كذا وكذا، أعترف ذنب كذا وكذا فيقول: أعرف يارب، أعرف يارب. ويقر بذنوبه كلها ثم يقول مولانا: عبدي سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» (ق).

وآخر يوقفه الله يوم القيامة ليحاسبه على رؤوس الخلائق يوم القيامة فَيَنْشُرْ له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول لا يارب، فيقول: الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة كالألملة، فيقول احضر وزنك، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع السجلات (٩٩ سجل ضخمة) فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فتخرج كفة البطاقة فيسأل يارب ما هذه البطاقة؟ فإذا فيها لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله (ق) لا يثقل مع اسم الله شيء لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله كلمة اعتقدناها وصدقنا بها ونبيع أرواحنا لأجلها هي حياتنا فمن أراد أن يكون هناك فليبق معنا هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت المجازي لها بما عملت،
المحصي عليها ما قدمت وأخرت.

ملكٌ ذلت لعزته الرقاب وخضعت، وهابت لسطوته الصعاب
وخشعت وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت، كريمٌ تعلقت برحمته
قلوب الراجين فطمعت بصيرٌ بعباده يعلم ما كنت الصدور وأودعت أحمدته
سبحانه وتعالى على نعم توالى علينا واتسعت.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ينادي ويقول: «أنا الديان، أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل النار
أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي
لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى
أقصه منه».

أيها الموحدون من العزيز من القادر من المقتدر من القهار من الجبار
من الرافع من الخافض من المحيي من المميت من المعز من المذل من الباعث
من الوارث من الواحد لا إله إلا الله.

وأشهد أن مُحمّداً رسول الله في كلمات يشع منها نور النبوة يقول لأبي
ذر «يأبأ ذر جدد السفينة في البحر عميق، وأكثر الزاد في الفرس
طويل، وأخلص العمل في الناقد بصير، وخفف الحمل في العقبة
كؤود» كلمات بليغات موجزات منيرات مشرقات مضيئات متألقات
متألقات لأنها من كلام سيد البلغاء وأعقل العقلاء سيد من مشى تحت أديم
السماء سيدي أبا القاسم يارسول الله:

الحق أنت وأنت إشراق الهدى

ولكن الكتاب الخالد الصفحات

من يقصد الدنيا بغيرك يلقها

تيهاً من الأهوال والظلمات

لو شرق القوم الكبار وغربوا فإليك حتماً منتهى الخطوات ضلت
عيونهم برغم نبوغهم وتعرضوا لمهالك الخطرات وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا
يتشدقون بأتفه الكلمات لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا ما غير دينك سلم
لنجاتي صل عليك الله ياعلم الهدى صلى عليك الله ربي وسلما.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله

وصحبه أجمعين.

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول الصحف التي سجلها الملكان

علينا في الدنيا، هذه الملفات تكون مطوية مخفية سرّاً لا يدري به الخلق، فإن

تاب العبد من ذنوبه المدونة فيها التوبة الصادقة محيت منها، وإلا بقيت فيها، فإذا حل يوم الحساب نشرت وأعلنت، كنتائج الامتحانات، تكون سرّاً عن الفاحصين فلا يعلم برسوب الراسب سواهم، فإذا جاء وقت إعلانها عرف بذلك الناس وافتضح الراسب في أهله وبين إخوانه، ولكن الفضيحة هنا على رؤوس الخلائق جميعاً وهي الفضيحة الكبرى، والراسب في امتحان الدنيا يسقط في صفه ويخسر سنة من عمره والراسب هنا يسقط في جهنم ويخسر ان كان كافراً سعادة الأبد.

كانوا يختبئون في الدنيا ليأتوا بالفواحش، ولكن الله يفضحهم يوم القيامة ويقول لهم ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ وكيف يفر المرء من جلده وبصره وسمعه وهو معه قائم به، فاعلم يا أخي المسلم أن الله سينطقها غداً لتشهد عليك ﴿وقالوا جلودهم لم تشهدتم علينا قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾.

لن يستطيع أحد أن يختفي بذنبيه من الله، والله مطلع عليه وأعضاؤه التي يمارس بها الذنوب ستشهد عليه، فكيف ستتوارى من شاهد هو ملك لا يستطيع أن يفارقك (الله ألهنا العمل بكتابك واستر علينا في الآخرة كما سترت علينا في الدنيا وأنت الغفار الستار).

إننا - معشر السادة - مع قضية الحساب والميزان في الحلقة الرابعة والسبعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي الأنبياء والزلزلة. ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها

وكفى بنا حاسبين ﴿ (الأنبياء - ٤٧) ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

إخوة الإيمان:

يضع مولانا الموازين يوم القيامة لوزن الأعمال أو الصحف فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار، فإن استوت حسناته وسيئاته وقف على الأعراف بين الجنة والنار حتى يقضى فيه.

والحسنة ما يمدح فاعلها عليها شرعاً، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبه عند رؤيتها في ميزان حسناته، ومن رحمة الله عز وجل بنا أنه سيحاسبنا عن كل صغيرة وكبيرة ليقيم الحجة علينا، لأن شعار يوم القيامة ﴿لا ظلم اليوم﴾. وفي هذا يقول الصادق المصدوق ﷺ «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه».

أيها الإخوة:

اسمحوا لي لأوضح هذه النقاط جميعاً أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى من كان الصدق حليفه، والطاعة حسبه والجهاد خلقه، إلى من جعلت قرة عينه في الصلاة إلى حبيب القلوب سيدنا محمد ﷺ هاهو يقرر على أصحابه عدداً من القضايا الإيمانية خاصة بهذا اليوم العصيب حيث يقول:

«تمثلت روحا عبد من عباد الله بين يدي الله فقال رب العزة لأحدهما عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه فقال العبد يارب لم أنفق منه شيئاً خشية الفقر على أولادي فقال له مولانا: يا عبدي ألم تعلم بأنني أنا الرزاق ذو القوة المتين، إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم.

وقال للثاني أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه. فقال يارب أنفقتك على كل محتاج لثقتي فيك أنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين فيقول له مولانا: يا عبدي أنا الحافظ لأودك من بعدك».

أما أولئك الذين قتلوا وظلموا وسفكوا الدماء الحرام والذين يحملون شهادة مسلم بالهوية فقط رغم أن نبينا وضح مفهوم المسلم فقال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» فهذا يأتي يوم القيامة «أعماله كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه». هذا هو المفلس هل تدرون من المفلس؟ هذا سؤال وجهه رسول الله ﷺ لأصحابه فقالوا: «المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع. قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (م).

نهاية مفاجئة حسنات كأمثال الجبال أصبح لا قيمة لها أمام المعاصي يوم يحتاج فيه الناس أن يحمل عنهم من سيئاتهم «ويحدثنا رسول الله ﷺ

عن رجلين من هذه الأمة جثيا بين يدي رب العزة والجلال فقال أحدهما: يارب خذ لي مظلمتي من أخي، فيقول مولانا: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء، قال: يارب فليحمل عني من أوزاري. وهنا فاضت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم» (حا - حسن).

ولن تجد أحداً يعطيك يوم القيامة حسنة واحدة خصوصاً أمام الميزان وصدق الله العظيم ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، «وحين سمعت السيدة عائشة هذه الآية بكت فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيكِ. قالت: ذكرت النار فبكيت، هل تذكر أهلكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: إلا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أخف ميزانه أم يثقل، وعندما تتطير الصحف حتى يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم». (د-حا).

وصدق الله العظيم ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ (لقمان ٣٣).

أتدرون - أيها الإخوة - يلقي الولد والده يوم القيامة فيقول الولد: ياأبتاه! لقد كنت بك براً وإليك محسناً وعليك مشفقاً فهل أجد لديك حسنة يعود علي خيرها اليوم، (الولد يسأل أباه حسنة) فماذا يقول أبوه. يقول أبوه: يا بني ليتني أستطيع ذلك إنني أشكو مما منه تشكو.

ثم تلقى الأم ولدها في ساحة القيامة فتقول له يا بني لقد كان بطني لك وعاء، وثديي لكن سقاءً، وكان حجري لك وطاءً فهل أجد معك

حسنة يعود علي خيرها اليوم (الأم تسأل ولدها حسنة، الأم تتضرع إلى ولدها وتذكره بآلائها ومتاعبها وآلامها) فماذا يقول ولدها، يقول لها: يَا أُمَاه لِيَتْنِي أَسْتَطِيعَ ذَلِكَ إِنِّي أَشْكُو مِمَّا مِنْهُ تَشْتَكِينَ.

الموقف عصيب يوم القيامة لذلك قدّم لنفسك اليوم قبل أن تأتي إلى الله عز وجل هناك ينفعك ما حدثنا عنه الصادق المصدوق عليه السلام حين قال: «إِنَّمَا يُلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عِلْمَهُ وَنَشْرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ أَوْ مَصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَكْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صَحْتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» (ه).

وهكذا كل عمل صالح قدمته في حياتك مثل حسن الخلق الذي يقول في حقه عليه السلام «مَا يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ خَلْقِ حَسَنٍ» (أحمد). وقال أيضاً: «الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ» (م).
معشر السادة:

لكن رجلاً واحداً يلزمه يوم القيامة حسنة ليدخل الجنة، فيقال له ابحث عن حسنة فيأتي أهله وعشيرته فلا يعطونه حسنة واحدة، حتى يأتي على رجل ليس معه إلا حسنة واحدة فيقول ألا تعطيني حسنة من حسناتك، فيقول له ليس عندي إلا حسنة واحدة فقط سأعطيك إياها لأنني داخل إلى النار داخلها فيعطيه الحسنة فإذا بالنداء يناديه ويقول كيف تجود بالحسنة وأنا الجواد خذ بيد أخيك وادخلا الجنة.

فإذا كانت أعمالك قليلة فعليك بالصلاة على النبي عليه السلام «فَإِنْ سَيِّدَنَا أَنْسَاءً بَنَ مَالِكٌ كَانَ يَحِبُّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عليه السلام وَقَدْ سَأَلَهُ يَوْمًا فَقَالَ: أَتَشْفَعُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: أَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ: أَطْلُبُنِي أَوَّلَ

ما تطلبني عند الصراط، قال: فإن لم ألقك. قال: فعند الحوض. قال: فإن لم ألقك. قال: فعند الميزان. قال فإنني لا أخطئ هذه المواطن يوم القيامة» (أحمد - ت نهاية بداية ابن كثير ٣١/٢).

وإذا لم تلق يا أخى المسلم سيدنا مُحَمَّدًا فإن سيدنا آدم يلاحظ الميزان فإذا رجحت كفة السيئات لأحد ممن يصلي على النبي ﷺ سارع إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقال: يا أحمد يا أحمد هذا رجل من أمتك يساق به إلى النار فيسرح حبيبك النبي ويقول قفوا ياملائكة ربي فيقولون: نحن الغلاظ الشداد لا نعصي الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر، فيسرع رسول الله إلى سدره المنتهى فيسجد ويحمد مولانا عز وجل فيتجلى مولانا عز وجل ويقول يا حبيبي أرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فيقول يارب أريد أن تعيد عبدك إلى الحساب فيقول مولانا ياملائكتي أطيعوا حبيبي مُحَمَّدًا وأعيدوه إلى الحساب، فتوزن الأعمال فترجح كفة السيئات فيخرج الحبيب الأعظم بطاقة من مئزره فيضعها في كفة الحسنات فترجح (فينادى سعد فلان وسعد جده) فيقول العبد قفوا ياملائكة ربي لأعرف من هذا العبد الصالح الذي أنقذني من النار فيقول له: أما عرفتني أنا نبيك مُحَمَّدٌ وفيتك جزاء صلاتك علي في الدنيا أحوج ما تكون إليها في الآخرة، فمن أراد أن يستقبله الحبيب هناك فليبق معنا هنا. هنا مدرسة التوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مظهر الحق ومبديه، ومبطل الباطل ومنفيه، ومنجز الوعد وموفيه ومسعد العبد ومشقيه. الذي تعرّف إلى خلقه فحارت الخليقة فيه. أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على نعمة نور الإيمان الذي ﴿كَلِمَا أَضَاءَ مَشَوْا فِيهِ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العظيم في رفعة تعاليه، الذي حار العقل فيه فأشار العقل إلى عرشه: هل أنت بقربك تليه، أم بدنوك تدانيه، فناداهم العرش من سكرة تغاشيه وحيرة تلاشيه: لست بالمحيط به فأدريه، ولا بالحامل له فأحكيه ولا بالمتصل به فأحاذيه ولا بالمنفصل عنه فأقصيه، ولقد سألت ياعقل عن أمر لا أدريه وكشفت عن سرّ ما برحت أستمليه وأستجليه فما وقعت منه إلا على الحيرة والتيه.

حارت جميع الورى في كنه قدرته

وليس تدرك معنى من معانيه

سبحانه وتعالى في جلالته

وجل لطفاً وعزّ في تعاليه

وأشهد أن سيدنا مُحمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أعطاه الله لسان الحق وموفيه وقال لنا إن هو إلا وحي يوحيه، فهو السيد المطاع والبطل الشجاع وصاحب البيت أدري بالذي فيه إن صافيته سقاك من كأس صفوته صافيه، وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه، أضحي على الباري الكريم كريماً. صلوا عليه وسلموا تسليماً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أذيع على حضراتكم اليوم نتائج الحساب الإلهي فقد خرج الناس بنتيجة الحساب على أصناف ثلاثة السابقون المقربون، وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة. لكنني أرى على البعد أناساً على منابر من نور، الناس في الحساب وهم على منابر من نور يتحدثون (احذروا مع من يتحدثون) يتحدثون مع الله عز وجل، ياترى ماذا كان فعل هؤلاء في الدنيا حتى نالوا مثل هذه المرتبة العظيمة.

يجيب عن هذا السؤال سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا مُحمّد ﷺ يقول (ق): «إن لله عبادة خلقهم لقضاء حوائج الناس، آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار وإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يتحدثون الله عز وجل والناس في الحساب».

ودعوني - إخواني الأعزاء - أن أسرّ لكم هذا السرّ الخطير، أقوله لكم لأنكم تحبون سيدنا مُحمّداً، ولأنكم تحبون الصلاة عليه يقول لنا فيه سيدنا رسول الله ﷺ: «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم صلاة عليّ» (ق).

معشر السادة الكرام:

وبعد النتائج الحسابية يأمر مولانا نضرب الصراط على جهنم، جسر محدود وردت فيه الروايات الصحيحة أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف (ق) يقول سيدنا عبد الله بن مسعود (تعليق عن ابن مسعود) دقة ساقيه وأثهما أوزن من جبل أحد. يقول: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر (ابن جرير) وعلى حافتيه تنصب الذنوب والآثام على شكل خطاطيف تخطف من كان من أهل النار.

أما الأمة المحمدية فإنه عند صدور الأمر الإلهي بجواز الصراط يكون أول من يجتازه أمة سيدنا محمد ﷺ أتدرون كيف تمر هذه الأمة على الصراط، طبعاً المؤمنون حقاً يمشون مثل ملح البرق، وطائفة تمر كالريح المرسلة وطائفة تمر كأجود الخيل، وطائفة كأجود البهائم والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم. أما من لم يكن مستقيماً في هذه الحياة فإنه يرى النار تتأجج وتقلي وتفور وهو يرتجف خوفاً وهلعاً فإذا كانوا من الذين كفروا برهم وأعلنوها ألوهية على الأرض أو أعلنوها لا إله والحياة مادة، هؤلاء جميعاً يقعون من فوق هذا الجسر، واسمعوا معي إلى الصادق المصدوق وهو يقول في مدرستي البخاري ومسلم (أحمد): «يخرج عنق من النار ينادي ويقول إني وكلت بثلاثة: وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد قال: فينطوي على الأصناف الثلاثة ويرمي بهم في غمرات النار».

وأما المنافقون الذين كانوا في الدنيا يتظاهرون بالإسلام وهو أشد عداوة للمسلمين، يطعنونهم من الخلف ويوشون بهم، فإنهم كما خدعوا المؤمنين في الدنيا يخدعهم الله يوم القيامة، إذ يتمثل لهم إسلامهم الذين

تظاهروا به بشيء من النور، يمشون به خطوات قليلة على الصراط حتى يظن أحدهم أنه قد أمن ونجا، فبينما هم كذلك إذ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات كفرهم ونفاقهم لا يبصرون هنا يستغيثون بالمؤمنين أمامهم ينادونهم ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ فيجيبهم المؤمنون الصادقون ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ عليكم أن تعودوا إلى الدنيا لتصححوا عقيدتكم ودينكم، ولكن لات ساعة مندم، وهنا يسقطون في قعر جهنم، في القعر ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾.

إننا معشر السادة:

مع قضية الصراط كذا الصراط فالعباد مختلف مرورهم فسالم ومتلف ومع الحلقة الخامسة والسبعين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد. وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي مريم ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾. ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ (التحريم - ٦٦).

هذا هو التكريم الذي أعدّه الله لأهل الإيمان نوراً يجعله الله لهم يعرفون به في ذلك اليوم العصيب نوراً يهتدون به في زحام الأمم يفيض بين أيديهم ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾. أتدرون - إخوة الإيمان - ماذا تقول لهم الملائكة، وما أعد الله لهم من تكريم ينادون ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين

فيها ذلك الفوز العظيم».

أهل الإيمان - الله اجعلنا منهم - من رهبة الموقف وشدته يلهمهم الله الدعاء فيقولون: ﴿ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا﴾ النور يشع من المؤمنين حتى من شعورهم لذا ورد في الحديث (ن - ت) عن حبيبك النبي ﷺ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة».

أتدرون - يا إخواني - ماذا تقول النار للمؤمن حين يجتاز عليها، النار نعم تنادي المؤمن وتقول: جز يامؤمن فقد أطفأ نورك البهي (طب - عد) نور الإيمان يطفئ لهيب النيران، وإن دمعة عين تذرف من عين المؤمن من خشية الله تطفئ بجوراً من نيران جهنم، اسمعوا ماذا يقول سيدنا عبدالله ابن مسعود يرفعه (أحمد - هب): ما من شيء إلا له مقدارٌ وميزانٌ إلا الدمعة فإنه يُطفأ بها بحار من النار. (المواهب للزرقاني ٣٨٩/٨).

إنه الإيمان يدفع النيران، ولهذا أرى لزماً علي أن أنتقل بحضراتكم سريعاً لأبث لكم على الهواء مباشرة ألتقاء وإياكم من فم سيدنا محمد ﷺ يقول (م - هـ) وأما السيدة حفصة أم المؤمنين «لا يدخل النار إن شاء الله من أهل الشجرة أحدٌ من الذين بايعوا تحتها. فقالت السيدة حفصة: بلى يارسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة: إن الله تعالى يقول ﴿وإن منكم إلا واردة﴾ فقال لها رسول الله: إن الله تعالى قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾».

فمتى يكون هذا العبور؟

ويجبنا عن هذا السؤال القائد الأعلى للأمة، فيقول ﷺ (خ): «يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه: فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى

هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله بغير الهيئة التي وصفها الله تعالى لنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى بالصورة التي وصفها لنا، فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، لا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان (نبت ذو شوك معقف) هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبقه بعمله (يهلك) ومنهم من يخرذل (يصرع) ثم ينجو (وهم أهل الكبائر) حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخْرِجُوا (من النار) من كان يعبد الله فيخرجونهم بآثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا (أي احترقوا)».

والسبب في هذا التفاوت في المرور على الصراط تفاوتهم في الإعراض عن حرّمات الله تعالى فمن كان منهم أسرع إعراضاً عما حرم الله كان أسرع مروراً في ذلك اليوم. بل إن قوماً يجاوزون الصراط دون أن يروا الصراط، يجتازونه طيراناً حتى يقفوا على باب الجنة فتسألهم الملائكة هل رأيتم حساباً فيقولون ما رأينا حساباً، فيقول الملائكة هل رأيتم صراطاً قالوا ما رأينا صراطاً فيقولون من أمة من أنتم فيقولون من أمة مُحمَّد.

ولهذا يقول ابن الجوزي في روضة المشتاق: «إذا عصف الصراط بأمة مُحمَّد نادوا والمُحمَّداه والمُحمَّداه فيبادر سيدنا مُحمَّد من شدة اشفاقه عليهم وجبريل أخذ بحجزته فينادي رافعاً صوته: رب أمتي أمتي لا أسأل اليوم نفسي ولا

فاطمة ابنتي ولكن أمتي أمتي».

فهنيئاً لنا بسيدنا مُحَمَّد، ارفع رأسك بسيدنا مُحَمَّد، وإذا أردت أن تكون
هناك تحت لوائه فعليك أن تكون هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة
التوحيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذين تعرّف إلى أوليائه بنعوت الجمال فعرفوه، يباهي
بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبهم وأحبه، حمى إقليم قلوبهم من طوارق
الغفلة فلا يتركوه وتفقدوا دفتر أعمالهم من غلط الخطأ وصححوه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خوفاً عباده الفضيحة
يوم الحساب فخافوه فنالوا المقصود من محبوبهم فوق ما طلبوه.

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه الكريم ونبيه الجليل العظيم
توجه بتاج الوقار ونور به جميع الأقطار وشرف به البادين والحضار وأعطاه
الحوض والشفاعة وصفاه من جميع الأكدار.

أضحى على المولى الكريم كريماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم وعلى آله
وصحبه أجمعين.

من هم المحررون ومن هم الجهنميون؟

سؤالان أسألهما وأستمد العون من الله عز وجل في الإجابة عنهما.
ولكني وقبل ذلك أدعوكم اليوم لنشرب معاً من يد نبينا الأعظم ﷺ
شربة من حوضه لا نظماً بعدها أبداً بإذن الله تعالى، اللهم حقق أمننا
بذلك.

فهذا الحوض نؤمن به ونعتقده لأن أحاديثه بلغت التواتر فقد رواه من الصحابة بضع وثلاثون رضي الله عنهم ولأن الحوض حوض نبينا ﷺ تعالوا بنا نستمع إليه يحدثنا عنه فيقول: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن (م-ت: وأحلى من العسل) وريحه أطيب من المسك، وكيوانه (كؤوسه) (كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً) (ق).

وفي رواية أن سعته ما بين صفاء والمدينة، وفيه ميزابان من ذهب وفضة (م)، وأول الناس عليه وروداً (أحمد) صعالك المهاجرين، قال قائل: من هم يارسول الله قال «الشعثة رؤوسهم، الشَّحْبَة وجوههم (من شدة الهزال أو الجوع) الدنسة ثيابهم لا تُفْتَح لهم السُّدُد (الأبواب) ولا ينكحون المنعمات الذين يُعْطُونَ كل الذي عليهم ولا يأخذون كل الذي لهم».

إننا معشر السادة مع قضية الحوض في قول ناظم العقيدة:

إيماننا بحوض خير الرسل حتم كما قد جاءنا في النف
ينال شرباً منه أقوام وفوا بعهدهم وقل يذاد من ط

مع الحلقة السادسة والسبعين بعد المئة من سلسلة القضايا الايمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذا الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزوجل على موجات سورة الكوثر ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائتك هو الأبر﴾.

(م) لما نزلت هذه السورة رفع رسول الله ﷺ رأسه مبتسماً ضاحكاً وقال: «أتدرون ما الكوثر. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: نهر وعدنيه ري

عزوجل، عليه خير كثير، وهو حوض (أي وله حوض يمتد من الجنة إلى خارجها) ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فيمنع من الشرب، فأقول رب إنه من أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك».

إخوة الإيمان:

لا يشرب من هذا الحوض الذي هو خارج الجنة إلا المسلمين فقط، منهم من يشرب منه دفعاً للظماً، ومنهم من يشرب للتلذذ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة، وعلى هذا الحوض أطفال المسلمين عليهم ألبسة الحرير ومناديل من نور وبأيديهم أباريق من الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط في فقدهم فلا يؤذن لهم بسقيه.

فالذين وفوا بعهد الإيمان يشربون منه، أما الذين بدلوا العهد وغيروا فيطردون عن الحوض، المرتدون والظلمة الجائرون والفاسقون وكل معلن للكبائر مستخف بالمعاصي يردون عن الحوض بسياط لاهبة طرد حرمان فلا يذوقونه أبداً، أما عصاة المؤمنين فيطردون طرد عقوبة ثم يشربون منه قبل دخولهم النار على الصحيح. صرح بهذه القضايا كلها حبيبنا رسول الله ﷺ فقال (م) «ترد علي أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله تعرفنا. قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون غراً محجلين من آثار الوضوء ثم قال: ليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك: وهل تدري ما أحدثوا بعدك».

أيها السادة الكرام:

هؤلاء يذادون عن الحوض ويدخلون النار مدة من الزمن على قدر
غدراتهم في الدنيا، ولكنهم لا يخلدون في النار، ويلهمهم الله أن يستغيثوا
بسيدنا محمد أن يشفع لهم عند ربهم، فيأذن مولانا بالشفاعة لهم فقد تعلمنا
في العقيدة:

وواجب شفاعة المشفع محمد مقدماً لا تملأ
وغيرهم من مرتضى الأخيار يشفع كما قد جاء في الأخ

فشفاعته ﷺ تكون لأهل الكبائر من أمته، الذين يدخلون النار
بذنوبهم فيميتهم إماتة حقيقية حتى إذا كانوا فحماً أذن الله بالشفاعة
فيخرجون من النار جماعات جماعات إلى أنهار الجنة فيعيد مولانا إليهم
حياتهم من جديد، هذه القضية وضحها لنا من لا ينطق عن الهوى ﷺ
فقال «يؤمر بقوم من أمتي إلى النار فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة
قال: فأمر الملائكة أن يقفوا بهم، وأنطلق وأستأذن على الرب عز وجل
فيأذن لي فأسجد فأقول: يارب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقول
لي: انطلق فأخرج منهم قال فأخرج منهم من شاء الله ثم ينادي الباقيون:
يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى ربي عز وجل فأستأذن فيؤذن لي
فأسجد فيقال: أرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، فأثني على الله
بثناء لم يشن به عليه أحد، وأقول ثم قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار،
فيقول: انطلق. فأخرج منهم من شاء الله أن أخرج (النهاية لابن كثير
١٨١/٢ خ ١٣/٣٩٢ م ١/١٨٠) ويبقى قوم لما أدخلهم الله النار مع
المشركين. قال المشركون: أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء الله
فمالكم معنا في النار. فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة فتشفع

لهم الملائكة والنبيون حتى يخرجوا بإذن الله فذلك قول الله ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾. قال فيسمّون الجهنميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون ربنا أذهب عنا هذا الاسم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك عنهم. فيسمّون المحرّرين».

وهكذا - معشر الإخوة - ترون أن لبنينا شفاعات متعددة فمن صلى عليه أدركته شفاعته يوم القيامة.

لكن مما منّ الله به على هذه الأمة أن رجالاً من المؤمنين من هذه الأمة يشفع للناس كثيرين، وقد أخبر عن هذا رسول الإنسانية الأعظم فقال (أحمد ٢١٢/٤): «إن من أمتي لمن يشفع أكثر من ربيعة ومضر».

«ويأتي الرجل على الرجل من أهل النار فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة ماء فيشفع له لأجل شربة ماء» (هـ) ١٢١٥/٢.

وهذا مصداقة في كتاب الله تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾.

لذلك يا إخوتي لا تحقروا من المعروف شيئاً وإن قلّ ويشفع الشهداء فللشهيد كرامة وعزة عند مولانا عزوجل قال فيه الحبيب الأعظم ﷺ «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفقة من دمه، فيرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الخور العين (حب) ويشفع في سبعين من أقاربه» (أحمد - هـ).

ويشفع الأطفال الذين ماتوا صغاراً لأبائهم (م) ٢٢٩/٤ - ن ٢٢/٤

— أحمد ٤٨٨/٢) يأخذون بأيديهم ويدخلونهم الجنة، ولهذا يقول الصادق المصدوق عليه السلام: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، ويقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون لا ندخل حتى يجيء أبوانا فيقال لهم: ادخلوا أنتم وآباؤكم».

ولهذا لما مات ولد لأحد الصحابة الكرام جاء رسول الله يعزيه ويطيب قلبه وقال له عليه السلام: «أما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك. فقال الصحابي: أهذا لي خاصة. فقال له بل لكم كلكم» (أحمد ٣٥/٥).

وبعدما يشفع سيدنا محمد عليه السلام ويشفع النبيون والملائكة والمؤمنون بعد كل ذلك يقول الجبار عليه السلام بقيت شفاعي وعزتي لا أدع في النار من قال لا إله إلا الله. يقبض قبضة من النار فيخرجهم فيخرج أقواماً قد افتحشوا (احترقوا) فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة.

فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم (في الجنة) ومثله معه (خ ٤٢٠/١٣ — أحمد ١٦).

هذا هو كرم الله، هذا هو عطاء الله، فمن أراد أن يكون هناك فعليه أن يكون هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد.

مقدمة الإيمان بالقضاء والقدر

- ١٨٢ -

الحمد لله الصبور الشكور ، العلي الغفور ، السميع البصير ، العليم
القدير ، شملت قدرته كل مخلوق ، وجرت مشيئته في خلقه
بتصاريف الأمور ، قدر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم
وأعمالهم ، وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم ، وخلق الموت والحياة
ليبلوهم أيهم أحسن عملاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جلّ عن الشبيه
والنظير وتعالى عن الشريك والظهير ، ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، وخيرته من بريته ، وصفوته
من خليقته ، وأمينه على وحيه ، أعرف الخلق به ، وأعلامه عنده
منزلة ، وأوسعهم عنده شفاعة ، بعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة
داعياً ، وفي مرضاته ساعياً .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم ، والسيد السند
العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى
أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا

المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعَجَّل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

أقف اليوم بينكم حامداً شاكراً لمولانا ﷺ أن منّ علينا بهذه السنوات التي عشناها مع العقيدة ، مع مبادئ التوحيد وأمّهات المسائل التي بدأنا فتح ملفاتها منذ خمس سنوات ، نمضي قدماً نحو أركان الإيمان واحداً بعد واحد ، بدأناها بالإيمان بالله ثم بالأنبياء ثم بالملائكة ثم بالكتب السماوية ثم باليوم الآخر ، وها نحن اليوم بحمده تعالى نلج معاً بتوفيقه تعالى : باب الإيمان بالقضاء والقدر . فالإيمان بهذا الركن الإيمانى يعطينا قوة إيجابية دافعة إلى العمل وبناء المستقبل ، وليس لتثبيط الهمم ، والقعود عن العمل ، والخلود إلى الكسل ، والوقوف عند أحداث الماضي .

إن الإيمان بالقضاء والقدر يخلصنا من أعباء الماضي وسلبياته ، يخلصنا من الوقوع فريسة الأحزان والمآسى ، فإذا ما اصطدم العبد بشيء أو بموقف مزعج أو بإخفاق في مشروع أو عمل أو وظيفة ، أو صدى أو رفض أو إهانة أو إذلال أو سخرية تخطاها ، وبحث عن فرص أخرى كثيرة سواها ، وهو يتلو كلام مولانا عز وجل : ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَايَ فَاعْبُدُون﴾ (العنكبوت ٥٦) .

فالاستكانة والرضا بالمذلة سبيل الضعفاء وغير المؤمنين ، أما المؤمن فيتغلب على الصعاب بمهمة عالية ، وعزيمة ماضية ، لا تعرف التردد والانزواء ، إن المؤمن بالقضاء والقدر تراه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر (داووا مرضاكم بالصدقة) وهو يدفع قَدَرَ الجوع بقَدَرِ الطعام ، و قَدَرَ المرض بقَدَرِ الدواء ، و قَدَرَ الفقر بقَدَرِ السعي في طلب الرزق ، وتراه صادقاً في توكله على ربه ، يأخذ بالأسباب التي قَدَّرَ اللهُ أقدارها ، ويطلب منه العون على ما أعجزه منها ، تراه يردد في يقين قول سيده ومولاه ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (التوبة ٥١) .

وكان رسول الله يعلم هذه العقيدة أصحابه الكرام ، ويربهم عليها منذ نعومة أظافرهم ، فها هو يردف خلفه ابن عمه سيدنا عبد الله بن عباس ويوجهه هذا التوجه النبوي الشريف فيقول له :

« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

فهذا الحديث الشريف قاعدة هامة في قضية القضاء والقدر ، يقول ناظم العقيدة :

وواجب إيماننا بالقدر وبالقضاء كما أتى

في الخبر

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثانية والثمانين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات آل عمران .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّز من تشاء وتذلّ من تشاء ، بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير ﴾ .

إخوة الإيمان:

إذا أردنا شرح ومعرفة هذا الركن الإيماني فعلينا أولاً أن نوضح معنى القضاء والقدر .

فالقضاء بمثابة التخطيط للشيء : أي أن الله تعالى يعلم أنه مثلاً سيخلق عبداً له مثلاً اسمه عبد العزيز ، فتأتي صفة الإرادة فيخصص مولانا صفة هذا العبد ، يخططه على هيئة معينة ولون معين وطول معين وأنه سيولد في دمشق أو سواها ، وفي لحظة معينة من الزمن ،

وما لون عينيه ، ما لون شعره ، ما حياته ، ما عمله ، أشقي أم سعيد ، (هذا التخطيط والتصميم بالمعنى المعاصر) يعود إلى علم الله وإرادته ، هكذا قضاءه ، فإذا أراد الله إبرازه إلى الوجود ، هياً له أسباب ذلك ، فيزوج الشيخ محمد سهيل من السيدة حورية السبيعي ويباشران أسباب الحمل ، ثم وفي اللحظة المرادة لله تعالى ينقذ الله بقدرته تعالى ما قضاءه الله ، وتحقق الأشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في ذواتها وصفاتها وخصائصها الزمنية والمكانية .

هذا مثال لواحد من أمثلة لا تحصى ، لأن علم الله تعالى لا يحده حد ، وخلق الله لا يقف عند حد ، فالقضاء بمثابة التخطيط والقدر بمثابة التنفيذ ، ولهذا اسمعوا معي إلى قول الإمام العلم سيدنا الإمام النووي رحمه الله (شرح صحيح مسلم ١/ ١٥٤) يقول : « واعلم ام مذهب أهل الحق إثبات القدر ، ومعناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدر الله سبحانه وتعالى » .

إخوتي في الله :

هذا القضاء وذاك القدر أثبته مولانا رحمته في اللوح المحفوظ ، كما صرح به سيدنا رسول الله ﷺ من مدرستي الإمامين مسلم والترمذي

فقال: «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» .

وكنت مرة أكرر هذه القضية على بعض الطلبة فقام طالب فقال :
يا أستاذ ما كتبه الله في اللوح هو الذي جعل تارك الصلاة تاركاً
للصلاة وجعل المصلي مصلياً . فقلت للطالب : لا يا بني ما وقر
في ذهنك وهم : لأن المصلي يقوم إلى الصلاة باختياره دون إجبار
، وتارك الصلاة يتركها دون إكراه أو إجبار ، وهذا ما يعرفه كل
إنسان ، لأن الله أراد أن يخلق الإنسان و له حرية واختيار .

وإذا بالطالب يسأل سؤالاً آخر فقال :

وكيف لا يكون ما قد كتب في اللوح مجبراً للإنسان على العمل مع
أنه قد كتب منذ الأزل .

فقلت له : هون عليك فإن الأمر سهل يوضحه هذا المثال : ألا
ترى أن الأستاذ الذكي الخبير بأحوال طلابه ، الذي يضع أسئلة
الامتحان لو أنه كتب في ورقة أسماء من هو متأكد أنهم سيرسبون
في الامتحان ، وكتب أسماء من هو متأكد من نجاحهم ، ثم جاء
الامتحان وظهرت النتيجة فرسب كل الطلاب الذي كتب في الورقة
أنهم سيرسبون ، ثم جاء الذين رسبوا محتجين بقولهم : إن ما كتبه
الأستاذ علينا في الورقة بأننا سنرسل هو السبب في رسوبنا ؟ فهل
سيقبل عذرهم ؟ ، أم أنه سيقال لهم : إن ما كتبه الأستاذ في الورقة

أمر متعلق بعلمه وخبرته السابقة بأحوالكم ؟ ورسوبكم متعلق بإهمالكم ، فلا تعتذروا اليوم لإهمالكم بعلم الأستاذ وخبرته .
ثم قلت له : يا بني هذا مثال ضربته لك لمدرّس ، أما الله تعالى (ولله المثل الأعلى) فهو سبحانه خالق الخلق وهو العليم بأحوالهم قال لنا : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك ١٤) .

إخوتي الأكارم :

لقد خلقنا الله سبحانه لقضاء فترة الامتحان على هذه الدنيا ، وهو جل شأنه يعلم نتيجة الامتحان ، فكتب الشقاء على الأشقياء ، وكتب السعادة للسعادة للسعداء حسب علمه المحيط بما كان وما سيكون ، وربما أخطأ الأستاذ في تقديره لنتائج طلابه ، لكن قدّر الله لا يخطئ في تقديره لأعمال خلقه ، والكتابة في اللوح أمر متعلق بعلم الله السابق ، فترك الصلاة مثلاً أمر متعلق بتمرد وإهمال ومعصية تارك الصلاة ، فلا يعتذر جاهل تارك للصلاة أن الله قدّر عليه ذلك ، أو قدّر عليه شرب الخمر ، أو قدّر عليه ما يفعله من معاصي ...

ألا فلتعلموا أن علم الله سابق لا سائق ، ألا فلتعلموا أن علم الله سابق لا سائق .

ولقد أخبر مولانا ﷺ رسوله الكريم بما هو كائن إلى يوم القيامة ،
ورأينا فيما سبق في علامات الساعة أن كثيرا من الأشياء ذكرها
رسول الله ﷺ وكتبها المسلمون في كتب الحديث تقع الآن ، فهل يزعم
شخص ان كتابة المسلمين لما يحدث الآن هو الذي أحدثها ، إن
العلم سابق لا سائق .

معشر السادة الكرام :

كان هذا هو تفصيل الأنباء الإيمانية وإيكم موجزها .
علينا أن نؤمن أن الله علماً قديماً بالأشياء قبل كونها ، وأنه كتب
الأشياء قبل إيجادها ، ثم أراد مولانا إيجاد الأشياء ، فليس في
الوجود شيء إلا بمشيئة الله ﷻ وحده ، ما شاء الله ﷻ كان وما لم يشأ
لم يكن ، فهو الخالق للأشياء ، وهو الخالق للأعمال ، وهو الموجد
لها ، وصدق رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله ﷻ

لا إله إلا الله محمد رسول الله

* * *

قانون السببية :

الحمد لله الكريم الغفار ، الحليم الستار ، مكور الليل والنهار ، وكل شيء عنده بمقدار ، حارت في قضايه العقول والأفكار ، وتاه في بيداء أبدية أولوا البصائر والأبصار ، فسبحانه من إله اصطفي واجتبي وانتقى وارتضى واختار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أول ما خلق الله القلم (ت - د) ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب . قال : اكتب ماهو قائم الى يوم القيامة.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البادين والحضارة وإمام المتقين الأخيار ، قال لنا : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر ، فمن مات على غير هذا فليس مني (ت - جه) .

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم ، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقدر . وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم بحقهمحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحرّاس العقيدة :

سببٌ ومُسَبَّب : لفظتان من أهم الألفاظ في قضية القضاء والقدر

أطرح اليوم معكم هذه القضية الهامة ، لأتعرّف مع حضراتكم على قانون السببية ، قانون وضعه مولانا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ ويعني ربط النتائج أو المسبّبات بالأسباب والمقدمات .

أطرحها لأردّ على الجهلاء الذين يزعمون أنه « إذا كانت السعادة والشقاوة ، والرزق والحرمان ، والنصر والهزيمة ، والصحة والمرض ، والعز والذل ، والنجاح والفشل ، والحياة والمرض ، إذا كان كل أولئك سبق به الكتاب ، وجفّ عنه القلم ، وطويت عليه الصحف ، ولا تبديل لكلمات الله فلا فائدة في إتعاب النفس بالأعمال ، ومحاولة الوصول إلى المقاصد من طرقها التي جرت بها السنن الكونية ، إذ لا بد من وقوع المقدّر في زمنه المحدد له ، سواء أوقعت أسبابها أم لم تقع » .

هكذا يزعمون ، إن من يزعم أن المسبّب يقع دون السبب ، وأن النتيجة تقع دون مقدماتها يكون قد فكك معنى القدر فأمن ببعضٍ وكفر ببعض .

لأن الله تعالى كما علم الأشياء علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها ، وربط بعضها ببعض في علمه تعالى ، ومجموع ذلك كلّ القدر .

معشر الإخوة الكرام :

إننا مع قضية القدر والربط بين أسبابها ومسبباتها ، في الحلقة الثالثة والثمانين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، مع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتشرحوا صدوركم بشعار التوحيد .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

إخوة الإيمان :

إذا أَدَّادَ اللهُ تعالى أمراً يسر له أسبابه الموصولة إليه في علمه ، حتى يتم على الوجه الذي علمه وأراد ، وهذه القضية صرَّح بها خير البرية وسيد البشرية سيدنا ومولانا مُحَمَّدٌ ﷺ فقال : « إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة ، وإنَّ أهل النار ييسرون لعمل أهل النار » وهذا المعنى تماماً ذكره رب العزة والجلال في القرآن ، فعلى موجات سورة الليل (٤ - ٩) .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْإِسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْعُسْرَى ﴾ فلو وقعت المسببات أي النتائج بدون أسبابها (أي مقدّماتها) التي ربطنا بها مولانا في عمله لكان بعض القدر واقعاً وبعضه غير واقع ، وهذا جهل كبير . ولو كانت عقيدة القدر كما يزعمها هؤلاء الجهلاء لكانت مدعاة قعود وكسل ، وباعثة جُبْنٍ وَخَوَرٍ ، بل لكانت معول

هدم للشرائع والقوانين ، وإذا لصدق عليها قول بعض الملحددين :
إنها هي إحدى عوامل ضعف المسلمين وخمولهم .

وسيقول السفهاء من الناس : إذا كان **اللَّهُ** قد كتب عليّ الرسوب
فلماذا أدرس ، وإذا كان **اللَّهُ** تعالى كتب عليّ الفقر فلماذا أعمل ،
وإذا كتب عليّ الهزيمة فلماذا أعد نفسي للحرب ؟؟! .

ألا إن أمثال هؤلاء جهلاء بالعقيدة ، جهلاء بالقدر ، فما هو
الصواب يا معشر الأحباب ؟

تعالوا - إخواني - لأغوص معكم في بحار الشريعة ، لأستخرج مع
حضراتكم لألئها النادرة وجواهرها النيرة ، وليعود بعدها كل منا إلى
بيته وقد كلل جبينه بتاج الإيمان ، ونور قلبه بنور الشريعة ، فاسمعوا
وعوا وألقوا إلي بأسماع أفهامكم لعلكم تفقهون :

ها هو كتاب **اللَّهُ** تعالى يقرر لنا :

أن النصر مع الصبر ، وأن الرزق مع السعي ، وأن الأمن في إقامة
الحدود ، وأن السعادة مرتبطة بالعمل ، اسمعوا القواعد الإيمانية في
الربط بين المقدمة والنتيجة ، بين السبب والمسبب ﴿فإن يكن
منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين﴾ (الأنفال ٦٦) اصبروا تغلبوا
﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ ولكم في القصص حياة .

البقرة ١٧٩ أقيموا الحدود تأمنوا وتحبوا . ﴿أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين﴾ . (آل عمران ١٤٢) .

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وضع الأسباب لمقاصدها، ونوط المقاصد بأسبابها، ولأزيد هذه القضية توضيحاً وتبياناً، تعالوا بنا نتعلم العقيدة الحقة من سيد الموحدين وإمام المتقين، لنرى التطبيق الصحيح لهذه القضية (بعدان تصلوا عليه) : هذه سنته ﷺ قولية وعملية كلها ناطقة باتيان البيوت من ابوابها، فقد لبس الدروع في الحرب، وحفر الخنادق واستعمل العيون والحراس واستظهر بالخلفاء، واستعان بالأصحاب، رغم أن الله تعالى وعده بالنصر فقال ﴿ وقالنا : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ (صلوا عليه) .

وتداوى وأمر بالتداوى وسعى وأمر بالسعي ، وكان يذخر من القوت لأهله ما يكفيهم عاماً، وهو سيد المتوكلين، وأمر بالاقتصاد وقال للصحابي : إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتكففون الناس (الستة) ، وقال أيضاً : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

هذاتطبيق لسيدنا رسول الله ﷺ لمعنى القدر وليس على الانسان الا بذل الوسع في سلوك الطريق الذي يظنه موصلاً الى الخير، فإن سلك القدر طريقاً آخر غير الذي سلكته فهناك فقط يكون لك أن تتسلى بالقدر وتقول : قدر الله وما شاء فعل.

أيها الإخوة :

هذه الكيفية علينا أن نفهم قضية القدر ، وبهذا الفهم فهم الصحابة رضي الله عنهم معنى القدر ، وأن الحوادث مستندة إلى الأسباب الإلهية ، وأن العبد عليه أن يعلم أن ما قدّر يكون ، وأن الحذر لا يمنع القدر ، وقد كان جدي سيدنا علي رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد ليصلي تطوعاً ، فيجيء أصحابه يحرسونه ، ومرة سأهم حين فرغ من صلاته وقال: ما يحبسكم هنا؟ قالوا نحرسك . قال : أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قالوا : بل من أهل الأرض . وهنا علمهم العقيدة التي تعلمها من سيدنا محمد ﷺ فقال : « إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضي في السماء ، وليس من أحد إلا وقد وُكِّل به ملكاه يدفعان عنه ، ويكآلانه حتى يجيء قدره ، فإذا جاء قدره خليّا بينه وبين قدره ، وإن عليّ من الله جنّة حصينة فإذا جاء أجلي كُشفت عني ، وانه لا يجد طعم الإيمان عبد حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . »

معشر السادة الكرام :

علينا أن نفهم هذا ونعيه ، علينا أن نعتقد جازمين أنه لا تطرف في العالم عين ، ولا تهب نسمة هواء ، ولا يجري فيه حادث صغيراً كان أو كبيراً إلا بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن يمتزج هذا بدمنا ونستسلم

لله ونخضع له ، ونعترف له بالكمال المطلق ﷻ ، وأن الأمور
مربوطة بأسبابها .

تعالوا معي نحضر هذا الدرس ، أستاذ هذا الدرس عملاق الإسلام
سيدنا عمر رضي الله عنه .

خرج سيدنا عمر مع سيدنا أبي عبيده بن الجراح رضي الله عنه مع الجندي
إلى الشام (خ - الموطأ) فأخبر سيدنا عمر أن الطاعون في الشام ،
فاستشار الصحابة فاختلفوا : هل يدخلون أم لا ، فعزم على عدم
دخول الشام فقال له سيدنا أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله يا عمر
؟! فقال سيدنا عمر : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله .

هذا الكلام يعني أن الصحابة فهموا معنى القدر بشكل متكامل ،
وأن المسببات مربوط بأسبابها ، وأن الله تعالى قدر الموت والحياة ،
وقدر لكل منهما طريقه ، فحياتنا إن سلكنا سبيلها من قدره ،
وموتنا إن سلكنا سبيله من قدره ، وما دام المرء في سعة من أمره
وجب أن يسلك سبيل الحياة ، ولا يلقي بيده إلى التهلكة ، فلو
كان سيدنا عمر فهم القدر كما يفهمه ويحرفه الجهلاء لدخل قرية
الطاعون وقال: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

أخي المسلم :

هذا الكلام نقوله في الحرب ، في ساحة المعركة في الجهاد في سبيل
الله ، هناك يجب عليك عدم الفرار من وجه الموت ، هناك تكون

عقدية القدر من بواعث الصبر والثبات ثقة بالله ، فإن الأجل لا
يزيد بالإحجام ، ولا ينقص بالإقدام ، فإلى العمل يا إخوتي ،
وإياكم والكسل ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

* * *

الهداية والقدر

- ١٨٤ -

الحمد لله الذي فتح أبواب الرغائب ، ومنح أسباب المواهب ، زين
الدنيا بمتاعها ، ثم زهد فيها بانقطاعها ، لا فرار منه لخائف ، ولا
قرار عنه لعارف .

نحمده ونؤمله تأميلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نسأله ونتخذة وكيلاً ،
ولا نبتغي عن طاعته ممياً ، ولا نهتدي إلى غيره سبيلاً .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرۃ أعیننا سیدنا
مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث وغصن الدين يابس ، ورسم اليقين دارس
، فعاد به عود الدين أخضر ناضراً ، ووجه اليقين أزهر زاهراً .

ذاك الذي وقف الملوك ببابه
عين النبيين الكرام وتاجهم
برضاه يرضى الله سبحانه
خذ حبه ديناً ولازم مذهبي
هم وابتهج طرباً فهذا المصطفى
غوثة يا جد الحسين فإننا
أنضام يا طه وأنت نصيرنا
وتزاحمت تيجانها لتشرف
ومن الإله لغيره لن يصطفي
وبذكره تحبو الجحيم وتنطفي
واسطح ومن بحر المحبة فاغرف
كنز الصفا عين الوفي بحر الوفي
لذنا بجاهك يا أعز مشرف
فأنهض بحقك واسأل اللطف
الخفي

صلى الله عليك اللهم يا علم الهدي

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، والسيد السند
العظيم ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى
أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا
المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق
من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .

معشر السادة الكرام :

الهداية لطف من الله عز وجل يتمناه كل عبد ، ولكن الله تعالى لا
يعطيها إلا لعبده وفقه للخير وسلوك سبيل الحق ، ولو شاء

اللَّهُ تعالى هدى الناس جميعاً ولجعلهم أمة واحدة على دين واحد ،
أو لأرغمهم وأجبرهم على الإيمان بالله رباً واحداً ولكنه لم يشأ ذلك
، تاركاً للنفس الإنسانية الحرية في مقاومة نوازع الشر وألوان الكفر
وخروجها عن الأهواء حتى إذا فعلوا ذلك استحقوا المكافأة الحسنة
في الدنيا والآخرة عن جدارة وتميز .

والهداية هو ذلك النور الإلهي الذي يفيضه على العبد ووعيه وعقله
وجوارحه ، فيجعله في عداد المؤمنين الصالحين ، ولهذا ورد في
الحديث عنه اللهم صل وسلم وبارك عليه قوله : «إن الله خلق
خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك
النور اهتدى ومن أخطأه ضل » .

معشر الإخوة الكرام :

إننا مع قضية الهداية والقدر في الحلقة الرابعة والثمانين بعد المئة من
سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومن بداية هذه
الحلقة أدعوا المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز
وجل على موجات سور القرآن الكريم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾
﴿الكهف﴾ ويضل الله الظالمين ﴿ابراهيم﴾ ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة ولكن لیبلوکم فیما آتاکم فاستبقوا الخیرات﴾ النحل
﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾ فصلت

(هديناهم) خلقناهم على فطرة التوحيد والإيمان بالواحد ،
(هديناهم) بإرسال الرسل إليهم ، (هديناهم) بتبيين ما حرم عليهم
، ولكنهم استحبوا المخالفة والضلال ، هذه الآية أكبر دليل على
أن الله سبحانه يضل من جنحت به نفسه إلى مهوي الضلال
وتنكب عن طريق الهداية ، هذا ما جاء به القرآن الكريم وقررت
الآيات وقضى به رب العزة والجلال ، اسمعوا هذه الآيات وعوها
جيدا .

﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾
الفرقان (لا أحد يهديه من بعد الله) .

هذه الآية الكريمة رد على من يزعم أن الله هو الذي أرغم المجرمين
على عدم الهداية وترك سائر الطاعات وهدى غيرهم ، إن الذين
يزعمون أن الله هو الذي أضلهم متذرعين بآية من القرآن فهموها
خطأ هي قوله تعالى مخاطبا سيدنا محمد ﷺ خاطبه بقوله ﷻ ﴿إنك

لا تهدي من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء ﴿ القصص . إن الذين يرددون هذه المزاعم لم يعلموا حقيقة الأمر ، فالهداية قسمان : هداية عامة وهداية خاصة ، أو قل إن شئت : هداية إرشاد وهداية إعانة ، أو قل : هداية دلالة وهداية توفيق ، فماذا يعني ذلك ؟ .

إخوتي في الله: قبل أن أبين هذه القضية اسمحوا لي أن أمثل لكم بمثال بسيط لتكون قضيتنا اليوم واضحة جلية : رجل أضل بيت صديق له فراح يسأل الناس ليدلوه على البيت فالتاس في دلالة هذا الرجل قسمان : قسم يدلله على البيت عن بعد (بتروح على المهاجرين باشكاتب رابعة بيت الشيخ عبد العزيز الخطيب) يدلله عن بعد ، الناس قسمان : قسم يهدونك من بعيد ثم يتركوك تذهب بمفردك ، فهو قد هداه إلى الطريق وأرشدته إليه ، هذه دلالة إرشاد . وقسم آخر طلب منه العون ليدله على صديقه ، فإذا به يحمله على سيارته ، ويأخذ بيده إلى أن يوصله إلى بيت صديقه ، فهذه دلالة توفيق ، دلالة إعانة ، دلالة خاصة .

هذا المثال الذي ضربته لكم يوضح هذه القضية ، فالرسل مثلاً : وظيفتهم القيام بهداية الإرشاد فهم يرشدون الناس إلى الطريق الأقوى الذي يدلهم إلى الخير ، فلذلك خاطب الله سيدنا محمد (اللهم صل وسلم وبارك عليه) قال له : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط

مستقيم ﴿الشورى: هداية إرشاد : الأنبياء يهدون هداية إرشاد ،
أما هداية المعونة أو التوفيق فهذه لا يملكها الا رب العزة والجلال لا
يعطيها إلا لمن يعلم أنه يستحقها ، وهذا هو بالضبط المعنى المراد
من قوله لنبيه الكريم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فالمقصود هداية
التوفيق ، الأنبياء لا يهدون هداية المعونة والتوفيق ، إنما الذي يملك
هداية التوفيق هو اللَّهُ ، لذلك اسمع قوله تعالى : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا
بِاللَّهِ﴾ هود .

هداية التوفيق من اللَّهِ تعالى ، فهو العادل الذي يهدي من قَبْلَ
هداية الإرشاد ، يهديه : بهداية التوفيق والإعانة ، ولذلك طَبَّقَ
ذلك على كل آيات القرآن التي فيها معنى الهداية ﴿والذين اهتدوا
(هداية إرشاد) زادهم هدى﴾ مُحَمَّدٌ (أعطاهم هداية التوفيق .

لذلك رب العزة يقول ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة) التوجه
والقصد إلى اللَّهِ تعالى من عندك ، أما أن تعرض عن الحق وتقول :
اللَّهُ ما هداني (يا كذاب الأبعد) . والدليل :

﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ .

(اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها) لذا لا يضل
اللَّهُ سبحانه إلا من يستحق الإضلال ، ممن رفض الهداية والإرشاد
وزاغ عن الطريق ، واسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه الحقيقة
تماما :

﴿فلما زاغوا أزاغَ اللَّهُ قلوبهم﴾ : حين مالوا عن الحق باختيارهم
حرّمهم التوفيق والإعانة ، لذلك رب العزة قال ﴿والله لا يهدي
القوم الفاسقين﴾ الصف . لما رفضوا الهداية العامة حرّمهم الهداية
الخاصة .

وقد أراد المشركون يوماً أن يحتجوا بأن الله هو الذي جعلهم
مشركين، هو الذي لم يهديهم ، هو الذين لو شاء هداهم ، لما ادعوا
ذلك : أبطل الله حجّتهم بالقرآن ودحضها وقال: ﴿سيقول الذين
أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرّمنا من شيء ،
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم
من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا
تخرون﴾ الانعام .

فالله أذاق بأسه الكافرين الأوّل ، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم
والمآثم والكفر والشرك لما عذبهم الله لأنه عادل ، لا يظلم مثقال ذرة
، وزعمهم أنه لو شاء الله لما أشركوا ليس صحيحاً ، لا يوجد
عندهم من دليل يستندون إليه ، وإنما كفرهم هذا تمرد على الدين ،
وكذب على الحق وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة بكفرها ،
وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها ، فقد تقرر أن
دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة ، ولا ينهض بها
دليل ، وهنا قامت حجة الله البالغة على هؤلاء ﴿فلله الحجة

البالغة﴾ الانعام . ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية ، وإذا فلن يكونوا حينئذ من البشر ، لأن البشر لهم إرادة ، ولهم اختيار فطرهم على هذا رب العزة والجلال .

هذا هو الدليل الذي رد الله به على من يزعم أن الله يجبر عباده على الضلال ، فالله عز وجل يهدي هداية دلالة أو ضلال وهو القائل ﴿وهديناه النجدين﴾ البلد وبيننا له طريق السعادة والشقاوة والخير والشر ، هداية أعطيناه فيها الحواس الخمس والعقل والدين والأنبياء والشرعة ، هذا هو القرآن ينطق بالحق على الكاذبين الذين يدعون أن الله هو الذي أضلهم ،

اسمع مولانا يقول : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ الانسان .

أنت ما اخترت الصراط المستقيم ، أسمعتم أيها العقلاء : هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل ، والخير والشر ، والصدق والكذب : فهو باختياره إما أن يسلك طريق الخير فيكون شاكرا أو يسلك الطريق المعوج فيكون كفورا ، وصدق الله العظيم : ﴿قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها﴾ .

لذلك يا أخي المسلم أنت مأمور في كل يوم أن تقف بين يدي ربك وتكرر سبع عشر مرة ، أmerk أن تدعوه وتقول : ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ الفاتحة . يعني يا رب مثلما هديتنا هداية إرشاد

ودلالة : إهدنا هداية إعانة وتوفيق ، وقال أيضا : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ التغابن من يهتد هداية إرشاد يهده الله هداية إعانة .

لكن السؤال الذي يسأل بعد ذلك كله : ما معنى قوله تعالى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ .الانسان.

هذا هو السؤال الأهم الذي سأعلقه إلى الجمعة القادمة بإذن الله تعالى لأن قضية القضاء والقدر صعبة الفهم ، نجتزئ في كل جمعة قضية لتفهم لا لتلقى خلف الظهور، وعقارب الساعة تسير معا .

فاسمحوا لي أن أعود بكم من هناك من القدر إلى الهداية ، ومن الهداية إلى هنا ، إلى مقر هداية الله تعالى ، إلى مديرية التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله محمد رسول الله



تقييد مشيئة الإنسان

— ١٨٥ —

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير؟ العا
يما القدير

شملت قدر تهكم مخلوق، وجرتم شيئت هف خلقه بتصاريف الأمور،
قدر مقادير الخلقو آجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم
معيشتهم وأحوالهم؛ وخلق الموت والحياة ليلوهم أيهم أحسنهم
لا وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، إلهنا الشبيه بالنظر
ير، وتعالنا الشريك الظهير، فليس كمثله شيء وهو السميع العا
بصير.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيما وأميرنا وقائدا وقرّة عيننا
سيدنا محمد عبده ورسوله هو صفيه وخليه، وخير تهمنبريته، و
صفوته من خلائقته، وأمينه على حياه، أعر فالخلق بهوا علاهم عند

دهم منزلة، وأوسعهم عند شفاعته، بعثها بالإيمان نادياً، وإلّا
جنة داعياً، وفيمر ضاتها ساعياً، فبلغ سالاتر بهو صد عبأمره
، وقاملها بالصبر والشكر حقاً لقيامه بتبليغ ضاه، سيدياً بالقاً
سميار رسول الله

لكفيا القلوب بمحبته و لا عو المال مناو النفوس فداء
ياسيد الأكوأنا لقاءكميو ما لقيامته فحقه تور جاء
صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلمو بارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم
مسيدنا ومولانا محمد، وعلنا أصحاب سيدنا محمد، وعلنا زواج
هأمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق قيام ليكننا المقدر، وفي
حمتك يا رحمان رحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحققنا جنتهم
مئة للعالمين رحمة لنساء العالمين، وسلمت تسليمًا كثيرًا.

أما بعد : في احماة الاسلام وحراسا العقيدة :

كنقد علقت معكم سؤالا منذ أسبو عينحو لآية من كتاب الله تعالى،
فبعد ما تقرر علينا أنمو لا ناعزو ولمنح العبد الحرية والإختيا
ر، سألنا سؤالا

مامعنقوله تعالى ﴿وماتشأونا لا نيشأه الله باله العالمين﴾
(التكوير)

٩) هذا سؤال الحير الألباب، فهو يعنينا أن الإنسان لا يشأ شيئا إلا إذا
كان في حدود المشيئة الإلهية ويعنينا أن المشيئة البشرية ليست مشيئة
ستقلة عم مشيئة الله تعالى .

فالله تعالى قد شاء الإنسان أن يختار أحد الطريقين :
طريق الهداية أو طريق الضلالة، فإذا اختار الطريق الأول ففينطأ
قالمشيئة الإلهية، وإذا اختار الطريق الثاني ففينطأ قالمشيئة الإلهية.
ية.

هذا هو معنا الآية، فماذا يريد من لا نأكل منا أن نعتقد هاليوم من هذا
هالآية؟ هذه قضيتنا اليوم ومعالدر سالخامسو الثمانين بعد المئ
ة من سلسلة القضايا الإيمانية من جمالدر ويشية، وفي بداية هذا
لدر سادعوكم جميعا لتجددوا الإيمانكم وترفعوا شعار التوحيد.
لا إله إلا الله محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

علينا أن نعتقد ونجز مباعتنا أن أقدر يلزمنا الإنسان في جميع أحوال
واله، فهو مع هفي كل حر كة وسكنة، حتنفيا النفس الذي يتنفسه، فهيا
فاسعدو دة فيأوقات محدودة.

حتنا إن أقدر معنا في شعورنا بمحبة شيء أو كراهيته، فنحنيا
خيلا نحب أحدا لا بقدر، ولا نبغض أحدا إلا بقدر، صرح بذلك ربنا
عزة والبشر، فعلموا جات سورة الحجرات ٩ :
﴿ولكن الله يحب الذين يؤمنون به فيقتلهم ويكفرهم﴾
والفسوق والعصيان﴾، و علموا جات سورة الأنعام (١٢٥)
﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله
يجمع صدره ضيقا حرا كما تمنى في السماء﴾، وقال أيضا
: ﴿كذلك ينال كرامة عملهم﴾.

فالميل الذي تجد ه في نفس كل شيء ما هو من قدر الله تعالى حتنا الشيا الذي
تفكر فيه في قلبك دون أن تبديها أو تظهر ه هو أيضا من قدر الله تعالى،
اسمع ه يقول لك (الأنفال ٢٤)

﴿واعلموا أن الله يحوّل بيننا أمره وقلبه﴾ لا يستطيع أن يفكر بإيم
ان أو كفر أو خير أو شر إلا إذا مكنه من ه بالعزة والجلال بقضائه
وقدره، ولهذا قال عن أوقام إن ه تعالى ختم على قلوبهم وسمعهم وجه
لعل أبصارهم مغشاة، فأنزلنا ترديد شيئا حثير يده الله تعالى، يـ

سبقك إليها القدر، ولهذا علمك أنت قول :
﴿وماتشأؤونا إلا أن يشاء الله﴾.

إخوتيفي الله تعالى : وهنايردسؤال :
لو أُرِاد عبد شئاً أو أُرِاد الله شئاً آخر منالذي تنفذ مشيئته؟
إنه الله، هو الذي قال لناليز مكل عبد حده، الزموا حدودكم أيها العبيد
﴿ماكانلهمالخيرة﴾ وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكانلهمال
خيرة﴾ (القصص ٦٨) ، قولوا آمنا بالله هو صدقنا واعتقدنا

ولذلك عليكم أن تتعلموا لأدب مع الله تعالى عندما تتكلم، ولا تقل أنا فعلت
، أنا ذهبت، أنا عملت كذا، أنا تصدقت بكذا، بل عليك أنت قول :
الحمد لله الذي هدانا لهذا، هدانا ليفتصدقت، هدانا ليعلمتقلان، هدانا ليقبلتبدأ
بيو أمي صباحاً

ذلك لأنك لا تملك المشيئة المستقلة عن مشيئة الله تعالى، هذا قول لا
لدينكفروا، قول لا قدرية الذينكرونا أن الله قدر أفعال الخلاق، و
أنا المشيئة المستقلة، ولهذا رد الله عليهم كذبهم افتراء هم وقال
:

﴿وماتشأؤونا إلا أن يشاء الله﴾ كذا كره به هذا الآية علنا المعتزلة
لذين يقولون:

إن الله لم يقدر الشر، وأنا الشرور منا، أبناء آدم، فأردوا تنزيه
الله فوقه أفي الضلال، حيناً عرضوا عن مثاقولته تعالى ﴿ونبلو
كم بالشر والخير فتنة﴾ (الأنبياء ٣٥).

لكن إذا فعل العبد شئاً من المعاصي الشرور فأدب مع الله لا ينسب
ها إليه، فالشر لا يضاف إلى الله تعالى المفردا، وإنما يدخل في عمومها
قضايا الإيمانية، فنقول كما قال مولانا الله ﴿وَعَلَى خالق كل شئ﴾
(الزمر ٦٢) كل شئ: الخير والشر.

أيها السادة:

أدعوكم اليوم ملازور مع حضر اكتملة منا لانبيا و الرسل، ليق
ر الله أعيننا بزيار تهم، ولتسعد قلوبنا بفهم قضية التوحيد التين
حنبصدها اليوم .

تعالوا انتوجهوا ولا البأبيا لانبيا و المرسلين جدي سيدنا إبراهيم
عليه السلام والصلاة والتسليم .

سيدنا إبراهيم عليه السلام علمنا الأدب في تقرير شر القدر، ويقرر علينا وعل
بقوم مهدياة لإرشاد و التوفيق و مجموعته من القضايا الاعتقادي
ة، فاسمعوها جيدا (الشعراء ٧٨):

﴿الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين إذا مرر ضفت
هو يشفين﴾ انظروا الله خلقني، الله هداني، الله أطعمني، الله
سقاني، ثم قال :

أنا مرر ضفت، هذا تعليم الأدب العاليمع الله تعالى .

لكن القضية تتضح أكثر إذا زرت معكم سيدنا موسى ومعهم سيدنا
خضر (عليهما وعليه الصلاة والسلام)

فها هما يركبان سفينة مساكين يعملون في البحر، فيأخذ سيدنا الخ
ضر طرفلوح فيها فينزعهما السفينة، ويعترض عليه سيدنا موسى
سى، فبماذا يجيبه نبي الله سيدنا الخضر، يحكي لنا القرآن جوابه
مفصلا (الكهف)

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأررنا عيها و
أنوراء هم ملك يأخذ كل سفينة صالحة)

غصبا﴾ الشاهد في الآية :

فأررنا عيها، أنا أررنا بسبب ذلك النفس هتأدبنا مع خلق السنو اتبع
ير عمدترونها ثمصر بحقيقة الأمر بعد ذلك، وأنك لما فعلها كان
بأمر الله فقال ﴿وما فعلتهن أمري﴾

لكن إذا جد الجد، وأحتاج الأمر للتصريحوا لا عترافبأن الله هو الذي خلق الشر، كانا للتصريح بجمع منكم لا لأدب مع الله تعالى.

أيها الإخوة:

أدعوكم كما لا نلأنتقلب حضر اكتمال النمو قفأخر لسيدنا موسى، وقد جاء قوم بعد المناجاة والمكالمة، قالوا لا نار جعل القومك ﴿فإنا قد فتننا قومك ظن بكوا أضلهم السامري﴾ (طه ٨٥) حينر جعل إليهم رآهم يعبدون العجل، وكسر الألواح و غضبنا بهم وأمسك بلحية أخيه سيدنا هارون، وأقام حدود الله في الأرض، رجع في نهاية الأمر معتر اله تعالى، ومظهر حقيقة شرا لقدر قائلاً له ﴿إنه يلافتتك﴾ أنتالذي فتنتميارب، هذا عترافه قائد علينا أن نفهمها اليوم:

إذا كنا لا نحتاج إلى التصريح بنسبة الشر إلى الله تعالى فعلينا أن ننذ سبها لينا علو جهالكسب) (أنه حدثنا أيدينا) اينحذالفا علو الحقيقة في الملام، كما فعل الجن عندما بعث سيدنا محمد ﷺ قالوا ﴿والاندر يأشر أريد بمنفيا لأرضاً ما أراد بهم ربهم مرشدا﴾ (الجن ١٠)

حينذكرو الشر حذفوا الفاعل، وحينذكرو الرشد والهداية ذكر روه منسوب إلى الله تعالى.

معشر الإخوة الكرام: قضية شر القدر لا تعني أبداً أن الله تعالى ير ضاهاً أو يأمر به (والعياذ بالله تعالى) هو الذي قال لنا: ﴿ولا ير ضلعبادها الكفر﴾ ولا ير ضلعبادها الفساد منا قول ﴿إذ يبيتون ما لا ير ضمننا قول﴾

ولا ير ضلعبادها فاسقينفسهم ﴿فانترضوا عنهم فإن الله لا ير ضعبنا لوقومالفا سقين﴾ .

أيها الإخوة

: ويردسؤ البعد عن هذه القضية، إذا اعتقدنا جاز مينا أن جميع أفعال العباد لا ضرار في قوا الاختيارية خير هاو شر ها مخلوقة من الله تعالى، وإن ارتدنا مقيدة بآراء الله تعالى فما هو واجبنا تجاهه كالعقيدة؟

إذا كانت آراءنا مقيدة بآراء الله تعالى فما هو واجبنا تجاه هذه العقيدة؟

واجبكم مسلم

: إذا قضى الله لي بالطاعة أناستقبل قدر هذا كبا لإخلاص الشكر حتى يكرمني الله بالتوفيق والهداية، ولهذا ما دمنا متقيين المسجد أحدا لله تعالى واشكره .

واجب المسلم

: إذا قضى الله لي بالمعصية فعليها أنيستقبل قضاءها بالتوبة والاستغفار والندم من صميم الفؤاد لينقلها إلى ديو أنالتوا بينو المتطهرين .

واجب المسلم: إذا قضى الله عليك بالنعمة أنيستقبلها بالشكر والسداء حتى يكرمها بالزيادة .

واجب المسلم

: إذا قضى الله لي بالشدة أنيستقبل قضاءها بالصبر لعلها يعطيها كرامة في الدنيا والآخرة .

فهل يتغير القدر ويتبدل أم هو ثابت لا زل ملامح يصله .
أعلق هذا السؤال لأجيب عن هفي الجمعة القادمة بآذن الله تعالى وأعوذبكم منها كاللهنا، وما أدر أكمها هنا .

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليها أنيو حد الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

صفتا القضاء

— ١٨٦ —

الحمد لله حمد اكثر اطيبا مبار كافيهِ، الحمد لله حمد ادا ائما معذ لوده، و الحمد لله حمد ادا ائما لا منتهلهدو نمشيئته، و الحمد لله حمد ادا ائما لا يو اليقائلها الار ضاه، و الحمد لله حمد ادا ائما كلطر فة عينو نفسنفس، الحمد لله الذي ابتدا الإنسان بنعمته هو صور هف يالأر حامك في شاء بحكمته، و جعلها السمعو الأبصار، و آخر جهنم ظلمة الأحشاء السعة الأر ضو الفضاء، و ربا هبا احسانه و غذا هب نعمه و أجر بلهر زقها بالنصير هالما صار .
فكل لا يخر جع نمشيئة الله فهم بينت خصيصا لإر ادة و مجار يالأق دار.

أحمد ه سبحانه و تعالى الحمد اكثر ايوجبالمز يد بالنعمو اللحو قبا لأبرار .

و أشهد أن لا إله إلا الله و لا شريك له و لا وزير و لا قرين له، و هو الو احد القهار، شهادة تحيا عليها و نمو عليها و نبعث عليها و ما لبعثوا الانتشار .

و أشهد أن سيدنا و حبيبنا و عظيمنا و أميرنا و قائدنا و قرّة أعيننا سيدنا محمدا عبده و رسوله، معز ديننا لإيماننا و ما حقد ديننا الكفار .
اللهم صلوا سلموا و باركوا على هذا النبي الكريم، و السيد السند العظيم سيدنا و مولانا محمد، و علنا أصحاب سيدنا محمد، و علنا زواجه أمهات المؤمنين و أنزل لهم في مقعد صدق عندكم يا مليكنا المقتدر ، و فير حمتك يا أر حمالرا حمين، و عجل فر جنا بحتهم و حق منجعه لتهر حمة للعالمين و ر حمة لنساء العالمين، و سلمت تسليما كثيرا .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

هناك أمور لا تخضع لإرادة الإنسان واختياره ، ولا يسأل عنها ولا يحاسب عليها ، لأن القضاء والقدر يحتمها لحكمة معينة لا يعلمها إلا الله تعالى ، كحياتنا وموتنا وصحتنا وضعفنا وغنانا وفقرنا ، فالله تعالى يوم القيامة مثلاً لا يحاسب على كونك ذكراً أو أنثى ، لكن يحاسبك على عملك الاختياري الذي أعطاك الإذن فيه .

فحياتنا - أيها الإخوة - من القدر المحتم ، وشبابنا من القدر المحتم ، وشيوخنا من القدر المحتم ، كل ذلك آتينا لا محالة ، « لهذا قال العلماء : القضاء قسمان : قضاء محتّم واقع لا محيض عنه ، وقضاء معلق : أي يتغير ويتبدل وبعبارة أدق : القضاء مبرم ومعلق » .

كان هذا هو موجز القضية الأخيرة من ملف قضايا القضاء والقدر في الحلقة السادسة والثمانين بعد المئة ، ومع الدرس الأخير من دروس القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد

لا إله إلا الله محمد رسول الله

إخوة الإيمان :

تقدّم معنا أن الله تعالى قدر في الأزل في علمه تعالى كل شيء ، وبينت الآيات القرآنية هذه الحقيقة واضحة جلية ، فعلى موجات سورة الرعد (٨) :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ وعلى موجات سورة الفرقان (٢) ﴿
وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وعلى موجات سورة الحجر (٢١)
﴿وما من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾
ولهذا يقول سيدنا رسول ﷺ « لا يهلك الله إلا هالكاً » أي
من كتب الله عليه في علمه أنه هالك ، وقال تعالى : ﴿يُوفِّكَ عَنْهُ
مِنْ أَفْكَ﴾ (الذاريات ٩) أي يصرف عن سماع القرآن وعن
الإيمان به في الدنيا من صرف عند في التقدير الأزلي .

فهذا هو القضاء الذي في علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، فهل هناك
تقدير يتغير ويتبدل ؟ هذا هو السؤال الذي كنت علقته معكم
الجمعة الماضية ويحتاج للإجابة عنه أن تصلوا على النبي ، عسى
الله أن يشرح صدورنا .

أيها الإخوة :

من كرم الله علينا أن جعل قضاءه قسمين ، فالقضاء الذي في علم
الله لا يتغير ولا يتبدل .

أما التقدير الذي كتبه مولانا عز وجل في اللوح المحفوظ فإنه يتغير
ويتبدل ، وإلى هذه القضية الإشارة والتصريح في قوله تعالى :
﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد ٣٩) .

فيمكن لهذا القضاء أن يتغير ويتبدل ، لذا كان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول في دعائه (اللهم إن كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً) .

ولهذا ورد أيضاً في دعاء النصف من شعبان ، التي قيل فيها إن الله يكتب ما يحدث للعباد من السنة إلى السنة قول الداعين :
اللهم إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقترراً عليّ في الرزق فامحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانِي وطردِي واقتار رزقي ، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات ، فإنك قلت في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ﴿محو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ .

فهذا التقدير - يا إخواني - يتغير ويتبدل بفعل الطاعات والعبادات .
ولهذا ورد في الحديث الشريف عنه ﷺ « إن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة » (طب الترغيب) .
وفي الحديث أيضاً « إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض يقتتلان ويدفع الدعاء البلاء قبل أن ينزل » .
وكلنا يحفظ قول حبيبنا محمد ﷺ : « من أردا أن ينسأ له في أجله ويزاد له في رزقه فليصل رحمه » .

فما هو المراد في التقدير الذي يكون في الرحم ، هل هو تقدير ثالث ؟ الحقيقة أن هذا التقدير يكون مطابقاً للعلم الإلهي لا يتغير

ولا يتبدل ، وإيكم نص هذا الحديث (بعد أن تصلوا على صاحبه
(فمن مدرسة الصحيحين يقول الصادق المصدوق :

»

**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون نعلقة
مثلاً ، ثم يكون مضغة مثلاً ، ثم يرسل الله
إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات :
بكتبرزقهو عمله وأجله وشقياً وسعيداً ، فوالذي لا إله غيره إن
أحدكم لي عمل عملاً هالاً لئلا الجنة حتماً يكون بينه وبينها إلا ذراع ، في
سبق عليها الكتاب فيعمل بعمل أهال النار فيدخلها ، وإن أحدكم لي عمل
عملاً هالاً لئلا النار حتماً يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليها الكتاب
بفيعمل بعمل أهال الجنة فيدخلها» (د - ت) .**

وفي رواية : فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس .

أيه السادة :

أيها العبيد : هذا الحديث خوّف أهل الإيمان : وجعلهم يحافظون
على الطاعات ويتعدون عن المعاصي طوال حياتهم ، وجعلهم
ييقنون على مراقبة الله ، وألا يغتروا بعباداتهم ولا بشهاداتهم ولا
بألقابهم ، فهذه قشور لا قيمة لها ، وقد تؤدي إلى الرياء المحبط
للعمل ، فهذا إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل وقد
قضى حياته في العلم والطاعة والدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ها
هو على فراش الموت يتمثل له الشيطان قائلاً : فزت عليّ يا إمام .

فقال الإمام : لا ، ليس بعد (حتى تخرج روعي مؤمناً بالله تعالى)

فالصالحون يخافون أن يختم لهم بغير الإيمان لذا يداومون على الطاعة ، وترك المعصية خوف سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ، فالأعمال بخواتيمها ولهذا ورد في الصحيح (خ) « إنما الأعمال بالخواتيم »

أما هذا الذي يعمل رياءً ويصوم رياءً ليقال : إنه صام رجب وشعبان ورمضان ، وهذا الذي يعلم رياءً ليقال عالم فهذا لا يختم له بخير ، وإيكم الدليل : (بعد أن تصلوا على سيدنا النبي) :

وقعت غزوة زمن سيدنا رسول الله ﷺ فأعجب الصحابة فيها بقتال رجل وفروسيته وهجومه وصدّه على أعداء المسلمين ، ونقل هذا الإعجاب إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال للصحابة هو في النار . فعجب الصحابة ، واستمرت المعركة وهو يقاتل قتالاً ضارياً لا مثيل له ، ولاصحابه يعجبون به والنبي يقول : هو في النار حتى قال صحابي : أنا صاحبه « أي لأتبعه في المعركة لأنظر لم قال رسول الله ﷺ هذه المقالة ، فجعل الصحابي يلاحقه في أرض المعركة كظله حتى جرح الرجل جرحاً بليغاً فما كاد يصبر عليه لشدة ألمه ، فإذا به يمسك سيفه ويتمايل عليه ويقتل نفسه » وصدق رسول الله ﷺ .

ولهذا على العبد ان يبقى متصلاً بالله مراقباً له أن تصيبه معصية فقد يأتيه الموت وهو يعصي الله تعالى ، فالموت يأتي بغتة ولا يدري أحدا متى يأتي أجله . سألت مرة قاضياً من قضاة التحقيق الجنائي ما أعجب قضية صادفتك في حياتك ؟ فقال : رجل يزني بامرأة فمات عليها .

نهاية سيئة والعجيب أن بعض الناس يحتجون بالقدر عند ارتكاب الذنب أو الحرام أو عند التقصير في أمر واجب ، ليعتذر المرء عن نفسه ويتخلص من تبعه الذنب ، ويقول : قدر الله علي . فهذا ضلال وجهل لأن الله تعالى أخفى عنا تقديره وعلمه ، ولا يعرف أحد ما سيجري له بعد لحظة ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ .

ولهذا لما سرق أحد اللصوص زمن سيدنا عمر رضي الله عنه وحضر بين يديه سأله : لم سرقت ؟ فقال اللص : قدر الله ذلك . فقال سيدنا عمر : اضربوه ثلاثين سوطاً ثم اقطعوا يده . فقبل له : ولم ؟ فقال : يقطع لسرقته ويضرب لكذبه على الله تعالى .

إن القدر لا يتخذ سبيلاً ولا ذريعة إلى المعاصي ، ولهذا حذر سيدنا رسول الله ﷺ من أن يفهم القدر فهماً خاطئاً ، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ فقال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون

بالمعاصي ثم يقولون : **اللَّهُ** قدر علينا هذا ، « الرادّ عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل **اللَّهُ** » .

معشر الإخوة الكرام :

أما قضية الاحتجاج بالقدر بعد وقوعه فهو جائز « لأن سيدنا موسى التقى سيدنا آدم (ق) فقال سيدنا موسى : يا آدم أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم . فقال سيدنا آدم : أنت الذي اصطفاك **اللَّهُ** برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه **اللَّهُ** عليّ قبل أن يخلقني . وهنا قال سيدنا رسول **اللَّهُ** : فحجّ آدم وموسى « أي أقام عليه الحجة » .

فسيدنا آدم احتج بالقدر قبل وقوعه لا قبله ، وأقام الدليل على ذلك لأن مولانا قال في كتابه :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في (الجنة) خليفة ، جاعل في الأرض (أين ؟ ، في الأرض ، إذا ما دام في الأرض فمعناه أن **اللَّهُ** قرر وقضى ذلك قبل خلق سيدنا آدم ، ولهذا جعل له سبباً وهو أكله من الشجرة ﴾ . ولكن سيدنا آدم لم يحتج بالقدر إلا بعد وقوعه لا قبله .

أيها الأحبة والصحب :

هذا هو القدر الذي يجب أن تعرفه عن القدر ، وأما ما وراء هذه المعرفة فلا يحل لنا البحث فيه ، ولا التنازع في شأنه ، ولهذا لما خرج

رسول الله ﷺ على بعض الصحابة وهم يتنازعون في القدر غضب حتى احمر وجهه وقال : أبهذا أرسلت إليكم ، إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه .

فهذا هو الواجب الأول علينا فما هو الواجب الثاني ؟

الواجب الثاني علينا أن تعتقد في ختام هذا الملف أنه لا تطرف في العالم عين ، ولا تهب نسمة هواء ، ولا يحدث فيه حادث صغيراً كان أو كبيراً إلا بعلم الله تعالى وإرادته وقدره ، وأن يتمتع هذا بدمنا ونستسلم لله ونخضع له ونعترف بانه ما شاء الله . كان وما لم يشأ لم يكن .

قام شيخ إلى سيدنا علي بعد معركة صفين فقال له : أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام بعد صفين أكان بقضاء الله وقدره .

فقال سيدنا علي : والذي خلق الجنة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره فقال الشيخ : فعند الله أحسب عنائي ما أرى أن لي من الأجر شيئاً . فقال سيدنا علي : مه أيها الشيخ فقد عظم الله أجركم في مسيرتكم وأنتم سائرون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من أحوالكم مكرهين ولا مضطرين . فقال الشيخ : وكيف والقضاء والقدر ساقنا ؟. فقال سيدنا علي : ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرًا محتملاً ، ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد والأمر

والنهي ، ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا مُجْدَة لمحسن ، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء أولى بالذم من المحسن ، تلك مقالة عبّاد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور أهل العمي عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة وجوسها ، ثم قال : إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف تيسيراً ولم يعص مغلوباً ولم يُطع كارهاً ، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فقال الشيخ في القضاء والقدر الذي ما سرنا إلا به . فقال جدي امير المؤمنين سيدنا علي : هو الأمر من الله تعالى والحكم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ .

إخوتي في الله : لما كان المؤمن عاجزاً عن معرفة ما يراد به من خير أو شر فيما يستقبل من الأمور سنّ لنا رسول الله الاستخارة فهي تصرف المؤمن وتردّه إلى العبودية المحصنة وتوقفه على عظيم افتقاره إلى مدبر أموره سبحانه وتعالى ، وفي الحديث «من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله تعالى ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى عليه» .

وهكذا معشر الإخوة :

قضيت معكم خمسة أعوام أعرض عليكم خلالها أهم القضايا
الاعتقادية الواجب على المسلم معرفتها ، جمعتها لكم من مئة
كتاب في العقيدة ، فاحرصوا على تسجيلاتها التي سجلتموها ،
واحرصوا على ما كتبتموه من معانٍ أثناء الخطب ، عضوا عليها
بالنواجذ ، لأن الناس اليوم تردد ألفاظ الكفر بل وتغنيه أمثال عبد
الحليم حافظ العبد الضال الذي سجل الكفر في أغانيه حينما قال
: (قدرٌ أحمق الخطأ سحقت قامتي خطاه) وسيحاسبه الله على
عبارته لكفره بالقدر .

وكقول أبي القاسم الشابي :

إذا الشعب يوماً أردا الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
فجعل قدر الله تابعا لإرادة العبد ، وقد علمتم فساد هذا القول
وكفره .

فمن كفر باعتقاد مكفر لم تنفعه عبادة ولا طاعة . ومن هنا تأتي
أهمية هذا الملف ، الذي تلقيناه بالسند المتصل عن سيدنا رسول
الله ﷺ عن طريق أشياخنا وآبائنا .

فاللهم ارحم مولاي الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب وارضهم الشيخ
رفيق السباعي ، وارضهم الشيخ عبد الرحمن التلمساني ، وارضهم
الشيخ أحمد المحاميد ، واحفظ لنا يا مولانا الشيخ عبد الرحمن

الشاغور والشيخ صادق حبنكة والشيخ أديب الكلاس ، هذا هو
سندنا في العقيدة عن علماء بررة .

وارحم علماء المسلمين الذين حملوا راية هذا الدين الحنيف .
فمن كان يحب أن يحمل الراية معهم فليبق معنا هنا ، وما أدراك ما
هنا .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وضبط هذه العلوم أن نقول: العلوم النافعة هي ما ذكره الله في
كتابه في قوله {والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله،
لنفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا
وإليك المصير}. فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة.

(أما القسم الأول) - وهو الإيمان بالله، فاعلم أنه يشتمل على
خمسة أقسام: معرف الذات والصفات والأفعال والأحكام

والأسماء. أما معرفة الذات فهي أن يعلم وجود الله وقدمه وبقائه. وأما معرفة الصفات فهي نوعان:

(أحدهما) ما يجب تنزيهه عنه، وهو كونه جوهرًا ومركبًا من الأعضاء والأجزاء وكونه مختصًا بحيز وجهة، ويجب أن يعلم أن الألفاظ الدالة على التنزيه أربعة: ليس ولم وما ولا، وهذه الأربعة المذكورة مذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه.

أما كلمة ليس، فقولته {ليس كمثله شيء} وأما كلمة لم، فقولته {لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد} وأما كلمة ما، فقولته {وما كان ربك نسياً}، {ما كان الله أن يتخذ من ولد} وأما كلمة لا، فقولته تعالى {لا تأخذه سنة ولا نوم}، {وهو يطعم ولا يطعم}، {وهو يحير ولا يحار عليه}، وقوله في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن {لا إله إلا الله}.

(وأما النوع الثاني) - وهي الصفات التي يجب كونه موصوفاً بها من القرآن (فأولها) العلم بالله، والعلم بكونه محدثاً مخالفاً، قال تعالى: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) (وثانيها) العلم بكونه قادراً، قال تعالى في أول سورة القيامة {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} وقال في آخر هذه السورة {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} (وثالثها) العلم بكونه تعالى عالماً، قال تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة}

و(رابعها) اعلم بونه عالماً بكل المعلومات، قا تعالى {وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو} وقوله تعالى {الله يعلم ما تحمل كل أنثى} (وخامسها) اعلم بكونه حياً، قال تعالى {وهو الحي لا إله إلا هو قاده مخلصين له الدين} و(سادسها) العلم بكونه مريداً، قال الله تعالى {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام} (وسابعها) كونه سمياً بصيراً، قال تعالى: {وهو السميع البصير} وقال تعالى {إنني معكما أسمع وأرى} (وثامنها) كونه متكلماً، قال تعالى: {ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله} (وتاسعها) كونه أمراً، قال تعالى: {لله الأمر من قبل ومن بعد} (وعاشرها) كونه رحماناً رحيماً مالكاً، قال تعالى {الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين} فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافه بها.

(وأما القسم الثالث) وهو الأفعال فاعلم أن الأفعال إما أرواح وإما أجسام، أما الأرواح فلا سبيل لوقوف عليها إلا للقليل، كما قال تعالى {وما يعلم جنود ربك إلا هو} وأما الأجسام، فهي إما العالم الأعلى وإما العالم الأسفل. أما العالم الأعلى فالبحت فيه من وجوه (أحدها) البحث عن أحوال السموات. (وثانيها) البحث عن أحوال الشمس والقمر كما قال تعالى {إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على

العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره { و(ثالثها) البحث عن أحوال الأضواء، قال الله تعالى {الله نور السموات والأرض} وقال تعالى {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا} و {رابعها) البحث عن أحوال الضلال، قال الله تعالى {ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً} (وخامسها) اختلاف الليل والنهار، قال الله تعالى {يكور الليل على النهار ويكون النهار على الليل} و(سادسها) منافع الكواكب. قال تعالى: (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البحر والبحر) و(سابعها) صفات الجنة، قال تعالى {وجنة عرضها كعرض السماء والأرض} و(ثامنها) صفات النار، قال تعالى {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم} و(تاسعها) صفة العرش، قال الله تعالى {الذين يحملون العرش ومن حوله} و(عاشرها) صفة الكرسي، قال تعالى {وسع كرسيه السموات والأرض} و(حادي عشرها) صفة الروح والقلم. أما اللوح، فقلوه تعالى {بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ} وأما القلم، فقلوه تعالى {ن والقلم وما يسطرون}.

وأما شرح أحوال العالم الأسفل (فأولها) الأرض، وقد وصفها بصفات كثيرة (إحداها) كونه مهذاً، قال تعالى {الذي جعل لكم الأرض مهذاً} و(ثانيها) كونه مهذاً، قال تعالى {ألم نجعل الأرض

مهاداً { وثالثها } كونه كفاتاً قال تالى { كفاتاً، أحياء وأمواتا }
{ ورابعها } الذلول، قال تعالى { هو الذي جعل لكم الأرض
ذلولاً } و { خامسها } كونه بساطاً. قال تعالى { والله جعل لكم
الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً } والكلام فيه طويل
{ ثانيها } البحر قال تعالى: { وهو الذي سخر لكم البحر
لتأكلوا منه لحماً طرياً } و { ثالثها } الحواء والرياح، قال تعالى
{ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته } وقال تعالى
{ وأرسلنا الرياح لواقح } { ورابعها } الآثار العلوية كالرعد والبرق،
قال تعالى { ويسبح الرعد بحمد والملائكة من خيفته } وقال تعالى
{ فتر الودق يخرج من خلاله } ومن هذا الباب ذكر الصواعق
والأمطار وتراكم السحاب و { خامسها } أحوال الأشجار والثمار
وأنواعها وأصنافها، و { سادسها } أحوال الحيوانات، قال تعالى
{ وبث فيها من كل دابة } وقال { والأنعام خلقها لكم }
{ سابعها } عجائب تكوين الإنسا في أول الخلقة، قال { لقد
خلقنا الإنسان من سلالة من طين } و { ثامنها } العجاب في سمعه
وبصره ولسانه وعقله وفهمه و { تاسعها } تواريخ الأنبياء والملوك
وأحوال الناس من أول خلق العال إلى آخر قيام القيامة،
{ عاشرها } ذكر أحوال الناس عن الموت وبعد الموت، وكيفية
البعث والقيامة، وشرح أحوال السعداء والأشقياء، فقد أشرنا

إلى عشرة أنواع من العلوم في عالم المسوات، وإلى عشرة أخرى في عالم العناصر، والقرآن، مشتمل على شرح هذه الأنواع من العلوم العالية الرفيعة.

(وأما القسم الرابع) وهو شر أحكام الله تعالى وتكاليفه، فنقول هذه التكاليف إما أن تحصل في أعمال القلوب أو في أعمال الجوارح.

(أما القسم الأول) فهو المسمى بعلم الأخلاق وبيان تمييز الأخلاف الفاضلة والأخلاق الفاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لا بد منه في هذا الباب، قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيناء ذي القربوينهـى عن الفحشاء والمنكر والبغـي)، وقال {خذ العفو مار بالعرف وأعرض عن الجاهلين}. (وأما الثاني) فهو التكاليف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكمل الوجوه.

(وأما القسم الخامس) وهو معرفة أسماء الله تعالى فهو مذكور في قوله تعالى {ولله الأسماء الحسنـى فادعوه بها} فهذا كله يتعلق بمعرفة الله.

(،أما القسم الثاني) من الأصول المعتبرة في الإيمان الإقرار بالملائكة كما قال تعالى {والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته}

والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الاجمال
وأخرى على طري التفصيل، أما الإجمال فقوله (وملائكته) وأما
بالتفصيل فمنها مايدل على كونهم رسل الله قال تعالى {جاعل
الملائكة رسلاً} ومنها أنها مدبرات لهذا العالم، قال تعالى
{فالمقسمات أمرا المدبرات أمرا} وقال تعالى {والصفات صفا}
ومنها حملة العرش قال {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية}
ومنها الحافون حول العرش قال {ويرى الملائكة حافين من حول
العرش} ومنها خزنة النار قال تعالى {عليها ملائكة غلاظ
شدادا} ومنها الكرام الكاتبون قال { وإن عليكم لحافظين
كراماً كاتبين} ومنها المعقبات قال تعالى {له معقبات من بين
يديه ومن خلفه} وقد يتصل بأحوال الملائكة أحوال الجن
والشياطين.

(وأما القسم الثالث) من الأصول المعتبرة في الإيمان معرفة الكتب
والقرآن يشتمل على شرح أحوال كتاب آدم عليه السلام قال
تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات} ومنها أحوال صحف إبراهيم
عليه السلام قال تعالى {وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن}
ومنها أحوال التوراة والإنجيل والزبور.

(وأما القسم الرابع) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الرسل
والله تعالى قد شرح أحوال البعض وأبهم أحوال الباقيين قال
{منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}.

(القاسم الخامس) مايتعلق بأحوال المكلفين وهي على نوعين
(الأول) أن يقرؤا بوجوب هذه التكاليف عليهم وهو المراد من
قوله (وقالوا سمعنا وأطعنا)، والثاني) أن يعترفوا بصدور التقصير
عنهم في تلك الأعمال ثم طلبوا المغفرة وهي المراد من قوله
{غفرانك ربنا} ثم لما كانت مقادير رؤية التقصير في مواقف
العبودية بحسب المكاشفات في مطالعة عزة الربوبية أكثر كانت
المكاشفات في تقصير العبودية أكثر وكان قوله {غفرانك ربنا}
أكثر.

(القسم السادس) معرفة المعاد والبعث والقيامة وهو المراد من
قوله {وإليك المصير} وهذا هو الإشارة إلى معرفة المطالب
المهمة في طلب الدين، والقرآن بحر لانهاية له في تقرير هذه
المطالب وتعريفها وشرحها ولا ترى في مشارق الأرض ومغاربها
كتاباً يشتمل على جملة هذه العلوم كما يشتمل القرآن عليها.
ومن تأمل في هذا التفسير علم أنا لم نذكر من بحار فضائل
القرآن إلى قطرة، ولما كان الأمر على هذه الجملة، لاجرم مده

الله عز وجل القرآن فقال تعالى {الله نزل أحسن الحديث} والله أعلم.

وضبط هذه العلوم أن نقول: العلوم النافعة هي ما ذكره الله في كتابه في قوله {والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لنفارق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}. فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة.

(أما القسم الأول) - وهو الإيمان بالله، فاعلم أنه يشتمل على خمسة أقسام: معرف الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء. أما معرفة الذات فهي أن يعلم وجود الله وقدمه وبقائه. وأما معرفة الصفات فهي نوعان:

(أحدهما) ما يجب تنزيهه عنه، وهو كونه جوهرًا ومركبًا من الأعضاء والأجزاء وكونه مختصًا بحيز وجهة، ويجب أن يعلم أن الألفاظ الدالة على التنزيه أربعة: ليس ولم وما ولا، وهذه الأربعة المذكورة مذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه.

أما كلمة ليس، فقوله {ليس كمثله شيء} وأما كلمة لم، فقوله {لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد} وأما كلمة ما، فقوله {وما كان ربك نسياً}، {ما كان الله أن يتخذ من ولد} وأما كلمة لا، فقولها تعالى {لاتأخذه سنة ولا نوم}، {وهو يطعم ولا يطعم}، {وهو يجير ولا يجار عليه}، وقوله في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن {لا إله إلا الله}.

(وأما النوع الثاني) - وهي الصفات التي يجب كونه موصوفاً بها من القرآن (فأولها) العلم بالله، والعلم بكونه محدثاً مخالفاً، قال تعالى: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) وثانيها) العلم بكونه قادراً، قال تعالى في أول سورة القيامة {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} وقال في آخر هذه السورة {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} (وثالثها) العلم بكونه تعالى عالماً، قال تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة} (رابعها) اعلم بونه عالماً بكل المعلومات، قال تعالى {وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو} وقوله تعالى {الله يعلم ما تحمل

كل أنثى { (وخامسها) اعلم بكونه حياً، قال تعالى {وهو الحي لا إله إلا هو قاده مخلصين له الدين { و(سادسها) العلم بكونه مريداً، قال الله تعالى {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام { (وسابعها) كونه سميعاً بصيراً، قال تعالى: {وهو السميع البصير { وقال تعالى {إنني معكما أسمع وأرى { (وثامنها) كونه متكلماً، قال تعالى: {ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله { (وتاسعها) كونه أمراً، قال تعالى: {لله الأمر من قبل ومن بعد { (وعاشرها) كونه رحماناً رحيماً مالكاً، قال تعالى {الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين { فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافه بها.

(وأما القسم الثالث) وهو الأفعال فاعلم أن الأفعال إما أرواح وإما أجسام، أما الأرواح فلا سبيل لوقوف عليها إلا للقليل، كما قال تعالى {وما يعلم جنود ربك إلا هو { وأما الأجسام، فهي إما العالم الأعلى وإما العالم الأسفل. أما العالم الأعلى فالبحث فيه من وجوه (أحدها) البحث عن أحوال السموات. (وثانيها) البحث عن أحوال الشمس والقمر كما قال تعالى {إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره { و(ثالثها) البحث عن أحوال الأضواء، قال الله

تعالى {الله نور السموات والأرض} وقال تعالى {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا} و {رابعها} البحث عن أحوال الضلال، قال الله تعالى {ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً} (وخامسها) اختلاف الليل والنهار، قال الله تعالى {يكور الليل على النهار ويكون النهار على الليل} و {سادسها} منافع الكواكب. قال تعالى: (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البحر والبحر) و {سابعها} صفات الجنة، قال تعالى {وجنة عرضها كعرض السماء والأرض} و {ثامنها} صفات النار، قال تعالى {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم} و {تاسعها} صفة العرش، قال الله تعالى {الذين يحملون العرش ومن حوله} و {عاشرها} صفة الكرسي، قال تعالى {وسع كرسيه السموات والأرض} و {حادي عشرها} صفة الروح والقلم. أما اللوح، فقلوله تعالى {بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ} وأما القلم، فقلوله تعالى {ن والقلم وما يسطرون}.

وأما شرح أحوال العالم الأسفل (فأولها) الأرض، وقد وصفها بصفات كثيرة (إحداها) كونه مهذاً، قال تعالى {الذي جعل لكم الأرض مهذاً} و {ثانيها} كونه مهذاً، قال تعالى {ألم نجعل الأرض مهذاً} و {ثالثها} كونه كفاتاً قال تالي {كفاتاً، أحياء وأمواتاً} و {رابعها} الذلول، قال تعالى {هو الذي جعل لكم الأرض

ذلولا} و(خامسها) كونه بساطاً. قال تعالى {والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً} والكلام فيه طويل و(ثانيها) البحر قال تعالى: {وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً} و(ثالثها) الحواء والرياح، قال تعالى {وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته} وقال تعالى {وأرسلنا الرياح لواقح (ورابعها) الآثار العلوية كالرعد والبرق، قال تعالى {ويسبح الرعد بحمد والملائكة من خيفته} وقال تعالى {فتر الودق يخرج من خلاله} ومن هذا الباب ذكر الصواعق والأمطار وتراكم السحاب و(خامسها) أحوال الأشجار والثمار وأنواعها وأصنافها، و(سادسها) أحوال الحيوانات، قال تعالى {وبث فيها من كل دابة} وقال {والأنعام خلقها لكم} و(سابعها) عجائب تكوين الإنسا في أول الخلقة، قال {لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين} و(ثامنها) العجايب في سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه و(تاسعها) تواريخ الأنبياء والملوك وأحوال الناس من أول خلق العال إلى آخر قيام القيامة، و(عاشرها) ذكر أحوال الناس عن الموت وبعد الموت، وكيفية البعث والقيامة، وشرح أحوال السعداء والأشقياء، فقد أشرنا إلى عشرة أنواع من العلوم في عالم المسوات، وإلى عشرة أخرى

في عالم العناصر، والقرآن، مشتمل على شرح هذه الأنواع من العلوم العالية الرفيعة.

(وأما القسم الرابع) وهو شر أحكام الله تعالى وتكاليفه، فنقول هذه التكاليف إما أن تحصل في أعمال القلوب أو في أعمال الجوارح.

(أما القسم الأول) فهو المسمى بعلم الأخلاق وبيان تمييز الأخلاف الفاضلة والأخلاق الفاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لا بد منه في هذا الباب، قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيناء ذي القربوينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)، وقال {خذ العفو مار بالعرف وأعرض عن الجاهلين}. (وأما الثاني) فهو التكاليف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكمل الوجوه.

(وأما القسم الخامس) وهو معرفة أسماء الله تعالى فهو مذكور في قوله تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} فهذا كله يتعلق بمعرفة الله.

(،أما القسم الثاني) من الأصول المعتبرة في الإيمان الإقرار بالملائكة كما قال تعالى {والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته} والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الاجمال

وأخرى على طري التفصيل، أما الإجمال فقوله (وملائكته) وأما بالتفصيل فمنها مايدل على كونهم رسل الله قال تعالى {جاعل الملائكة رسلاً} ومنها أنها مدبرات لهذا العالم، قال تعالى {فالمقسمات أمرا المدبرات أمرا} وقال تعالى {والصافات صفا} ومنها حملة العرش قال {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} ومنها الحافون حول العرش قال {ويرى الملائكة حافين من حول العرش} ومنها خزنة النار قال تعالى {عليها ملائكة غلاظ شدادا} ومنها الكرام الكاتبون قال { وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين} ومنها المعقبات قال تعالى {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} وقد يتصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشیاطین.

(وأما القسم الثالث) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الكتب والقرآن يشتمل على شرح أحوال كتاب آدم عليه السلام قال تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات} ومنها أحوال صحف إبراهيم عليه السلام قال تعالى {وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن} ومنها أحوال التوراة والإنجيل والزبور.

(وأما القسم الرابع) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الرسل والله تعالى قد شرح أحوال البعض وأبهم أحوال الباقيين قال {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}.

(القاسم الخامس) مايتعلق بأحوال المكلفين وهي على نوعين (الأول) أن يقرروا بوجوب هذه التكاليف عليهم وهو المراد من قوله (وقالوا سمعنا وأطعنا)، والثاني) أن يعترفوا بصدور التقصير عنهم في تلك الأعمال ثم طلبوا المغفرة وهي المراد من قوله {غفرانك ربنا} ثم لما كانت مقادير رؤية التقصير في مواقف العبودية بحسب المكاشفات في مطالعة عزة الربوبية أكثر كانت المكاشفات في تقصير العبودية أكثر وكان قوله {غفرانك ربنا} أكثر.

(القسم السادس) معرفة المعاد والبعث والقيامة وهو المراد من قوله {وإليك المصير} وهذا هو الإشارة إلى معرفة المطالب المهمة في طلب الدين، والقرآن بحر لانهاية له في تقرير هذه المطالب وتعريفها وشرحها ولا ترى في مشارق الأرض ومغاربها كتاباً يشتمل على جملة هذه العلوم كما يشتمل القرآن عليها. ومن تأمل في هذا التفسير علم أنا لم نذكر من بحار فضائل القرآن إلى قطرة، ولما كان الأمر على هذه الجملة، لاجرم مده الله عز وجل القرآن فقال تعالى {الله نزل أحسن الحديث} والله أعلم.
